أحوال الطيبين الصالحين عند الموت

الدكتور سيد بن حسين العفاني

دار العفاني

أحوال الطيبين الصالحين عند الموت

تأليف

دكتور سيد بن حسين العفاني

الناشر
دار العفاني

الصديق
للكمبيوتر
ت/ ٦٤٣٢٨٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

♥ إلى أخي في الله.. مَن أحبه كل الحب في الله، وأسأل الله أن يجعلني وإياه ممَّن هم على سُرر متقابلين.

إلى الذي له سمت الصالحين ودلهم ووقارهم..

إلى مَن طابت الحياة بمعرفته وأخوته في اللّه..

إلى النسيم الذي يطيب به ويخف شواظ الدنيا الكالحة وهجيرها..

إلى الذي تذكرني رؤيته باللّه

فضيلة الشيخ أحمد البحيري

تحيا بكم كل أرضٍ تنــــزلون بها
كأنّكم في بقـــاع الأرض أمطـــارُ
وتشتهي العين فيكم منظراً حسناً
كأنكم في عيـــون الناس أقمـــارُ
لا أوحـش اللّه رَبْـعًا من زيارتكم
يا من لهم في الحشـا والقلب تذكارُ

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٥-١٨٥٠٥

دار العفاني
٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٠١٢/٥١٠٨٢٥٧ ـــ ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١
فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف
ت/٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

الصديق
للكمبيوتر
ت/ ٦٤٣٢٨٣٧

أحوال الصالحين عند الموت

• أخي:

هذه اللحظات ترجمة صادقة لحياة الإنسان كلها، وعجيب أن تُختَصَر الدنيا كلها ويُعَبَّر عنها بلحظة واحدة... ما قبل السكرات والسياق... ماذا يقول الصالحون... وأي جمال وأي نعيم هم فيه حتى يقول أبو هريرة ﷺ: «من رأى الموت يباع فليشتره لي»[1] .. ويقول حذيفة ﷺ: «حبيب جاء على فاقة فلا أفلح من ندم»[2]، ويقول محمد بن المنكدر لصفوان بن سليم عند موته: «لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينكم»؟!.

نعم فالموت تحفة كل مؤمن... ومن أصدق من اللّه قيلاً: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...﴾.

قال السحرة لفرعون عند ما أخبرهم بأنه سيصلبهم في جذوع النخل: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

أي نعيم يروّح أفئدة الصالحين، وأي أنس هم فيه تنقله كلماتهم عند الموت التي سجلتها الأيام، وتزين بها التاريخ... أزاهير لا واللّه أعطر.. رقة تذوب وشذاً تعطر به الدنيا... من أراد أن يعلم ما له عند اللّه فلينظر ما للّه عنده... فاحذر أن يفضحك ميراثك عند موتك... فأمامك قوم شرّفهم ميراثهم عند موتهم.

---

(١) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي ص(٨٤).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٢٢).

الصديق الأكبر

ثاني اثنين: «قد رآني الطبيب»

• عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر رضي الله عنه، فعاده الناس، فقالوا: ألا ندعوا لك الطبيب؟ قال: قد رآني.

قالوا: فأي شيء قال لك؟

قال: قال: إني فعّال لما أُريد[1].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال: أي يوم هذا؟ قالت: قلنا: يوم الاثنين.

قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل، قالت: وكان عليه ثوب به درع من مشق، قال: إذا أنا مِت فاغسلوا ثوبي هذا وضمّوا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب، فقلنا: أفلا نجعلها جدداً كلها؟ قال: لا، إنما هو للمهلة فمات ليلة الثلاثاء[2].

رضي اللَّه عن الصديق ثاني اثنين حتى في يوم الموت يتمنى أن يموت في يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم . . .

«إني أرجو ما بيني وبين الليل»، واستجاب اللَّه له.

• وعن البهي مولى مصعب بن الزبير قال: «لما احتضر أبو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمـــرُك ما يُغني الثــراء عن الفتى ... إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ

---

(١) «الزهد» لأحمد ص(١١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٩٨)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات» ص(٩٨)، و«صفة الصفوة» (١/ ٢٦٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٦٢) رقم (١٦٢٨٧)، و«التعازي والمراثي» للمبرد ص(٢١٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥)، والبخاري في «الجنائز» ـ موت يوم الاثنين.

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

انظروا ثوبيّ هذين، فاغسلوهما، وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت»[١].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرتُ أبي وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية، فتمثلت ببيت من الشعر فقلتُ:

مَنْ لا يــزالُ دمعُــه مُقَنّعًــا ... فإنــه لا بُــدّ مــرّةً مــدفــوقُ

فرفع رأسه فقال: يا بنية ليس كذلك، ولكن كما قال الله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٢].

• وعن سلمان رضي الله عنه قال: دخلتُ على أبي بكر في مرضه فقلت: يا خليفة رسول الله، اعهد إليّ عهدًا، فإني لا أراك تعهد إليّ بعد يومك هذا شيئًا.

فقال: أجل يا سلمان، إنها ستكون فتوح، فلا أعرفن ما كان حظك ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك. واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله، فلا تقتلن أحدًا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبّك على وجهك في النار[٣].

• وعن عائشة أنها قالت وأبو بكر يقضى:

وأبيضَ يُسْتسقَى الغمــامُ بوجهه ... ربيــعُ اليتامــى عصمــةٌ للأراملِ

---

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ١٤)، و«الثبات عند الممات» ص(٩٩)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٧). والشطر الأول من بيت الشعر هكذا:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى . . . . . .

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٨)، و«كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٢).

(٣) «المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٣)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٤).

فقال أبو بكر: «ذاك رسول اللَّه ﷺ»[1].

ومضى أبو بكر رضي الله عنه سَمْع هذا الدين وبصره... مضى إلى ربه.

***

وفاة الفاروق عمر رضي الله عنه

«الحمد للَّه الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام»

● عن عمرو بن ميمون قال: «لما طُعن عمر قال: يا ابن عباس انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة. فقال: الصَّنع[2] ؟

قال: نعم. قال: قاتله اللَّه، لقد أمرتُ به معروفًا، الحمد للَّه الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام، فدخلوا عليه وفيهم رجل شاب، فإذا إزاره يمسّ الأرض فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى[3] لثوبك وأتقى لربك[4]. يا عبد اللَّه بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فَقُل: يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا ـ وقل: يستأذن عمر أن يُدفن مع صاحبيه. فمضى، وجاء، فقال: أَذِنَتْ. فقال: الحمد للَّه، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك. فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم

---

(١)«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٩٨).

(٢)«رجل صَنَع وامرأة صَنَاع إذا كان لهما صنعة يعملانها بأيديهما ويكسبان بها». ا هـ لسان. مادة صنع. وحكى أبو زيد: الصَنَاع والصَنَع يقعان معًا على الرجل والمرأة. ا هـ «فتح الباري» (٧/ ٦٤).

(٣)وردت «أبقى»، وهي رواية الكشميهني. ووردت: «أنقى»، وهي الأكثر.

(٤)قال ابن عبد البر: مفهومه أن الجرّ لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد، إلا أن جر القميص، وغيره من الثياب مذموم على كل حال. وقال النووي: الإسبال تحت الكعبين للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه.

ويكفي في ذم إسبال الإذار أن صاحبه لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة.

سلمْ، وقل: يستأذن عمرُ فإن أذِنَتْ لي فأدخلوني وإن ردّتني فردوني إلى مقابر المسلمين»[١] .

● نعم... «الحمد للَّه الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند اللَّه بسجدة سجدها له قط»، هذا الحمد من العبقري... الذي لم يشغله الموت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

● وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر في حجري في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع خدي على الأرض.

فقلت: وما كان عليك كان في حجري أو على الأرض؟

فقال: ضعه لا أم لك.

فوضعته، فقال: ويلي، ويل لأمي إن لم يرحمني ربي[٢] .

● وعن ابن عباس قال: لما طُعن عمر قلت له: أبشر بالجنة.

فقال: واللَّه لو كان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر[٣] .

وفي رواية: لما طعن عمر ﷺ جاء ابن عباس فقال:

يا أمير المؤمنين! أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول اللَّه ﷺ حين خذله الناس، وقتلت شهيداً ولم يختلف عليك اثنان، وتوفي رسول اللَّه ﷺ وهو عنك راض، فقال له:

أعد عليّ مقالتك، فأعاد عليه فقال: المغرور مَن غررتموه، واللَّه لو أن

---

(١) رواه البخاري في «المناقب» ـ قصة البيعة، وفي كتاب «الجنائز» ـ ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، وفي كتاب «الجهاد»، وكتاب «التفسير»، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» ـ التفسير.

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٥٢)، «المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٦)، وكتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٥)، و«وصايا العلماء عند حضور الموت» للربعي ص(٣٨).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣٥٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٨٠)، و«المحتضرين» ص(٥٦).

لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع[١] .

● قال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، واللَّه إن كان إسلامك لنصرًا، وإن كانت إمارتك لفتحًا، واللَّه لقد ملأت الأرض عدلاً، ما من اثنين يختصمان إليك، إلا انتهيا إلى قولك». فقال عمر ـ رحمه اللَّه ـ: أجلسوني، فلما جلس قال لابن عباس: أعد عليّ كلامك، فلما أعاد عليه قال: أتشهد لي بهذا عند اللَّه عز وجل يوم القيامة؟ فقال ابن عباس: نعم، ففرح عمر بذلك وأعجبه[٢] .

● وعن المسور بن مخرمة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طُعِن، جعل يغمى عليه، فقيل: «إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة، إن كانت به حياة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيت، فانتبه، فقال: الصلاة ها اللَّه إذًا، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وجرحه ينبعث دمًا[٣].

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما طعن عمر رضوان اللَّه عليه، دخلت عليه فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين، فإن اللَّه قد مصّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق. قال: أفي الإمارة تثني عليّ يا ابن عباس؟

فقلت: في غيرها، فقال: والذي نفسي بيده، لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها، لا أجر ولا وزر[٤] .

● وعن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما قال:

«ما أصابنا حزن منذ اجتمع عقلي مثل حزن أصابنا على عمر بن الخطاب رضوان اللَّه عليه ليلة طعن، قال: صلى بنا الظهر والعصر والمغرب والعشاء

(١) «وصايا العلماء» ص(٣٨).
(٢) «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(٢٢٧) ـ تحقيق زينب إبراهيم ـ دار الكتب العلمية.
(٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(٢٢٢).
(٤) المصدر السابق ص(٢٢٤).

أسرّ الناس وأحسنه حالاً، فلما كان صلاة الفجر صلىّ بنا رجل أنكرنا تكبيره فإذا عبد الرحمن بن عوف، فلما انصرفنا قيل: طُعن عمر أمير المؤمنين فانصرف الناس وهو في دمه لم يصل الفجر بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة. قال: الصلاة ها اللَّه إذن لا حظ لامرئ في الإسلام ضيّع صلاته، قال: ثم وثب يقوم فانبعث الدم من جرحه. قال: هاتوا لي عمامة يعصب بها جرحه، ثم صلى فلما صلى قال: يا أيها الناس على ملأ منكم؛ فقال له علي بن أبي طالب ـ كرم اللَّه وجهه ـ: لا واللَّه ما ندري مَنْ الطاغي من خلق اللَّه، أنفسنا تفدي نفسك، ودماؤنا تفدي دمك، فالتفت إلى عبد اللَّه بن عباس فقال: اخرج، فسل الناس ما بالهم، واصدقني الحديث، فخرج ثم جاء فقال: يا أمير المؤمنين أبشر بالجنة، لا واللَّه ما رأيت عينًا تطرف من خلق اللَّه من ذكر ولا أنثى إلا باكية عليك يفدونك بالآباء والأمهات»[١].

• وعن جعفر بن محمد، عن أبيه رضي الله عنهما قال: «لما طعن عمر رضوان اللَّه عليه، اجتمع إليه البدريون، المهاجرون والأنصار، فقال لابن عباس: «اخرج إليهم فسلهم: عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟ قال: فخرج ابن عباس، فسألهم فقال القوم: لا واللَّه ولوددنا أن اللَّه زاد في عمره من أعمارنا»[٢].

• وعن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر قال حين طُعن:

لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كَرْب ساعة ـ يعني بذلك الموت ـ فكيف ولم أرد النار بعدُ؟!»[٣].

---

(١) «مناقب عمر بن الخطاب» ص(٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) المصدر السابق ص(٢١٦)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٤١).

(٣) «كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٢٧)، و«مناقب أمير المؤمنين عمر» لابن الجوزي ص(٢٢٤).

• • ويكذب ابن بابويه القمي الشيعي على الفاروق فيقول:

«قال عمر حين حضره الموت: أتوب إلى اللَّه من ثلاث: اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، واستخلافه عليهم، وتفضيل المسلمين بعضهم على بعض».

﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت — له الأرض واهتز العضاة بأسوق
جزى اللَّه خيراً من إمام وباركت — يـد اللَّه في ذاك الأديم الممـزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها — بوائق في أكمامهـا لم تفتـق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة — ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق[١]

الشيعة يقولون: موت عمر يوم العيد الأكبر:

أحدث الشيعة عيـداً سمّوه عيد (بابا شجـاع الدين) الذي لقبـوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) قاتل عمر. وأول من أحدثه أحمد بن إسحاق بن عبد اللَّه القمي الأحوص شيخ الشيعة القميين ونسبه زوراً لأئمة أهل البيت[٢].

• «قال أحمد بن إسحاق: هذا اليوم[٣] يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية»[٤].

• ويقول هؤلاء الزنادقة:

«إن اللَّه أمر الكرام الكاتبين يوم قُتل عمر أن يرفعوا الأقلام ثلاثة أيام عن

(١) «كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٢٧)، و«مناقب أمير المؤمنين عمر» ص(٢٢٤).
(٢) «كتاب الخصال» لابن بابويه القمي ص(٨١) ـ ط. طهران.
(٣) أي: يوم مقتل عمر رضي الله عنه.
(٤) «مختصر التحفة الاثنى عشرية» للدهلوي اختصره السيد محمود شكري الألوسي ص(٢٠٩) ـ السلفية.

جميع الخلائق فلا يكتبون ذنبًا على أحد كما رواه علي بن مظاهر الواسطي عن أحمد بن إسحاق القمي عن العسكري عن النبي ﷺ فيما حكاه عن ربه جل جلاله»[١] .

ونرد على هؤلاء الزنادقة بقول علي رضي الله عنه في كتابه إلى معاوية رضي الله عنه بعد ما ذكر أبا بكر وعمر: «لعمري إن مكانهما لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما اللَّه تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا»[٢] .

● وذكر عبد اللَّه بن مسعود عمر فبكى حتى ابتل الحصى من دموعه، وقال: «إن عمر كان حصنًا حصينًا للإسلام، يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام»[٣] .

وقال رضي الله عنه: «واللَّه إني لأحسب العضاة قد وجدت فقد عمر»، وفي رواية: «واللَّه ما أحسب شيئًا إلا وقد دخل عليه فقدُ عمر، حتى العضاة»[٤].

● وقال أبو طلحة الأنصاري: «واللَّه ما أهل بيت من المسلمين، إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم»[٥] .

● وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «من رأى ابن الخطاب، علم أنه خلق غناء للإسلام».

● وقالت أم أيمن يوم أصيب عمر: «اليوم وهى الإسلام»[٦] .

● وقال الحسن البصري: «أي أهل بيت لم يجدوا فقده، فهم أهل بيت سوء».

---

(١) «مختصر التحفة» ص(٢٩٦).

(٢) «مختصر التحفة» ص(١٣٧).

(٣) «مناقب أمير المؤمنين عمر» لابن الجوزي ص(٢٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٢).

(٤) «مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٤٨)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٧٣).

(٥) «مناقب أمير الؤمنين» ص(٢٥٠).

(٦) «مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٥١)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٢).

● وقال مجاهد: «كنا نتحدث أن الشياطين مصفدة في زمن عمر، فلما قُتل وثبت في الأرض»[(١)].

● وأما عدو اللَّه أبو لؤلؤة فلقد قال عنه أمير المؤمنين عمر: «لقد طعنني أبو لؤلؤة، وما أظنه إلا كلبًا حتى طعنني الثالثة»[(٢)]. أي واللَّه هو واللَّه كلب العجم وللَّه در حسان بن ثابت حين يقول:

وفجعنا فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيب[(٣)]

* * *

وفاة ذي النورين
أمير البررة وقتيل الفجرة وهو صائم

● عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكًا له، ودعا بسراويل فشدّها عليه ـ ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ـ، وقال: إني رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقُتل وهو بين يديه[(٤)].

●وعن سعيد بن مسلم بن بانك، عن أبيه:

أن عثمان بن عفان قال متمثلاً يوم دُخل عليه فقُتل:

أرى الموتَ لا يُبقي عزيزاً ولم يَدَعْ لعادٍ مِلاكًا في البلاد ومرتقا

(١)«مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٥١).

(٢)«مناقب أمبر المؤمنين عمر» ص(٢١٦).

(٣)«ديوان حسان» ص(٣٨).

(٤)قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): رواه عبد اللَّه وأبو يعلى في «الكبير» ورجالهما ثقات.

وقال أيضًا:

يُبَيِّتُ أهلَ الحصْنِ والحِصْنُ مغلقٌ ... ويأتي الجبالَ في شماريخها العُلا[١]

● ودخل عليه ـ وهو محصور ـ الحسن بن علي وعليه سلاحه فقال: يا أمير المؤمنين، ها أنذا بين يديك فمرني بأمرك.

فقال له عثمان: يا ابن أخي وصلَتك رَحِم. إن القوم ما يريدون غيري، واللَّه لا أتوقَّى بالمؤمنين، ولكن أوقِّي المؤمنين بنفسي.

فقال له أبو قتاده: يا أمير المؤمنين، إن كان من أمرك كون، فما تأمر؟

قال: انظروا ما أجمعت عليه أمة محمد، فإن اللَّه لا يجمعهم على ضلالة. كونوا مع الجماعة حيث كانت.

قال بشار بن موسى العجلي: فحدّث به حماد بن زيد، فرقّ، ودمعت عينه وقال: رحم اللَّه أمير المؤمنين، حُوصر نيّفًا وأربعين ليلة، لم تبدُ منه كلمة يكون لمبتدع فيها حجة[٢].

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل تسبيحًا وقرآنا[٣]

ورضي اللَّه عن حسان إذ يقول أيضًا:

يا للرجال لدمع هاجع بالسنن ... إني عجبتُ لمن يبكي على الدمن
إني رأيت أمين اللَّه مضطهدًا ... عثمان رهنًا لدى الأحداث والكفن
يا قاتل اللَّه قومًا كان شأنهم ... قتل الإمام الأمين المسلم الفطنِ
ما قاتلوه على ذنبٍ ألمّ به ... إلا الذي نطقوا بوقًا ولم يكنِ
إذا تذكرته فاضت بأربعة ... عيني بدمع على الخدين محتتن[٤]

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٥٧).

(٢) ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، «المختصر» (١٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، وابن قدامة في «الرقة والبكاء» ص(١٩٢ ـ ١٩٣)، وأورده ابن أبي الدنيا في «كتاب المحتضرين» ص(٥٩).

(٣) «ديوان حسان» ص(٤٠٩).

(٤) «ديوان حسان» ص(٤١١).

استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقتل أشقى الآخرين له

عن محمد بن علي بن أبي طالب أنّ عليًّا لما ضُرِب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا اللَّه» حتى قبضه اللَّه(١).

قال عمران بن حِطّان شاعر الخوارج في قتل عبد الرحمن بن ملجم لأميرِ المؤمنين علي.

يا ضربــة من مُنيب مــا أراد بهــا ... إلاّ ليبلغَ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكــره يــومًا فــأحســبه ... أوفى البريــة عند اللَّه ميزانا

قال عبد القاهر البغدادي رادًّا عليه.

يا ضربــةً مِن كفور ما استفاد بها ... إلا الجزاء بما يصليه نيرانا
إني لألعنــه دينـًا، وألعن مَنْ ... يرجو له أبدًا عَفْوًا وغفرانا
ذاك الشـقيُّ لأشـقى النــاسِ كلّهمُ ... أخفّهم عند رب الناس ميزانا(٢)

***

أمين الأمة الشهيد أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه

● عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

«إني كنت مع أبي عبيدة، وإن الطاعون وقع بالشام، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا، فإني أعـزم عليك، إن أتاك مصبحًا أن لا تمسي حتى تركب، وإن أتــاك ممسيًا أن لا تصبح حتى تركب إليّ، فقد عرضت

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٦١)، و«الثبات عند الممات» (١٠٣).

(٢) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص(٩٣) ـ دار المعرفة.

لي إليك حاجة، لا غنى لي عنك فيها. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين يستبقي مَن ليس بباق. فكتب إليه أبو عبيدة: إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين فحلِّلني من عزمتك. فلما جاء عمر الكتاب بكى، فقيل له: توفي أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قَدْ ـ أي قرب ـ(١) .

أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس «وأرسل معاذ بن جبل الحارث بن عُميرة إلى أبي عُبيدة، يسأله: كيف أنت؟ فأراه أبو عبيدة طعنة بكفه، فبكى الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة، وفرق منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة باللَّه، ما يحبُّ أن له مكانها حُمْر النَّعَم»(٢) .

خال رسول اللَّه ﷺ سعد بن أبي وقاص يخبئ ثوبه يوم بدر كفنًا له

عن ابن شهاب الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما حضرته الوفاة، دعا بخلَق جبة له من صوف فقال: كفِّنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنتُ أُخبِّئُها لهذا اليوم(٣) .

للَّه درك يا سعد وما أحلى كلامك.

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده»، والطحاوي في «معاني الآثار»، والبيهقي، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون في فضل الطاعون» تحقيق أحمد عصام عبد القادر ص(٢٧١) ـ دار العاصمة ـ الرياض.

(٢) إسناده حسن: أخرجها البزار، والطبراني. وحسّن إسناده ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون» ص(٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) «وصايا العلماء عند حضور الموت» ص(٤٥)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٣١٦)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥)، وقال: رجاله ثقات إلا أن الزهري لم يدرك سعدًا.

• وعن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضى. فبكيت، فرفع رأسه إليّ، فقال: أيْ بنيّ ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن اللَّه لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة.

قال الذهبي: صدق واللَّه، فهنيئًا له[١].

عبد الرحمن بن عوف ﷺ ممّن كتب اللَّه لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم

عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: «غُشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجلّلوه. فأفاق يكبّر، فكبّر أهل البيت، ثم قال لهم: غشي عليّ آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب اللَّه لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء اللَّه، فعاش بعد ذلك شهرًا»[٢].

وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألف دينار في سبيل اللَّه، فكان الرجل يُعطى منها ألف دينار.

وعن الزهري أن عبد الرحمن أوصى بألف فرس في سبيل اللَّه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٢٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١/ ١٠٤).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٧)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٦٧)، وابن سعد (٣/ ١/ ٩٥)، والحافظ في «المطالب العالية» (٤٠٠٧)، وقال البوصيري: إسناده صحيح. وذكره صاحب «كنز العمال» (٣٦٦٨٩)، ونسبه إلى أبي نعيم، وابن عساكر.

وعنه أن عبد الرحمن أوصى للبدرين، فوجدوا مئة، فأعطى كل واحد منهم أربعمئة دينار، فكان منهم عثمان، فأخذها[(١)] .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: رأيت سعداً في جنازة عبد الرحمن ابن عوف، وهو بين يدي السرير، وهو يقول: وا جَبَلاه[(٢)] .

وقال علي بن أبي طالب يوم مات عبد الرحمن: اذهب يا ابن عوف! فقد أدركت صَفْوَها وسَبَقْت رَنْقَها[(٣)] .

موت الحسن بن علي ريحانة رسول الله ﷺ

● عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللَّهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس عليّ[(٤)] . فكان مما صنع اللَّه له أن احتسب نفسه عنده.

● وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال:

« لما أن حضر الحسن بن عليّ الموت، بكى بكاء شديدًا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي، وإنما تقدم على رسول اللَّه ﷺ وعلى عليّ وفاطمة وخديجة وهم ولَدوك، وقد أجرى اللَّه لك على لسان نبيه أنك «سيد شباب أهل الجنة»، وقاسمت اللَّه مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت اللَّه

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٩٠).
(٢) «الحاكم (٣/ ٣٠٨)، والذهبي في «السير» (١/ ٩٠).
(٣) إسناده صحيح: أخرجه الطبراني (٢٦٣) في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٠)، وابن سعد، والذهبي في «السير» (١/ ٩٠).
(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٣)، و«وصايا العلماء» ص(٦٤)، رقبة بن مسقلة، بالسين والصاد - ثقة، بين وفاة الحسن ووفاة رقبة تسعة وسبعون عامًا ولم يرو عن الحسن بن عليّ.

على قدميك خمس عشر مرة حاجًا؟ وإنما أراد أن يطيّب نفسه.

قال: فواللَّه ما زاده إلا بكاء وانتحابًا، وقال: يا أخي، إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط[1] .

مقدام العلماء معاذ بن جبل ﷺ :
«اخنق خنقك، فوعزتك إني أحبك»

عن الحارث بن عميرة، أنه قدم مع معاذ من اليمن، فمكث معه في داره وفي منزله، فأصابهم الطاعون، فطعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك، ﷺ في يوم واحد، وكان عمرو بن العاص، حين خُبِّر بالطاعون، فرق فرقًا شديدًا، وقال: يا أيها الناس تفرّقوا في هذه الشعاب، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزًا [أو طاعونًا]، فقال له شرحبيل ابن حسنة:كذبت، قد صحبنا رسول اللَّه ﷺ وأنت أضلّ من حمار أهلك. فقال عمرو: صدقت.

وقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص: كذبت، ليس بالطاعون ولا الرجز ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، اللَّهم فآت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال: فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يكنى به. فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن: يا أبة: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[البقرة: ١٤٧]. فقال معاذ ﷺ: وأنا ستجدني إن شاء اللَّه من الصابرين. فمات من ليلته ودفن من الغد. . . ثم إن معاذًا ﷺ اشتد به نزع

(١)«كتاب المحتضرين» ص(١٧٤)، ومختصرًا في «تهذيب الكمال» (٦/ ٢٥٤).

الموت، فنزع أشد العالم نَزْعَة. فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه فقال: اخنقني خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أني أحبك»(١).

وعند ابن سعد: ثم طعنت امرأتاه فهلكتا، وطعن هو في إبهامه، فجعل يمسها بفيه ويقول: اللَّهم إنها صغيرة، فبارك فيها. فإنك تبارك في الصغير حتى هلك(٢).

● وعن عمرو بن قيس:

أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟

قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتِيَ فقيل له: قد أصبحت.

قال: أعوذ باللَّه من ليلة صباحها إلى النار. مرحبًا بالموت. مرحبًا، زائر مُغِب(٣) حبيب جاء على فاقة. اللَّهم إنك تعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري(٤) الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات(٥)، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر(٦)»... من أجل هذا يعيش مقدام العلماء، وعلى الشوق والحب للَّه يموت.

* * *

(١) إسناده حسن: سبق تخريجه. «بذل الماعون في فضل الطاعون» ص(٢٦٦ ـ ٢٧٠).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٨٩).
(٣) أي: قليل الزيارة.
(٤) كري الأنهار أي: حفرها.
(٥) أي: صيام نهار الصيف، وقيام ليل الشتاء.
(٦) «الزهد» لأحمد (٢/ ١١٦)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٥٠١)، و«الثبات عند الممات» (١/ ١١٩)، و«كتاب المحتضرين» (١١١).

وفاة عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه

أشتهي مغفرة اللَّه ورضوانه

● عن عبيد بن سعيد قال: بكى عبد اللَّه عند الموت، فقيل له: أتبكي وقد صحبت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؟

فقال: وكيف لا أبكي وقد ركبتُ ما نهاني عنه، وتركتُ ما أمرني به، وذهبت الدنيا لحالِ بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني الرجال، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر[1].

● وعن علقمة قال: اشتكى عبد اللَّه، فلم أره في وجع كان أرمض[2] منه في ذلك الوجع، فقلت له في ذلك فقال: إني خشيت أن أكون لما بي أنه أخذني وأقرب بي من الغفلة[3].

● وعن قيس بن أبي حازم قال: دخل عثمان على عبد اللَّه يعوده، فقال له عثمان: كيف تجدك؟

قال عبد اللَّه: مردودٍ إلى مولاي الحق.

قال له عثمان: طيبًا، أو طبت[4].

● وعن أنس بن مالك قال: دخلنا على عبد اللَّه بن مسعود نعوده في مرضه فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟

قال: أصبحنا بنعمة اللَّه إخوانًا.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٨).

(٢) أي: أشد وجعًا.

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٥٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٩٠)، و«الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(٥١٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٦٨).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٢).

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان.

قلنا: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟

قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي.

قلنا: ما تشتهي شيئًا؟

قال: أشتهي مغفرة اللَّه ورضوانه.

قلنا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني(١).

● عن أبي ظبية قال: مرض عبد اللَّه، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه(٢).

أبو هريرة رضي الله عنه: أبكي على بُعْد سفري، وقلة زادي

● عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صُعود، ومهبطُه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي(٣).

اللَّهم إني أحب لقاءك:

● وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه في شكواه الذي مات فيه. فقال: شفاك اللَّه. فقال أبو هريرة: اللَّهم

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٢٣٨ ـ ٢٣٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٧٠).

(٢) «السير» (١/ ٤٩٨).

(٣) «الزهد» لابن المبارك ص(٣٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٤/ ٣٣٩)، و«وصايا العلماء» ص(٥٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٩، ٢٠٠ ـ ٢٠١)، وانظر: «السير» (٢/ ٥٧٨ ـ ٦٣٢) ترجمة أبي هريرة.

إني أُحِبُّ لقاءك فأحبّ لقائي. فما بلغ مروانُ أصحاب القطا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ(١). هكذا حياة الأحباب وموت الصالحين.

● وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته، فقلت: اللَّهم اشفِ أبا هريرة. فقال: اللَّهم لا ترجعها. قالها مرتين. ثم قال: إن استطعت أن تموت فمُت، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء. وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه(٢).

صدق أبو هريرة ونصح فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبرالرجل فيقول: يا ليتني مكانه»**(٣).

حكيم الأمة أبو الدرداء يشتهي الجنة

● عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على أبي الدرداء في اليوم الذي قبض فيه وكان عندهم كأنفسهم ـ فجعل أبو مسلم يُكبِّر، فقال أبو الدرداء: أجلْ هكذا فقولوا، فإن اللَّه إذا قضى قضاء أحب أن يرضى(٤).

● وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي!

قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٣٩)، و«السير» (٢/ ٦٢٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣١).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥)، و«طبقات ابن سعد» (٣٣٨/٤)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤).

(٣) رواه البخاري ـ كتاب الفتن ـ باب لا تقوم الساعة حتى يُغَبط أهلُ القبور.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٠٩).

قال: هو أضجعني[١].

● وعن أبي مسلم قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ثم قُبض[٢].

● قالت أم الدرداء: لما احتضر أبو الدرداء، جعل يقولُ: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا[٣]؟

رضي اللَّه عن حكيم الأمة القائل: «إن لنا داراً لها نعمل، وإليها نظعن، والمخف فيها خير من المثقل[٤]».

سيدنا بلال: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه

● عن سعيد بن عبد العزيز: «قال بلال حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه. قال: تقول امرأته: وا بلالاه[٥].

قال: يقول هو: وا فرحاه»[٦].

* * *

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٨)، و«الحلية» (١/ ٢١٨)، و«الزهد» لأحمد (١٣٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٧).
(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٩).
(٣) انظر: «السير» ترجمة أبي الدرداء (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٥٣).
(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٣٨).
(٥) في رواية ابن أبي الدنيا و«السير»: «وا ويلاه».
(٦) «الثبات عند الممات» ص(١٠٨)، و«السير» (١/ ٣٥٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨).

حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما

حبيب جاء على فاقة

● عن زياد ـ مولى ابن عباس ـ عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللَّهم إنك تعلم لولا أني أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللَّهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة. لا أفلح من ندم[1].

● وعن أبي مسعود قال: أُغمي على حذيفة، فأفاق في بعض الليل فقال: يا أبا مسعود، أي الليل هذا؟ قال: السَّحَر. قال: عائذ باللَّه من جهنم مرتين[2].

● وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟

قال: أشتهي الجنـة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضني. لقد عشت فيكم على خلال ثلاث:

لَلْفقر فيكم أحب إليّ من الغنى، وللضَّعة فيكم أحبّ إليّ من الشرف، وإن من حمدني منكم ولامني في الحق سواء.

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٢١ ـ ١٢٢)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٣٦).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٣٨٠)، و«وصايا العلماء» ص(٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٥)، و«كتاب الثبات» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللَّهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم[١].

السلف الخيِّر عثمان بن مظعون رضي الله عنه
ذهب ولم يتلبّس من الدنيا بشيء

• عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون[٢].

لو لم يكن لعثمان من فضيلة عند موته إلا حب النبي ﷺ لكفاه شرفًا، وكرامة أخرى وفضيلة يُرصع بها جبين عثمان.

• لما مُرّ بجنازة عثمان بن مظعون قال رسول اللَّه ﷺ: **«ذهبت ولم تلبّس منها بشيء»**[٣].

عن أم العلاء ذكرت أن عثمان بن مظعون اشتكى عندهم، فمرّضناه حتى توفي، فأتى رسول اللَّه ﷺ، فقلت: شهادتي عليك أبا السائب، لقد أكرمك اللَّه! فقال رسول اللَّه ﷺ: **«وما يدريك؟»**، قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه فمن؟ قال: **«أما هو فقد جاءه اليقين، واللَّه إني لأرجو له الخير، وإني لرسول اللَّه، وما أدري ما يفعل بي»**. قالت: فواللَّه لا أزكي بعده

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٢٢)، و«الحلية» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦١٤).

(٢) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث صحيح، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، والحديث حسن بشواهده.

(٣) أخرجه مالك في «الجنائز» يرسله ووصله ابن عبد البر عن عائشة.

أحداً. قالت: فأحزنني ذلك، فنمت، فرأيت لعثمان عينًا تجري، فأخبرت رسول اللَّه ﷺ، فقال: «ذاك عمله»[١].

سلمان الخير... سلمان بن الإسلام

سلمان الفارسي

«لي اليوم زوّار، لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ»

● عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول اللَّه ﷺ، لم نحفظه. قال: «ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». وأما أنت يا سعد فاتق اللَّه في حُكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا نُفيقة كانت عنده[٢].

● وعن الحسن قال: بكى سلمان عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضِنّاً[٣] بدنياكم، ولا جزعًا من الموت، ولكن قلة الزاد، وبُعد المفاز[٤].

● وعن امرأة سلمان بقيرة قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني - وهو في علية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب فإني لي اليوم زوار[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار»، وفي «الجنائز»، وفي «الشهادات»، وفي «التعبير»، وعبد الرزاق في «المصنف».

(٢) «حلية الأولياء» (١/١٩٥، ١٩٦)، (٢/٢٣٧)، و«مسند أحمد» (٥/٤٣٨)، وانظر: «السير» ترجمة سلمان (١/٥٠٥ - ٥٥٨).

(٣) ضَنًّا: بفتح الضاد وكسرها، أي: بخلاً وحرصًا.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٣ - ٢٢٤).

(٥) وفي رواية: «إنه يحضرني خلْق من خلق اللَّه عز وجل - يجدون الريح ولا يأكلون الطعام».

لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له، ثم قال: أديفيه في قور[١] ففعلتْ، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي وامكثي فسوف تطلعين فترينني علي فراشي، فاطلعت، فإذا هو قد مات[٢].

وفي «الحلية»: فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه.

نعم... مسك أصابه يوم فتح «جَلْولاء» يكون عطر مماته... وآن له أن يرتوي وينهل فقد برّح الشوق به إلى محمد وحزبه.

عُمَيْر بن أبي وقاص أخو سعد يحب الخروج لعلّ اللَّه يرزقه الشهادة

● عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول اللَّه ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي: فقال: إني أخاف أن يراني رسول اللَّه ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل اللَّه يرزقني الشهادة، قال: فُعِرض على رسول اللَّه ﷺ فاستصغره فقال: «ارجع»، فبكى عمير فأجازه رسول اللَّه ﷺ. قال سعد: فكنتُ أعقد له خمائل سيفه من صغره فقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ[٣].

* * *

(١) أدافه: خلطه وأذابه في الماء، والقوْر: إناء صغير.

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٢٠ ـ ١٢١)، و«الحلية» (١/٢٠٨)، و«وصايا العلماء عند الموت» ص(٤٤).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧ ـ ١٠٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/١٤٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٩٤)، وأخرجه أبو يعلى والحاكم.

عُمَير بن الحُمَام أول شهيد من الأنصار في الأسلام

«بَخٍ بَخٍ»

● عن أنس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: **«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»**. فقال عمير: يا رسول اللَّه، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: **«نعم»**. قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟»**. قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: **«فإنك من أهلها»**. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل(١).

للَّه دره كم كان شوقه عارمًا إلى الجنة.

عبد اللَّه بن جحش بن رياب(٢)

جُدع أنفه وأذنه في اللَّه مثل ما تمنّى

● عن سعد بن أبي وقاص أن عبد اللَّه بن جَحش قال له يوم أحد: ألا تدعو اللَّه فخلوْا في ناحية فدعا عبد اللَّه بن جحش فقال:

«يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقّني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلتَ: يا عبد اللَّه: مَنْ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول:

---

(١) أخرجه مسلم، وأحمد، وابن سعد في «الطبقات».

بخٍ بخٍ: كلمة تطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

(٢) أمه عمة رسول اللَّه ﷺ، وهو صاحب أول لواء عقد في الإسلام وأول مغنم قسم في الإسلام، وصاهر رسول اللَّه ﷺ بأخته زينب، وهو أول من تسمى أمير المؤمنين في السرية إلى نخلة.

صدقت. قال سعد: لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط»(١).

عامر بن فُهَيْرة

فاز ورب الكعبة ووارت جثته الملائكة وأسلم قاتله

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت واللَّه! قال: وذُهِب بعامر عُلُوًّا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليّين**»، وسأل جبّار بن سُلْمَى ما قوله فُزت واللَّه، قالوا: الجنة. قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه.

قالت عائشة رضي الله عنها: رُفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرونْ أن الملائكة وارته(٢).

موت سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري

يحث قومه على الشهادة

● عن يحيى بن سعيد قال:

لما كان يوم أحد قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يأتيني بخبر سعد بن الربيع**»، فقال رجل: أنا يا رسول اللَّه فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال

(١) «حلية الأولياء» (١/١٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٨٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٣٠٢)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٣١).

له سعد بن الربيع، ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه فأقرئه مني السلام. وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة. وأنْ قد أُنفِذَتْ مقاتلي، وأخبر قومك: أنه لا عذر لهم عند اللَّه إن قُتِل رسول اللَّه ﷺ وأحد منهم حي[١].

أنس بن النضر رضي الله عنه

«الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد»

● لما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللَّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: المشركين ـ ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول اللَّه ما صنع. قال أنس[٢]: فوجدنا به بضعًا وثمانين: ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مَثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى ـ أو نظن ـ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ إلى آخر الآية»[٣].

يا ابن النضر: طهرت منكم الأنوف فشممتم عبير الجنة وأنتم في دار الدنيا، ونحن زُكمت أنوفنا بجيف الدنيا وعطر الكاسيات العاريات فلم يبق للجنة موضع فيها.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/٥٢٣)، و«صفة الصفوة» (١/٤٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١١٢).

(٢) أي: أنس بن مالك راوي الحديث.

(٣) أخرجه البخاري.

موت سعد بن خيثمة الأنصاري رضي الله عنه

«لو كان غير الجنة آثرتك به»

● أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول اللَّه ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقُتل ببدر(١).

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن ثعلبة

«يا آل الأنصار، كرّةً كيوم حُنين»

● عن جعفر بن عبد اللَّه بن أسلم قال:

لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول من جرح أبو عقيل، رُمِي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فأخرج السهم فوَهن له شقة الأيسر، وجُرّ إلى الرحل، فلما حَمِي القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عديّ يصيح: يا آل الأنصار، اللَّه اللَّه والكرة على عدوكم، قال عبد اللَّه بن عمر: فنهض أبو عقيل. فقلتُ: ما تريد؟ قال: قد فَوّه المنادي باسمي. فقلت: ما يَعني الجرْحى. فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً. فتحزّم وأخذ السيف، ثم جعل ينادي: يا آل الأنصار، كرّةً كيوم حنين. قال ابن عمر: فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل، فقال:

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١١١، ١١٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٤٨٢).

لبيك، بلسان مُلْتاث[١]، لمن الدَّبْرَة[٢]؟ فقلت: أبشر قد قتل عدو اللَّه[٣]. فرفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء يحمد اللَّه ومات يرحمه اللَّه. قال ابن عمر: فأخبرتُ عمر فقال: رحمه اللَّه، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها[٤].

موت سالم بن معقل مولى أبي حذيفة رضي الله عنه «هكذا موت القرّاء في الميدان»

للَّه در سالم من سيد... للَّه دره من قارئ.. للَّه دره من بدري..

هو أحد القرّاء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم... فلما كان يوم اليمامة وانكشف صف المسلمين حفر سالم لنفسه حفرة وتحنط بحنوطه وأمسك براية المهاجرين، فقالوا له: يا سالم، إنا نخشى أن نؤتى من قِبَلك. فقال رضي الله عنه: بئس حامل القرآن إذًا أنا.

قال ابن الجوزي: «حضر اليمامة فأخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم شاله[٥] بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء، وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى أن قتل»[٦].

وهكذا يموت سيد القرّاء في الميدان... ومن أولى بهذا منه، وقد قال

---

(١) ملتاث: ثقيل، بطيء في الكلام.

(٢) لمن الدبرة: تفتح الباء وتسكن، ويقال: على من الدبرة أيضًا أي: الهزيمة.
ولمن الدبرة: أي: لمن الدَّوْلة والظفر.

(٣) أي: مسيلمة الكذاب.

(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٦)، و«الثبات» ص(١١٠ ـ ١١١)، و«طبقات ابن سعد» باختصار (٣/ ٤٧٤).

(٥) أي: رفعه.

(٦) «الثبات عند الممات» ص(١٠٤)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٨٥).

فيه رسول اللَّه ﷺ: «الحمد للَّه الذي جعل في أمتي مثله»[١] .

موت ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار رضي الله عنه

«خلّوا بيننا وبينهم ساعة»

نعم الرجل ثابت!

عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنّط ولبس ثوبين أبيضين يُكفن فيهما. وقد انهزم القوم فقال: اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتم أقرانكم، خلّوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قُتل»[٢] .

عمرو بن الجموح سيد بني سلمة رضي الله عنه

«إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة»

كان رضي الله عنه أعرج فلم يشهد بدرًا، فلما حضرت أُحد أراد الخروج فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك اللَّه فأتى رسول اللَّه ﷺ فقال: إنّ بنيّ يريدون أن: يحبسوني عن الخروج وإني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال: **«أما أنت فقد عذرك اللَّه»**، وقال لبنيه: **«لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل اللَّه عز وجل يرزقه الشهادة»**، فتركوه، قالت امرأته: فكأني أنظر إليه مُوليًا قد أخذ درقته، وهو يقول: اللَّهم لا تردني إلى حزبي، وهي منازل بني سلمة، فقتل هو وابنه خلاد[٣] .

---

(١) أخرجه البزار، ورجاله ثقات. انظر: «الإصابة» (٢/٧).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر: «الثبات عند الممات» ص(١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٢٠٦).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٢٦).

خبيب بن عديّ رضي الله عنه
«فلستُ أبالي حين أُقتَل مسلمًا»

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينًا وأمّرَ عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهِدَة بين عُسفان ومكة ذُكروا لحيّ من هُذَيل يُقال لهم بنو لِحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم. فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. ثم قال: اللّهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خُبيب وزيدُ بن الدِّثِنَة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيِّهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، واللّه لا أصحَبكم، إن لي بهؤلاء أسوة ـ يريد القتلى ـ فجرّروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم. فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيبًا ـ وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ـ فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها، فأعارته، فدرج بُنيّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلِسه في فخذه والموسى بيده. قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك. قالت: واللّه ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبيب، واللّه لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه اللّه خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ قال لهم خبيب: دعوني

أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: واللَّه لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزع لزدت. ثم قال: اللَّهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبق منهم أحدًا. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أُقتل مسلمًا على أي جنبٍ[١] كان للَّه مصرعي
وذلكَ في ذاتِ الإلـه وإن يشأْ يُبارِكْ على أوصالِ[٢] شِلوٍ[٣] مُمَزّعِ[٤]

ثم قام إليه أبو سِرْوعة عقبة بن الحارث فقتله. وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم قُتِل صبراً الصلاة»[٥].

موت زيد بن الدّثِنَة رضي الله عنه

«ما أحب أن محمدًا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه»

استؤثر يوم الرجيع مع خبيب فقدّموه للقتل فقالوا: ننشدك اللَّه أتحبُّ أنك الآن في أهلك، وأن محمدًا مكانك، فقال:

«واللَّه ما أحب أن محمدًا يُشاك في مكانه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي»[٦].

* * *

(١) في رواية باب غزوة الرجيع من كتاب المغازي من «صحيح البخاري»: على أي شِقٍّ.
(٢) أوصال: جمع وصل، وهو العضو.
(٣) الشّلو: الجسد، وقد يُطلق على العضو ولكن المراد به: الجسد.
(٤) الممزّع: المقطع.
(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي من «صحيحه» ـ باب (١٠) ـ وفي باب غزوة الرجيع، ورواه أيضًا في كتاب الجهاد باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر؟، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد باب من الرجل يستأسر.
(٦) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٨).

حرام بن ملحان رضي الله عنه
«فُزْت ورب الكعبــة»

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما طُعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فُزْت وربِّ الكعْبة»(١).

أبو بكرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم
«ما في الأرض نفسٌ أحبُّ إليّ أن تكون خرجت من نفسي هذه»

عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي:

أن أبا بكرة لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقُل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردها إن كان صادقًا؟

قالوا: وما يُغني الآن؟

قال: ولا قبلُ!

قال: فجاءت ابنته أَمَةُ اللَّه، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنيّة لا تبكي.

قالت: يا أبتاه، فإن لم أبك عليك فعلى مَن أبكي؟

قال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده ما في الأرض نفس أحبّ إليّ تكون

(١) أخرجه البخاري.

خرجت من نفسي هذه، ولا نفْس هذا الذباب الطائر.

ثم أقبل على حُمران - مولى عثمان بن عفان - وهو عند رأسه - فقال: ألا أخبرك لماذا خشيته؟ والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام[(١)] .

عمّار بن ياسر الطيّب المُطيّب

«أَزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين»

● عن أبي البَختري قال: قال عمّار يوم صفِّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر شَرْبَة تشربها من الدنيا شربة لبن**»[(٢)] ، ثم تقدم فقُتِل[(٣)] .

وفي رواية: «ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه»[(٤)] .

● وعن سعد بن إبراهيم الزهري عن أبيه عمن حدّثه: سمع عماراً بصفين يقول: أزِفت الجنان، وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ[(٥)].

● وعن ابن أبي خالد، عن قيس أو غيره: قال عمار: ادفنوني في ثيابي، فإني رجل مخاصَم[(٦)] .

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١١٥ - ١١٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٦/ ١٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، وابن سعد (٣/ ١/ ١٨٤)، والحاكم (٣/ ٣٨٩).

(٣) «السير» (١/ ٤٢٥).

(٤) «الثبات عند الممات» ص(١٠٨).

(٥) «السير» (١/ ٤٢٥).

(٦) «السير» (١/ ٤٢٦).

موت خالد بن الوليد رضي الله عنه

سيف الله، وفارس الإسلام

«لا نامت أعين الجبناء»

● عن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما احتُضِر بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء[١].

رضي الله عن البطل سيف الله الذي قال: ما من ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أحبّ إليّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أُصبّحُ فيها العدو[٢].

● وعن أبي وائل قال: لما حضرت خالدًا الوفاةُ، قال: لقد طلبت القتل مظانّه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس، والسماء تهلّني ننتظر الصبح؛ حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا مت، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله»[٣].

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

«اللّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي»

● عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد: خذ

---

(١) «السير» (١/ ٣٨٢). والعير: الحمار.

(٢) «السير» (١/ ٣٧٥)، و«المجمع» (٩/ ٣٥٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) «السير» (١/ ٣٨١)، و«الإصابة» (٣/ ٧٤)، وابن المبارك في «الجهاد»، وإسناده حسن.

درعي، قال: إني أريد من الشهادة مثل ما تريد. فتركاها جميعًا[١] .

● وعن الجحاف بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، ولقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرحال، فجعل زيد يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللَّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: إنا نخاف أن نُؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيتم من قبلي»[٢] .

قال عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأهشّ للصَّبا؛ لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد[٣] .

وقال لمتمم بن نويرة: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك[٤] .

لقد لامني عند القُبُـورِ على البُكـا ... رفيقي لِتَذْرَافِ الدموعِ السَّوافكِ

فقالٍ أَتَبْكِي كُـلَّ قبرٍ رأيتَهُ ... لقبرٍ ثوى بين اللِّوى والدكادكِ

فقلتُ له إِن الشَّجَا يبعثُ الشَّجَا ... فَدَعْني فهذا كلهُ قبرُ مالكِ[٥]

---

(١) «الحلية» (١/ ٣٦٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٤٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٧) باختصار، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٩).

(٣، ٤) «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (٥/ ١١) ـ دار الكتب العلمية.

(٥) «ديوان الحماسة بشرح التبريزي» (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

قال متمم بن نويرة لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، واللَّه لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر بن الخطاب: ما عزّاني أحد عن أخي بمثل تعزيته. «وفيات الأعيان» (٥/ ١١).

موت جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين
«حبّذا الجنة واقترابُها»

للَّه درك من مجاهد أول من عقر في الإسلام.

قال رجل من بني مُرّة بن عوف: لكأنّي أنظر إلى جعفر يوم «مُؤتة» حين اقتحم على فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل[١] .

قال جعفر بعد عقر جواده:

يا حبّذا الجنة واقترابُها طيّبةٌ وبارد شرابُها
والروم رومٌ قد دنا عذابها عَليّ إن لاقيتها ضِرابُها

وروى البخاري عن ابن عمر قال: أمّر رسول اللَّه ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«إِنْ قُتِل زيد فجعفر، وإِنِ قُتل جعفر فعبد اللَّه ابن رواحة»**.

قال عبد اللَّه: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين، من طعنة ورمية.

وفي البخاري عن ابن عمر: أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددْت به خمسين، بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دُبُره، يعني: ظهره.

قال ﷺ : **«رأيت جعفر بن أبي طالب مَلَكا في الجنة مُضَرّجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة»**[٢] .

---

(١) رجاله ثقات، وإسناده قوي.

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه (٣/٢٠٩)، وقال الحافظ في «الفتح» (٧/٧٦): وإسناده جيد.

عبد اللَّه ابن رواحة

«أرشدك اللَّه من غاز وقد رشدا»

عن عروة بن الزبير قال:

لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صحبكم اللَّه، ودفع عنكم.

فقال عبد اللَّه ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ[1] تقذف الزبدا[2]
أو طعنة بيدي حران[3] مجهزة[4] ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا علي جدثي ... أرشدك اللَّه من غازٍ وقد رشدا[5]

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلى، في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم. وقالوا: نكتب لرسول اللَّه ﷺ فنخبره بعدد عدونا. قال: فشجع عبد اللَّه بن رواحة الناس. ثم قال: واللَّه يا قوم: إن الذي تكرهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه تعالى به، فانطلقوا فإنما هي إحدى

---

(١) أي: واسعة. والفرغ: السعة.
(٢) الزبد: رغوة الدم.
(٣) رجل حرّان: شديد العطش، والمراد: حريص على الطعن.
(٤) مجهزة: شديدة القتل.
(٥) «الثبات عند الممات» ص(١١٣).

الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد - واللَّه - صدق ابن رواحة فمضوا[١].

● وعن الحكم بن عبد السلام:

إن جعفر بن أبي طالب حين قُتِل دعا الناس يا عبد اللَّه بن رواحة، وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث. فرمى بالضلع ثم قال: وأنتِ مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا إصبع دَميتِ … في سبيل اللَّه ما لقيتِ
يا نفس إلا تُقْتلي تموتي … هذا حياض الموت قد صليتِ
وما تمنيت فقد لقيتِ … إن تفعلي فعلهما هُديتِ
وإن تأخرتِ فقد شقيتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟ إلى فلانة؟ فهي طالق ثلاثًا. وإلى فلان وإلى فلان - غلمان له -، وإلى معجف - حائط له - فهو للَّه ورسوله ﷺ.

يا نفس ما لكِ تكرهين الجنّةْ … أقسم باللَّه لتنزلنهْ
طائعة أو لتكرهنّهْ … فطالما قد كنتِ مطمئنة
هل أنت إلا نطفة[٢] في شنّهْ[٣] … قد أجلب الناس وشدّوا الرّنّهْ

● عن زيد بن أرقم قال: كنتُ يتيمًا لعبد اللَّه ابن رواحة في حِجْره، فخرج في سفْرته تلك مُرْدفي على حقيبة راحلته، فواللَّه إنا لنسير ليلة إذْ

(١) «الثبات عند الممات» ص(١١٣).
(٢) النطفة: القليل من الماء.
(٣) الشنة: السقاء البالي، فيوشك أن تهراق النطفة، وينخرق السقاء. ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

سمعته يتمثل بأبياته هذه:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مستنهى الثواء[1]
وردك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيتُ، قال: فخفقني بالدرة، وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الشهادة، وترجع بين شعبتي الرَّحل.

وكان للبطل ما تمنّى.

موت البراء بن مالك رضي الله عنه
«يقسم على اللَّه فيَبَرّه»

رضي اللَّه عن الأسد المغوار الذي قال فيه رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم:

«كمْ مِن أشعث أغبر ذي طِمرين لا يُؤبَهُ له، لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك»[2].

● عن أنس قال: دخلت على البراء وهو يتغنّى ويرنّم قوسه، فقلتُ: إلى متى هذا؟ قال: أتراني أموت على فراشي؟! واللَّه لقد قتلت بضعًا وتسعين[3].

استشهد الأسد المغوار يوم فتح «تُسْتَر».

---

(١) أي: حيث انتهى مثواه، أي: لا أريد رجوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي، و«الضياء» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٧٣)، و«تخريج مشكلة الفقر» (١٢٥).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١/ ١٠)، وإسناده صحيح.

● وعن أنس قال: لقي أخي البراء زحفًا من المشركين. فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيّ ﷺ. فمُنحوا أكتافهم وقتل شهيدًا»[١].

وعند الطبري: «اللَّهم اهزمهم لنا، واستشهدني»[٢].

ورزقه اللَّه شهادة في سبيله.

أنس بن مالك رضي الله عنه
يردّد لا إله إلا اللَّه حتى خرجت روحه

● عـن أنـس بـن سيـرين قال: شـهدت أنس بن مالك، وحضره الممات فجعـل يقـول: لقّنـوني لا إله إلا اللَّه فلـم يـزل يقولهـا حتى قبض ـ رحمه اللَّه ـ[٣].

موت عبادة بن الصامت رضي الله عنه
«يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا»

● عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال:

لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، يعني إلى الدار، ثم قال: اجمعوا لي مواليّ، وخدمي وجيراني، ومَن كان يدخل عليّ، فجُمعوا له فقال: إنّ يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعلّه قد فرط مني إليكم بيدي، أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده، القصاص يوم القيامة، وأحرّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصّ مني قبل أن تخرج

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٦٢٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٥).

(٢) «تاريخ الطبري» ص(٥١٠).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٣٣).

نفسي، فقالوا: بل كنت والدًا، وكنت مؤدِّبًا، قال: وما قال لخادم قط سوءًا. فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: اللَّهم اشهد[١].

أبو أيوب الأنصاري، النجاري البدري رضي الله عنه دُفن تحت أسوار القسطنطينية

رفع اللَّه ذكره لما اختار بيته من دون بيوت المسلمين جميعًا لينزل فيه النبي ﷺ وفي شيخوخته كان عجبًا.

• حين جهّز معاوية رضي الله عنه جيشًا بقيادة ابنه «يزيد» لفتح القسطنطينية، وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا في السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، لكنه لم يمض غيرُ قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم تبيَّغ[٢] بي في أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا، فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار به، ثم دفنه. وكان يقول: قال اللَّه: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً...**﴾ [التوبة: ٤١]، لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً.

وعند ابن سعد: عن أبي ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صافقتم العدو، فارموني تحت أقدامكم. أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ، سمعته يقول: «**من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة**»[٣].

وتحت أسوار القسطنطينية دفن أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٤٨ ـ ٤٩).

(٢) «تبيّغ به الدم: أي: تردّد فيه، وعند ابن سعد، وابن عساكر، و«أسد الغابة»: سغ أي: ادخل فيها ما وجدت مدخلاً.

(٣) إسناده قوي: أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥).

النعمان بن مُقَرِّن المُزني قائد فتح الفتوح «اللَّهم اجعل النعمان أول شهيد»

كان مع النعمان لواء مزينة في فتح مكة.

قال ابن مسعود ﷺ: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرِّن».

● وفي نهاوند جمع الفرس مائة وخمسين ألفًا تحت إمرة الفيرزان، وقد قرن بعضهم بعضًا، كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد، وقالوا: مَن فرّ منا عقره حسك الحديد.

وخطب النعمان في جيشه:

«. . . إذا كبّرت التكبيرة الأولى؛ فشدَّ رجل شسعه، وأصلح من شأنه، وليتهيأ من لم يكن تهيأ. فإذا كبّرت الثانية؛ فشدّ رجل إزاره، وليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض، ويتهيأ لوجه حملته. فإذا كبّرت الثالثة فإني حامل إن شاء اللَّه فاحملوا معًا. اللَّهم إني أسألك أن تُقِرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذُلّ يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك. أمِّنوا يرحمكم اللَّه»[1] فأمّن المسلمون وبكوا.

وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة، وهو يحمل الراية ـ وقد رآها المسلمون تنقضّ نحو الأعاجم انقضاض العقاب.

يقول جبير: «فواللَّه ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلاّ وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبْرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة، بعضهم على بعض في قياد فيُقتلون جميعًا، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد

(١) «تاريخ الطبري» (١١٩/٤).

الذي وضعوه خلفهم» واقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً يصفه الرواة بقولهم: «لم يسمع السامعون بوقعة قطّ كانت أشد منها»، واستمر القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام، وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم، وزلق فرس النعمان فلقى النعمان مصرعه. وفي رواية ابن إسحاق وجبير: أنه رُمي بنشابة فأصابت خاصرته فقتلته، وكان أخوه نعيم بن مقرن قريبًا منه، وأسرع نعيم ـ وفي رواية جبير: معقل بن مقرن ـ وسجّى النعمان بثوب، ثم أتى حذيفة بن اليمان في ميمنته فدفع إليه الراية باعتباره خليفة النعمان. وكتموا مصاب النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس. وقتل من الفرس مائة ألف أو يزيدون، وفي رواية أنه قُتل في اللهب[1] ثمانون ألفًا، وفي المعركة ثلاثون ألفًا، مقترنون في السلاسل سوى من قُتل في المطاردة»[2] .

واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا: «أين أميرنا؟»، قال معقل بن مقرن: «هذا أميركم، قد أقرّ اللَّه عينه بالفتح، وختم له بالشهادة».

وفي رواية عن معقل بن يسار قال: «فأتيت النعمان وبه رمَق، فغسلت وجهه من إداوة ماء كانت معي: فقال: مَنْ أنت؟ قلت: معقل، قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح اللَّه ونصره. قال: الحمد للَّه، اكتبوا إلى عمر». ولما أُتي عمر بغنائم نهاوند قال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، فتح اللَّه عليك بأعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن ـ رحمه اللَّه ـ ،فقال عمر: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ثم بكى، فنشج حتى لأنظر إلى فروع منكبه من فوق كتفه... ونشج كأنما أصيب بأعزّ إنسان لديه... وكاد الحزن على النعمان يُنسي عمر فرحة الفتح بهذا النصر الكبير الذي سُمِّي في التاريخ بفتح الفتوح[3] .

---

(١) جرف من خندق أوْ واد عميق.

(٢) «تاريخ الطبري» (١٣٦/٤).

(٣) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٦/٣).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

«ما آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل»

عن سعيد بن جبير قال: لما حضر ابن عمر رضي الله عنهما الموت قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأنّي لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني: الحجّاج(١).

● وقال رضي الله عنه لابنه سالم: يا بني إن أنا مت فادفني خارجًا من الحرم، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجراً، فقال: يا أبت إن قدرنا على ذلك؟ قال: تسمعني أقول لك، وتقول إن قدرنا على ذلك؟ قال: أقول: الحجّاج يغلبنا فيصلي عليك. قال: فسكت ابن عمر(٢).

وقال سالم: أوصاني أبي أن أدفنه خارجًا من الحرم، فلم نقدر فدفنّاه في الحرم بفخ في مقبرة المهاجرين(٣).

وفاة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها

«والله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصب، وتلقيْ محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تُفارق روحك جسدك»

● عن ابن أبي مليكة: أن ذكوان أبا عمرو: حدثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنهما يستأذنُ على عائشة، وهي في الموت. قال: فجئتُ وعند رأسها عبدُ الله

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٦٣).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٨٦).
(٣) «الطبقات» (٤/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

ابن أخيها عبد الرحمن، فقلتُ: هذا ابن عباسٍ يستأذن. قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به، ولا بتزكيته. فقال عبد اللَّه: يا أمه، إن ابن عباس من صالحي بنيك، يودِّعك ويسلِّم عليك. قالت: فائذن له إن شئت. قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فواللَّه ما بينك وبين أن تُفارقي كل نصب، وتلقي محمدًا ﷺ والأحبة، إلا أن تُفارق روحُك جسدك.

قالت: إيهًا، يا ابن عباس! قال: كُنتِ أحب نســاء رسول اللَّه ﷺ - يعني إليه - ولم يكن يُحب إلا طيِّبًا، سقطت قلادتُك ليلة الأبواء، وأصبح رسول اللَّه ﷺ ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل اللَّه ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِباً﴾ [النساء: ٤٢]. فكان ذلك من سببك، وما أنزل اللَّه بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل اللَّه تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد يُذكرُ فيها اللَّه إلا براءتُك تتلى في آناء الليل والنهار. قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فواللَّه لوددتُ أني كنت نسيًا منسيًا[١].

موت أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه
«ما تنطّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»

تِرْب رسول اللَّه ﷺ وأخوه من الرضاعة.

● عن أبي إسحاق قال: قال أبو سفيان بن الحارث لما حضره الموت لأهله: لا تبكوا عليّ، فما تنطَّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»[٢].

وهذا أسمى مثال في الاستقامة.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٧٥ ـ ٧٦)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٥٩ ـ ١٦٠)، و«السير».

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٠)، و«روضة المحبين» ص(٣٤١)، وتنطّف، أي: تلطخ.

الإمام البطل أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب
«أنا أسد اللّه»

● عن جابر مرفوعًا: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله»(١) .

قال عنه وحشي بن حرب قاتله: «خرجت أنظر حمزة - أي يوم أحد - حتى رأيته في عُرْض الناس مثل الجمل الأوْرق(٢) يهدّ الناس بسيفه هدًّا ما يليق شيئًا(٣) .

● وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أحد بين يدي رسول اللّه ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد اللّه(٤) .

فقد رسول اللّه ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: «أنا أسد اللّه وأسد رسوله»(٥) .

ويقتل حمزة يوم أحد أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة كبش قريش، وحامل لوائها.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الصَّفَّار لا يُدرى من هو. ولكن للحديث طريق أخرى يتقوى بها ويصح، أخرجه البغدادي (٦/ ٣٧٧)... وإسناده حسن.

(٢) الذي لونه بين الغبرة والسواد. وسُمِّي كذلك لما عليه من الغبار.

(٣) هذا سيف لا يليق شيئًا: أي لا يمر بشيء إلا قطعه. وعند ابن هشام: ما يقوم له شيء.

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٦)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

● وعن أنس ﷺ قال: لما كان يوم أحد وقف رسول اللَّه ﷺ، على حمزة وقد جُدِع ومُثِّل به، فقال: «**لولا أن تَجِدَ صفية في نفسها، لتركته حتى يحشره اللَّه من بطون السباع والطير**». وكُفِّنَ في نمرة إذا خُمِّر رأسه بدت رجلاه، وإذا خُمِّرت رجلاه بدا رأسه. ولم يصل على أحد من الشهداء. وقال: «**أنا شهيد عليكم**»(١) .

● وعن ابن عباس: «... ثم أمر بالقتلى، فجعل يصلي عليهم بسبع تكبيرات ويرفعون، ويترك حمزة»(٢) .

● وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل اللَّه أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد، قال اللَّه: أنا أبلغهم عنكم فأنزلت: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾** [آل عمران: ١٦٩].

● وعن جابر بن عبد اللَّه، سمعت رسول اللَّه ﷺ، يقول إذا ذكر أصحاب أحد: «**أما واللَّه لوددتُ أني غُودرت مع أصحاب فَحْص الجبل**»(٣) ، يقول: قتلت معهم.

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، وابن سعد (٣/ ١/ ٨)، وأبو داود في «الجنائز» باب في الشهيد يُغسل، والترمذي في «الجنائز» باب ما جاء في قتلى أحد وذكر حمزة. وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه، والبيهقي (٤/ ١٠ ـ ١١)، والطحاوي (١/ ٥٠٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه ابن ماجه، وابن سعد، والحاكم ، وسكت عنه (٣/ ١٩٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٩١)، وإسناده صحيح.

(٣) إسناده قوي: رواه ابن إسحاق، وهو في «المسند» (٣/ ٣٧٥)، وفيه «نحض». وفحص الجبل: سفحه وما بُسط منه.

موت أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ﷺ

«قُبض وهو ساجد في صلاة الليل»

● قال أبو الزاهرية: سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول: إني لأرجو ألا يخنقني اللَّه كما أراكم تخنقون. فبينا هو يصلي في جوف الليل، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأنبهته فوجدته ميتًا(١).

رضي اللَّه عن جُرهم بن ناشم أبي ثعلبة الخشني، وهو أهل لأن يكون من أهل بيعة الرضوان.

موت الصحابي عامر بن ربيعة رضي الله عنه

«اللَّهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك»

● عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة قال: حين نشب الناس في الفتنة، قام أبي يصلي من الليل، ثم نام فأُري في المنام فقيل له: قم فسل اللَّه أن يعيذك من الفتنة ـ قتل عثمان ـ التي أعاذ منها صالح عباده، فقام يصلي ثم اشتكى فما خرج إلا في جنازة.

وفي رواية: «لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله عنه قام أبي يصلي من الليل، وقال: اللَّهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، قال: فما خرج إلا في جنازة»(٢).

***

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١)، «الإصابة».

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ١٧٨).

موت أبي هاشم بن عتبة رضي الله عنه

«ذلك الرجل الصالح»

الصحابي الجليل خال معاوية بن أبي سفيان، وأخي أبي حذيفة بن عتبة، وأخي مصعب بن عمير لأمه وكان الصحابي الجليل أبو هريرة إذا ذكره قال: ذلك العبد الصالح.

جاء معاوية إلى أبي هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده، فقال: يا خال ما يبكيك؟ أوَجع يسئوك، أو حرص على الدنيا، قال: كلا، ولكن رسول اللَّه ﷺ، عهد إليّ عهداً لم آخذ به، قال: **«أما يكفيك من الدنيا خادم ومركب في سبيل اللَّه»**، فأجدني قد جمعت.

● وعن سمرة بن سهم قال: نزلتُ على أبي هاشم بن عُتبة وهو طعين، فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ أوَجَع يُشئزك[1] ؟ أم حرص على الدنيا؟ فقد ذهب صفوها، فقال على كُلٍّ: لا، ولكن رسول اللَّه ﷺ عهد إليّ عهداً، فوددت أني اتبعته، إن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لعلّك أن تدرك أموالاً تُقتسم بين أقوام، فإنما يكفيك من جميع المال خادم في سبيل اللَّه عز وجل، فوددت أني اتبعته»**[2] .

---

(١) أي: يقلقك، يُقال: شئز وشئِز فهو مشئوز، وأشأزه غيره، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة.

(٢) رواه الحافظ الربعي في «وصايا العلماء عند الموت» بلفظه ص(٦٥ ـ ٦٦)، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٠)، والترمذي في «سننه» رقم (٢٣٢٨) في «الزهد»، باب رقم (١٩)، وابن ماجه في «الزهد» باب الزهد في الدنيا، ورواه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٤٧٨)، «موارد الظمآن» وهو حديث صحيح. وقد أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٠) مختصراً عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ليكف أحدكم من الدنيا خادم ومركب»**.

موت عبد اللَّه بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه

هذه نهاية فاتح بلاد النوبة:

• عن يزيد بن أبي حبيب، قال: لما احتضر ابن سرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فارًّا من الفتنة فجعل يقولُ من الليل: آصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام! إني لأجدُ برد الصبح فانظر. ثم قال: اللَّهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة وسلم عن يمينه، وذهب يسلمُ عن يساره فقُبضَ رضي اللَّه عنه[1].

موت حكيم بن حزام رضي الله عنه

قيل: إنه دُخل على حكيمٍ عند الموت، وهو يقول: لا إله إلا اللَّه قد كنتُ أخشاك، وأنا اليوم أرجوك[2].

موت الصحابي الجليل
فاتح مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه
«إن أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا اللَّه»

• عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص، عجبًا لمن نزل به الموتُ، وعقله معه كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموتُ، ذكره ابنه بقوله، وقال: صِفهُ. قال: يا بني! الموت أجلُ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبال رضْوى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن

(١) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٣٣ ـ ٣٦).

(٢) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٤٤ ـ ٥١).

نَفَسِي يخرجُ من إبرة.

وفي رواية: واللَّه ليتني كنتُ حيضًا[١] أعركتني الإماء بدريب الإذخر.

● وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جزَع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا، فقال ابنه عبد اللَّه: ما هذا الجزعُ، وقد كان رسول اللَّه ﷺ يُدنيكَ ويستعملك؟! قال: أي بني! قد كان ذلك، وسأخبرك، إي واللَّه ما أدري أحُبًّا كان أم تألُّفًا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية، وابن أم عبد فلما جد به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللَّهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعُنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هِجِّيراه حتى مات[٢].

● وفي رواية عن أبي نوفل قال:

لما جدّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال[٣] من رقبته، فقال: اللَّهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هِجِّيراه[٤] حتى مات[٥].

● وعن محمد بن زياد أن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال:

---

(١) الحِيضة هي: الخرقة التي تستثفر بها الإماء. وعركه: دلكه. والإذخر: نبات.

(٢) انظر: «السير» (٣/ ٥٤ ـ ٧٧)، وفي «كتاب المحتضرين» ص(٩٣): واللَّه يا بني لكأن جنبيّ في تخت، وكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن الشوك يُجرُّ به من قدمي إلى هامتي، ثم قال:

ليتني كنت قبل ما بدا لي   في قلال الجبال أرعى الوعولا

«طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠).

(٣) يعني: الأغلال.

(٤) الهِجِّيرى: كثرة الكلام، وما يولع المرء بذكره.

(٥) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص(١٤٧) رقم (٤٣٩)، و«المسند» لأحمد (٤/ ٢٠٠).

اللَّهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا اللَّه - ثم قبض عليها بيده اليمنى - وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - ثم قبض عليها بيده اليسرى.

قال: فقُبض وإن يديه لمقبوضتان[١].

● وعن ابن شماسة المهري قال:

حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشّرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ أما بشّرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه. إني قد كنتُ على أطباق[٢] ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول اللَّه ﷺ مني ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل اللَّه الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: ابْسُط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: **«ما لك يا عمرو؟»**، قال: قلتُ: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلتُ: أن يغفر لي. قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**، وما كان أحد أحبَّ إليّ من رسول اللَّه ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها»[٣].

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٩٦).

(٢) أطباق، أي: أحوال ثلاث.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

موت نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه «يا نبي اللَّه، لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها»

● قال نعيم بن مالك في يوم أحد للنبي ﷺ: «يا نبي اللَّه لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنَّها. فقال له رسول اللَّه ﷺ: « بِمَ؟»، قال: بأني أحب اللَّه ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «صدقت». واستشهد يومئذ»[١].

موت عبد اللَّه بن حرام، الصحابي الذي كلّمه اللَّه كفاحًا رضي الله عنه «إني مُعرِّض نفسي للقتل»

● رأى عبد اللَّه بن حرام مبشَّر بن عبد المنذر ـ وكان ممن استشهد ببدر ـ يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام. فقصها على النبي ﷺ فقال: **«هذه الشهادة»**.

● وعن جابر أن أباه قال له: «إني مُعرِّض نفسي للقتل»[٢].

● وعن جابر قال: لمّا حضر أُحُد، دعاني من الليل، فقال: ما أراني إلاّ مقتولاً في أول مَن يُقتَل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك، غير نفس رسول اللَّه ﷺ، وإنّ عليّ دينًا فاقض، واستوص بأخواتك خيراً: فأصبحنا فكان أول قتيل...»[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ١٣ ـ ١٤).
(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٦).
(٣) رواه البخاري.

● قال جابر: لـما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول اللَّه ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أوْ لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه»[(١)] .

● وعن جابر قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «ألا أخبرك أن اللَّه كلّم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي، سَلْني أُعطِك. قال: أسألك أن تردّني إلى الدنيا، فأُقتل فيك ثانيًا. فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب، فأبلغ من ورائي. فأنزل اللَّه: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩][(٢)] .

موت جُلَيْبيب رضي الله عنه
«هذا مني وأنا منه»

● عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزًى له فأفاء اللَّه عليه، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: لا. قال: «لكني أفقد جُليبيبًا فاطلبوه». فُطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه». قال: فوضعه على ساعديْه، ليس له إلا سَاعِدَا النبي ﷺ. قال: فحفر له ووُضِع في قبره. ولم يذكر غُسلاً»[(٣)] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٨)، والبخاري (١٢٤٤، ٤٠٨٠)، ومسلم، والنسائي.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد مصحوبًا بقصة، والنسائى فى «فضائل الصحابة».

هذي المكارم لا قعبان مِن لبنٍ   شيبت بماءٍ فعادتْ بعدُ أبوالا

عبد اللَّه بن الزبير بن عبد المطلب

«لا أصبر»

عزم عليه عمرو بن العاص في يوم أجنادين أن لا يبارز، فقال: لا أصبر. فلما اختلطت السيوف، وُجِد في رِبضةٍ من الروم عشرة مقتولاً، وهم حوله، وقائم السيف في يده في غري(١) ، وإنَّ في وجهه لثلاثين ضربة(٢) .

رضي اللَّه عن الهاشمي ابن عم رسول اللَّه ﷺ يقتل عشرة من الروم ثم يُقتل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

موت خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

«خلُّوا معاوية وأرحم الراحمين»

● عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران: عن أبيه، أن معاوية أوصى فقال: كنت أُوَضِّئ رسول اللَّه ﷺ فنزع قميصه وكسانيه، فرفعتُه وخبأتُ قُلامة أظفاره، فإذا متُّ فألبسوني القميص على جلدي، واجعلوا القُلامة مسحوقة في عيني، فعسى اللَّه أن يرحمني ببركتها.

● قال أبو عمرو بن العلاء: لما احتضر معاوية، قيل له: ألا تُوصي؟ فقال: اللَّهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم

(١) لزق.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٨٢).

يرج غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هُوَ الموتُ لا مَنْجَى مِنَ الموتِ والذي   نُحاذِرُ بَعْدَ الموتِ أدْهَى وأفْظعُ[١]

● وفي رواية أنه جعل يجود بنفسه ويقول:

إن تناقش يكنْ نقاشُكَ يا ربُّ   عذابًا لا طوقَ لي بالعقـاب

أوْ تُجاوز فأنت ربيٌّ رحيمٌ   عن مسيءٍ ذنوبه كالترابِ[٢]

● وقال الحسن البصري:

دُخِل على معاوية، وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي على الموت أن حَلّ بي، ولا على دنيا أَخلُفُها، ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي القبضتين أنا[٣].

● وقال ﷺ:

فإن الموتَ لم يَخْلُقْ جديـداً   ولا هَضْبًا تُوَقِّلُهُ الوِبـارُ[٤]

ولكن كالشهاب يضي ويخبـو   وحادي الموت عنه ما يُجـار

فهل من خالـد إمّا هلكنـا   وهل بالموت يا للنـاس عـارُ[٥]

● وقال ﷺ وهو يُقَلّب في مرضه، وقد صار كأنه سعفة محترقة:

أيّ شيخ تقلّبون إنْ نجّاه اللّه من النار غداً؟[٦]

---

(١) انظر: ترجمة معاوية ﷺ في «السير» (٣/ ١١٩ ـ ١٦٢).

(٢) «حسن الظن باللّه» لابن أبي الدنيا ص(٩٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٥٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(٧١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٩٩).

(٤) الهَضب: جمع هضبة. وهضب الرجل هَضْبًا: مشى مشية البليد من الدواب. توقّل في الجبل: صعد فيه. الوبار: جمْع وَبْر: حيوان في حجم الأرنب قصير الذنب.

(٥) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥/ ٨١ ـ ٨٢).

(٦) «كتاب المحتضرين» ص(٦٢).

• وقال ﷺ لابنه يزيد: «اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقُراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني.. فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي، فخلّوا معاوية وأرحم الراحمين»(١).

• عن محمد بن سيرين قال:

مرض معاوية مرضًا شديدًا، فنزل عن السرير، وكشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخدّ مرة بالأرض، وذا الخد مرّة بالأرض، ويبكي ويقول: اللّهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. اجعلني ممن تشاء أن تغفر له»(٢).

سبط رسول اللّه ﷺ وريحانته من الدنيا الحسين بن علي الإمام الشهيد رضي الله عنهما

• عن ابن أبي نعم، قال: كنتُ عند ابن عمر، فسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظر إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول اللّه ﷺ وقد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»(٣).

• وعن عائشة أو أم سلمة، أن رسول اللّه ﷺ قال لها: «**لقد دخل عليّ البيت مَلَك لم يدخل عليّ قبلها، فقال: إن حسينًا مقتول،**

(١) «الكامل» لابن الأثير (٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، و«كتاب المحتضرين» ص(٦٨). والقراضة: القطعة. وجريدتي: أي: ثوبي الخلق.
(٢)«كتاب المحتضرين» ص(٢٢٩).
(٣)أخرجه البخاري في «فضائل أصحاب النبي»: باب مناقب الحسن والحسين، والترمذي، وأحمد (٢/ ٩٣، ١١٤)، والطبراني (٢٨٨٤). والريحان والريحانة: الرزق والراحة.

وإن شئت أريتُك التربة»[١] .

قال الحسين رضي الله عنه في يوم قتله: «اللَّهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة...». وقُتل الحسين أحب أهل الأرض يوم قتل إلى أهل السماء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم في النوم نصف النهار، أشعث أغبر، وبيده قارورة فيها دم. قلت: يا رسول اللَّه، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه. فأُحصي ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذ[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكرم اللَّه الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة - رضي اللَّه عنهم وأرضاهم - وأهان بالبغي والظلم والعدوان من أهانه بما انتهكه من حرمتهم، واستحله من دمائهم ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ، وكان ذلك من نعمة اللَّه على الحسين، وكرامته له لينال منازل الشهداء، حيث لم يجعل له في أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته كجده صلى الله عليه وسلم وأبيه وعمه، وعم أبيه رضي الله عنهم»[٣] .

وقال أيضًا: «ولما كان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد ولدا بعد الهجرة في عزّ الإسلام، ولم ينلهما من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما اللَّه بما أكرمهما من الابتلاء ليرفع درجاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعليًّا وجعفر وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة. وفي المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٤). انظر: «السير» (٣/ ٢٩٠).

(٢) سنده قوي: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٣)، والطبراني (٢٨٢٢)، وسنده قوي كما قال ابن كثير في «البداية» (٨/ ٢٠٠).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧١ - ٤٧٢).

عن أبيها الحسين عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته، وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعًا، إلا أعطاه اللَّه من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها»

فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه.

وقد علم اللَّه أن مصيبته تذكر على طول الزمان»(١) .

موت العباس بن عبد المطلب

«آخر كلامه: لا إله إلا اللَّه»

● عن عبد اللَّه بن إبراهيم القرشي قال:

لـمَّا نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبد اللَّه، إني واللَّه ما متّ موتًا، ولكني فنيت فناء، وإني موصيك بحب اللَّه وحب طاعته، وخوف اللَّه وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإني أستودعك اللَّه يا بني.

ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا اللَّه. ثم شخص ببصره فمات(٢) .

شدّاد بن أوس

«أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفيّة»

كان رضي الله عنه ممن أوتي العلم والحلم. وكان صاحب ليل.

● عن محمود بن الربيع أن شدّاد بن أوس حين حضرته الوفاة قال: يا نعايا العرب، يا نعايا العرب، أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفيّة»(٣) .

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧٣).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١/ ٣٥٢).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(٧٢ ـ ٧٣).

=

أبو مالك الأشعري: «مرارة الدنيا حلاوة الآخرة»

• عن شريح بن عُبيد الحضرمي أن أبا مالك الأشعري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لإناس من الأشعريين: ليبلِّغ شاهدكم غائبكم، إني سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: **«حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة»**(١).

المثنى بن حارثة الذي جرّأ المسلمين على قتال فارس

البطل الذي ما هزمت له راية...

البطل العظيم الذي حمى انسحاب جيش المسلمين وعبورهم إلى الشاطئ الغربي من النهر في معركة الجسر، ونجّا ستة آلاف من المسلمين من موت محقق وجرح المثنى جرحًا مميتًا عند الجسر ولكنه ربطه، ومات البطل متأثرًا بجراحه بعد شهرين، ولكن قبل موته منّ اللَّه عليه بالنصر وشفى غليله في معركة البويب التي تعادل معركة اليرموك تمامًا كما قال ابن كثير.

وما نسي البطل الصالح العهد إلى سعد بن أبي وقاص وتوصيته، وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لأبي بكر رضي الله عنه، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين في الفتوح ويوصي بها.

وترك المثنى وصية غالية لسعد: «ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس

= قال الزمخشري: في نعايا العرب ثلاثة أوجه، أحدها: أنه جمع نَعِيّ وهو المصدر، والثاني: اسم جمع، كما جاء في أخيّة أخايا، والثالث: أن يكون جمع نِعاء التي هي اسم الفعل، والمعنى: يا نعايا العرب جئن فهذا وقتكن وزمانكن، يريد أن العرب قد هلكت.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣١٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ولفظ الحديث عند أحمد والحاكم **«حُلْوة الدنيا مرة الآخرة، ومرّة الدنيا حلوة الآخرة»**.

إذا استجمع أمرهم وماؤهم في عقر دارهم، وأن يُقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب، وأدنى مدرة من أرض العجم؛ فإن يُظهر اللَّه المسلمين، فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى، رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم، إن يُرِد اللَّه الكرّة عليهم»[1].

وأشار المثنى على سعد: «أن يحارب العدو بين القادسية والعذيب»[2].

ومات المثنى قبل أن يرى سعداً.

هذا المثنى يروّي الأرض من دمه فكم أذوب بـه حبًّا وأهـواهُ

*** أعرابي يموت شهيداً، «صدق اللَّه فصدقه»:**

● عن شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فَقَسَّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قسمه لك النبي ﷺ.

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**».

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنَّة، فقال: «**إن تصدق اللَّه يصدقك**».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**»، قالوا: نعم. قال: «**صدق اللَّه فصدقه**».

ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللَّهم هذا عبدك، خرج مهاجراً، فقتل شهيداً،**

(١، ٢) «الطبري» (٣/ ١٠)، وابن الأثير (٢/ ١٧٤).

أنا شهيد على ذلك»[١]

* علباء بن جحش العجلي: «يقاتل بعد خروج أمعائه ثم يموت»:

في معركة القادسية برز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى: مَن يُبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي، فنفحه[٢] علباء فأصابه في صدره وشق رئته، ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتثرت أمعاؤه، وسقطا معًا إلى الأرض. أما المجوسي فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يُعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأتَّ له، ومرّ به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنِّي على بطني. فأدخل له أمعاءه، فأخذ بصفاقيه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجو بهـا من ربنـا ثوابـا قد كنتُ ممّن أحسن الضِّرابـا

وفاضت نفسه[٣].

* الجرّاح بن عبد اللَّه الحكمي، مقدم الجيوش «يسأل ربه الشهادة فينالها في رمضان»:

«كان الجرّاح بطلاً شجاعًا، عابدًا قارئًا، كبير القدر.

قال ابن جابر: في سنة اثنتي عشرة ومائة غزا الجراح بلاد الترك ورجع فأدركه الترك، فقُتل هو وأصحابه.

وقال سُليم بن عامر: دخلتُ على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراء أيديهم، فمكث طويلاً، ثم قال لي: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه؟

---

(١) رواه النسائي (٤/٦١٤٦) الجنائز، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (١٨٤٥).

(٢) النفح: الضرب إلى خارج اليمين.

(٣) «الطبري» (٣/٥٤٦).

قلت: لا، وجدتكم في رغبة، فرفعت يدي معكم، قال: سألنا اللَّه الشهادة.

فواللَّه ما بقي منهم أحد في تلك الغزاة إلا استشهد.

قال خليفة: زحف الجرّاح من بَرْذعة[1] سنة اثنتي عشرة إلى ابن خاقان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الجرّاح في رمضان[2]

قال الواقدي: كان البلاء بمقتل الجرّاح على المسلمين عظيمًا، بكوْا عليه في كل جند»[3].

* مقدم الجيش، ورأس الشجعان والأبطال، أبو محمد عبد اللَّه البطّال: «هكذا تُقتَل الأبطال»:

● كان مقدم جيش الأمير مسلمة بن عبد الملك، أوطأ الروم خوفًا وذلاً.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يسأل ربه دائمًا الحج ثم الشهادة، فلم يتمكن من حجة الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها ـ رحمه اللَّه ـ.

● وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس، فبعث البطريق الذي البطّال متزوج بابنته ـ إلى البطّال يخبره بذلك، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين مالك بن شبيب، وقال له مالك: المصلحة تقتضي أن نتحصّن في مدينة «حران»، فنكون بها، حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية، فأبى عليه ذلك، ودهمهم الجيش، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، والأبطال تحوم بين يدي البطال، ولا يتجاسر أحد أن ينوّه باسمه خوفًا عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطًا منه، فلما سمع ذلك فرسان الروم، حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من

---

(١) قصبة أذربيجان.

(٢) «تاريخ خليفة» ص(٣٤٢).

(٣) «السير» (١٨٩/٥ ـ ١٩٠).

سرجه برماحهم، فألقوه إلى الأرض، ورأى الناس يُقتلون ويؤسرون، وقُتل الأمير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصّنوا فيها، وأصبح ليون، فوقف على مكان المعركة، فإذا البطّال بآخر رمق، فقال له ليون: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال: هكذا تُقتل الأبطال، فاستدعى ليون الأطباء ليداووه، فإذا جراحه قد وصلت إلى مَقاتله، فقال له ليون: هل من حاجة يا أبا يحيى؟ قال: نعم. فأْمُرْ مَنْ معك من المسلمين أن يَلُوا غسلي[1] والصلاة عليّ ودفني، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسرى[2].

* **محمد بن عبد اللَّه بن حوذان: «أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا اللَّه وحده»:**

- قُتل هذا البطل المِغوار في سنة اثنتي عشرة ومائة، في وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب.
- قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: «قاتل يومئذ محمد بن عبد اللَّه بن حوذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهّب، فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان في ناحيته، فناداه ترجمان للعدو: يقول لك الملك: لا تقبل وتحوّل إلينا، فنرفض صنمنا الذي نعبده ونعبدك، فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا اللَّه وحده فقاتل واستشهد»[3].

* * *

(١) الشهيد لا يُغسّل.
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧).
(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٣٩، ١٤١).

سادات السلف من التابعين ومَنْ بعدهم

* سعيد بن المسيّب سيد التابعين: «حسبي من يحملني إلى ربي»:

• عن عبد الرحمن بن محمد القاريّ عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه: «إيايّ وحاديهم هذا الذي حَدَوا لهم هذا الذي يقول: استغفروا له غفر اللَّه لكم، فأرادوا أن يحوّلوه إلى القبلة، فقال: ما لكم؟ قالوا: نُحوِّلك إلى القبلة، قال: ألمْ أكن على القبلة إلى يومي هذا؟! ما أرى هذا إلا عمل فلان»[(١)] .

وفي رواية: أنه لما اشتد وجعه، دخل عليه نافع بن جبير بن مطعم يعوده فأغمي عليه، فقال نافع: وجهوا فراشه إلى القبلة، ففعلوا فأفاق، فقال: مَن أمركم أن تحوّلوا فراشي إلى القبلة، أنافع بن جبير أمركم؟ فقال نافع: نعم، فقال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملّة لا ينفعني توجيهكم فراشي[(٢)] .

• وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لا تؤذنوا بي أحدًا، حسبي من يبلّغني إلى ربي، ولا يتبعني راجزهم هذا[(٣)] ، وأن لا يمشوا معي بمجمر، فإن أكن طيبًا، فما عند اللَّه أطيب من طِيبهم»[(٤)]

وقال: أوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث: ألا يتبعني راجز، ولا نار، وأن يعجل بي، فإن يكن لي عند ربي خير، فهو خير مما عندكم»[(٥)] .

---

(١) يريد به أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف». انظر: «الثبات عند الممات» ص(٧٩ ـ ٨٠).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤٢).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤٢).

(٥) «الطبقات» (٥/ ١٤٢).

* عامر بن عبد قيس: «يبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل»:

● قال قتادة: لما احتضر عامرٌ بكى، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل[١].

● وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد قيس في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد اللَّه؟ قال: آية في كتاب اللَّه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧][٢].

* موت يزيد بن الأسود: «أرجو رحمة اللَّه»:

● عن حيان أبي النضر قال:

قال لي واثلة بن الأسقع: قُدْني إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغني أنه لما به[٣].

قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقيل، وقد وُجِّه[٤]، وقد ذهب عقله. قال: فنادُوه، فقلت: إن هذا واثلة أخوك.

قال: فأبقى اللَّه من عقله ما سمع أن واثلة قد جاء، قال: فمدّ يده، فجعل يلمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت كف واثلة فجعلتها في كفه. وإنما أراد أن يضع يده في يد واثلة، لموضع يد واثلة من رسول اللَّه ﷺ.

فجعل يضع مرة على صدره، ومرّة على وجهه، ومرّة على فيه.

---

(١) «السير» (٤/ ١٥ ـ ١٩)، و«الزهد» لابن المبارك ص(٩٥)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ١٧٦)، و«وصايا العلماء» ص(٨١).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٤١).

(٣) أي: من حضوره الموت.

(٤) أي: نحو القبلة.

فقال واثلة: أما تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك باللَّه؟

قال: أغرقتني ذنوب، وأشفيت[١] على هلكة، ولكن أرجو رحمة اللَّه.

فكبّر واثلة، وكبّر أهل البيت تكبيرة. وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يقول اللَّه: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»[٢].

* علقمة بن قيس النخعي:

فقيه العراق أشبه الناس دلاً وسمتًا وهديًا بعبد اللَّه بن مسعود.

قال علقمة ـ رحمه اللَّه ـ: «لا تنعوني كنعي الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحداً وأغلقوا الأبواب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا اللَّه فافعلوا»[٣].

* الأسود بن يزيد النخعي:

● عن علقمة بن مرثد قال: كان الأسودُ يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزعُ، واللَّه لو أُتيتُ بالمغفرة من اللَّه لأهمني الحياءُ منه ممَّا قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينهُ وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه[٤].

---

(١) اقتربت من هلكة.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص(٣١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وروى طرفًا منه البخاري، ومسلم، انظر: «حسن الظن» لابن أبي الدنيا ص(١٦)، و«الرقة والبكاء»، لابن قدامة ص(٢٨٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣١ ـ ٣٢).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١٠١)، و«طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٢)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨)، و«الثبات» ص(١٣٤).

(٤) «السير» (٤/ ٥٠ ـ ٥٣).

* عمرو بن عتبة بن فرقد: «إن اللَّه عز وجل ليبارك في الصغير»:

●عن عبد الرحمن بن زيد قال: خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبّة جديدة بيضاء، فقال: «ما أحسن الدم يتحدّر على هذه»، فخرج فتعرّض للقصر فأصابه حجر فشجه فتحدّر عليها الدم، ثم مات منها[١].

ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده، ويقول: «إنها صغيرة، وإن اللَّه عز وجل ليبارك في الصغير»[٢].

* إبراهيم النخعي فقيه العراق: «آخر كلامه لا إله إلا اللَّه»:

● قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يُلَقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه[٣]

وقيل: إن إبراهيم لما احتُضر، جزع جزعًا شديدًا، فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطرٍ أعظمُ مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يرد عليّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، واللَّه لوددتُ أنها تلجلجُ في حلقي إلى يوم القيامة[٤].

هذا قول إبراهيم النخعي، وهو العلم، الإمام، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن.

وعن أبي معشر زياد بن كليب قال: دخلنا على إبراهيم النخعي حين ثقل، فجعل يقول: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٧١).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٧١).
(٣) «حسن الظن باللَّه» ص(٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٨).
(٤) انظر: «السير» (٤/ ٥٢٠ ـ ٥٢٩).

قال: فلما زاد ثقلاً جعل ينقص حتى قال: لا إله إلا اللَّه وحده، لا إله إلا اللَّه. ثم قضي[(١)] .

● وعن عمران الخيّاط قال: دخلت على إبراهيم أعوده وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ قال: أنتظر ملك الموت، لا أدري بالجنة يبشرني أم بالنار[(٢)] .

* الحسن البصري: «لقد نبّهتموني من جنات وعيون، ومقام كريم»:

● عن ابن عون عن الحسن لما حضرته الوفاة استرجع، وأخرج ذراعيه فحرّكها وقال: هذه منزلة صبر واستسلام[(٣)] .

● وعن يونس بن عُبيد قال: لـمّا حضرت الحسن الوفاةُ جعل يسترجع، فأكبّ عليه ابنه عبد اللَّه فقال: يا أبه إنك قد غممتنا، فهل رأيت شيئًا؟

قال: هي نفسي التي لم أُصَبْ بمثلها![(٤)] .

● وعن كلثوم بن جبر قال: لما اشتد وجع الحسن بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: نُفَيسة ضعيفة، وأمر هَوُول[(٥)] ، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون[(٦)] .

● قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب فرحًا.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢١).

(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(١٤٧)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٥٥١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٨٩)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٤)، و«وصايا العلماء» ص(١٠٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

(٣) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٧٨ ـ ٧٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٦ ـ ١١٧).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١١٧).

(٥) هؤول: مفزع.

(٦) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٧).

● قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن، فترحم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه.

قلتُ: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مئة يوم.

● ويُروى أنه أغميَ عليه ثم أفاق إفاقةً فقال: لقد نبهتموني من جناتٍ وعيون، ومقامٍ كريم[١].

*** إمام وقته محمد بن سيرين: «في سبيل اللَّه نفسي أعز الأنفس عليّ»:**

● وعن الحسن بن دينار أن محمد بن سيرين كان يقول وهو في الموت: في سبيل اللَّه نفسي أعز الأنفس عليّ[٢].

*** موت عبد الرحمن بن الأسود النخعي: «لم يزل يقرأ القرآن حتى مات»:**

● عن الحكم بن عتيبة قال: لما احتُضِر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة.

قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. قال: فرُئي أنه من أهل الجنة.

وكان الحكم يقول: ولا يبعد من ذلك، لقد كان يعمل نفسه مجتهداً لذلك، حَذِراً من مصرعه الذي صار إليه[٣].

---

(١) «السير».

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٣٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٨).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٧)، و«تهذيب الكمال» (١٦/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

رحم اللَّه عبد الرحمن بن الأسود كم كان شوقه عظيمًا للصلاة!.

«عن ابن إسحاق، قال: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًّا، فاعتلت رجله، فصلى على قدم حتى أصبح».

قال الشعبي: أهل بيت خُلِقوا للجنة، علقمة والأسود وعبد الرحمن[١].

* الربيع بن خثيم: «يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير»:

● عن سَرِيّة الربيع قالت: لما احتُضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بُنيّة لا تبكيْ، ولكن قولي: يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير[٢].

● وعن سعيد بن حيان التيمي قال: دخلتُ على الربيع بن خثيم، وعنده بكر بن ماعز يمرِّضه، فأبصر لعابًا بلحيته، فكزّ[٣] بوجهه، فقال له الربيع، أكرهت؟ فواللَّه ما أحب أنه بأعتى الديلم على اللَّه[٤].

● وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيبًا؟

فقال: انظروا.

ثم تفكّر فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي، ولا المتداوى. هلك الناعت والمنعوت له[٥].

---

(١) «السير» (٥/ ١١ ـ ١٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، «الكتاب المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٧٦).

(٣) كزّ بوجهه: أي تضايق وانقبض.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٩٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص(٢٤)، و«الحلية» (٢/ ١١٥).

(٥) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢١).

* أبو حازم: «وما عند اللَّه خير للأبرار»:

● عن بشر الأمي الأفوه قال: قال أبو حازم لما حضره الموت: ما أتينا على شيء من الدنيا إلا على ذكر اللَّه، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أخلقاه. وفي الموت راحة للمؤمنين.

ثم قرأ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨][(١)].

● عن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج، لما حضره الموت فقلنا: كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير، راجيًا للَّه حسن الظن به، إنه واللَّه ما يستوي من غدا، أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يَعْمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[(٢)].

* عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: «أجدني في الحق»:

● دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه، فقال: يا بني كيف تجدك؟

قال: أجدني في الحق.

قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحبّ إلي من أن أكون في ميزانك.

قال ابنه: وأنا يا أبه، لأن يكون ما تحبُّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أُحب[(٣)].

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، و«قصر الأمل» ص(١١٠ ـ ١١١)، وانظر: الترجمة في «السير» (٦/ ٩٦ ـ ١٠٣).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٠٢).

* مطرف بن عبد اللَّه الشخِّير: «يختم القرآن في قبره»:

● عن عبد اللَّه بن مسلم العبدي قال:

قال مطرف لما حضره الموت: اللَّه خِرْ لي في الذي قضيتَهُ عليّ من أمر الدنيا والآخرة.

قال: وأمرهم أن يحملوه إلى قبره، فختم فيه القرآن قبل أن يموت[١].

* نافع مولى ابن عمر: «ذكرتُ سعداً وضغطة القبر»:

● عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن نافع، أنه لما احتُضر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ سعداً وضغطة القبر[٢].

* موت العلاء بن زياد العدوي بَعد الصلاة:

● عن زهير بن أبي عطية:

لما احتضر العلاء بن زياد العدوي بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت واللَّه أحب أن أستقبل الموت بالتوبة.

قال: فافعل رحمك اللَّه.

قال: فدعا بطهور، فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد، فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ برأسه مرتين، أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات[٣].

رحم اللَّه من بكى حتى عشى، رحم اللَّه من كانت آخر أعماله قبل موته الصلاة.. رحم اللَّه العلاء.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٦)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ٩٥ ـ ١٠١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٢١٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٥٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤٩٧).

* قول محمد بن المنكدر لصفوان بن سليم عند الموت: «لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك»:

كان أبو عبد اللَّه محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الربانيون. من سادات القراء، البكّاء طيلة عمره، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول اللَّه ﷺ فماذا فعل البكّاء عند الموت؟

عن عبد الرحمن بن زيد قال: أتى صفوان بن سليم محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد اللَّه، لكأني أراك قد شقّ عليك الموت؟!

فما زال يُهَوِّن عليه الأمر، ويتجلى عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه لقرّتْ عينك. ثم قضي - رحمه اللَّه -[(1)].

●وفي «صفة الصفوة» عن عكرمة، عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية في كتاب اللَّه عز وجل قال اللَّه عز وجل: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[(2)]

ونهاية أمره قوله لصفوان: لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك.. فأي نعيم وأي حبور وأنس كان فيه الرباني ابن المنكدر؟.. واللَّه إن الدنيا بحذافيرها لتتضاءل أمام ذلك النعيم.

* ضيغم بن مالك الزاهد الرباني:

البكّاء صلى حتى انحنى ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه.

● قال مضر: قلت لضيغم في مرْضَة مرضها: يا أبا مالك أقامَك اللَّه

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/١٤٧)، و«كتاب المحتضرين» (ص١٧١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤١ - ١٤٢).

(٢)«صفة الصفوة» (٢/١٤٤).

إلى طاعته. قال: قل: أو قبضك إلى رحمته.

فقال هو: آمين. فواللَّه ما قام من مرضته تلك[١].

* هارون بن رئاب الزاهد:

● عن جعفر بن سليمان، عن هارون بن رئاب قال: جئت أعوده، فإذا هو يجود بنفسه. فما فقدت وجه رجل فاضل إلا وقد رأيتُه عنده. فجاء محمد بن واسع، فقال: يا أخي كيف تجدك؟

قال: هو ذا أخوكم، هو ذا يُذهب به إلى النار أو يعفو اللَّه عنه.

قال: وبلغني عن محمد بن واسع أنه قالها عند الموت، فأظن أنه تعلّمها من هارون بن رئاب[٢].

* زيْن القراء محمد بن واسع: «مرحبًا بملائكة ربّي»:

سيد أهل عصره الفقيه الورع الزاهد ـ رحمه اللَّه ـ:

عن يونس بن عُبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال: وما يُغني عني ما يقول الناس إذا أُخذ بيدي ورجلي فأُلقيت في النار[٣].

● وعن عبد الواحد بن زيد قال: حضرت محمد بن واسع عند الموت، فجعل يقول لأصحابه: عليكم السلام ـ إلى النار أو يعفو اللَّه[٤].

● وعن الربيع بن صُبيح قال: لما احتُضِر محمد بن واسع جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبد اللَّه، فإنا نرجو لك.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٧).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٨٤)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٢١٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٣).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٢٤٢)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٨).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٢).

فبكى، ثم قال: يُذهب بي إلى النار أو يعفو اللَّه[١].

● وعن فضالة بن دينار قال:

حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت، فجعل يقول: مرحبًا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها.

قال: ثم شخص ببصره فمات[٢].

* صفوان بن سُليم:

● عن ابن أبي حازم أن صفوان بن سليم لمّا حُضِر، حضره إخوانه، فجعل يتقلّب، فقالوا: كأنّ لك حاجة. قالوا: نعم. فقالت ابنته: ما له من حاجة. قال: نعم، إلا أنه يريد أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، وما ذاك فيه.

فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده، فصلى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه، فحملوه، ومات[٣].

وفي رواية: «دخلت أنا وأبي نسأل عن صفوان بن سُلَيم وهو في مصلاه. فما زال به أبي حتى ردّه إلى فراشه، فأخبرتني مولاته أنّ ساعة خرجتم مات»[٤].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٠).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٣/١٥٩)، و«السير» (٥/٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢/١٥٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٢).

* المفسر الشهيد السعيد جهبذ العلماء سعيد بن جبير: «إذن أنا كما سمّتني أمي»:

● عن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

● قال سالم بن أبي حفصة: لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال: أنا سعيد بن جبير.

قال: أنت شقيّ بن كسير، لأقتلنك. قال: فإذن أنا كما سمّتني أمي. ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. قال: وجِّهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم.

قال: وما عاذت بـه؟ قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[1] [مريم: ١٨].

● وقال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقية، وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أُتي بالرجل - يعني ممن قام عليه - قال له: أكفرت؟ قال: لا. قال: اختر أي قتلة أقتلك. قال: اختر أنت، فإن القصاص أمامك[2].

● وعن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا اللّه الشهادة، فكلا صاحبيَّ رُزِقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء[3].

---

(١) «الحلية» (٤/ ٢٩٠)، و«السير» (٤/ ٣٣٨).

(٢) «السير» (٤/ ٣٣٨).

(٣) «السير» (٤/ ٣٤٠).

قال الذهبي: «قلتُ: ولما علم من فضل الشهادة، ثبت للقتل ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه اللَّه»[1].

قال ابن كثير: «عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أُتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: أنت الشقيّ بن كسير؟ قال: لا، إنما أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلنك. قال: أنا إذن كما سمتني أمي سعيداً. قال: شقيت وشقيت أمك. قال: الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه. فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين».

وفي رواية: أنه قال له: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. وفي رواية: أنه لما أراد قتله قال: وجِّهوه إلى قبلة النصارى. فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾ . فقال: اجلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. فقال: اذبح فما أنزعه لآيات اللَّه منذ اليوم. فقال: اللَّهم لا تُسلطه على أحد بعدي. وقد ذكر أبو نعيم هنا كلامًا كثيراً في مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا واللَّه أعلم».

وقال ابن كثير عن سعيد بن جبير: «قال له الحجاج: ويلك. فقال: الويل لمن زُحزح عن الجنة وأُدخل النار. فقال: اضربوا عنقه. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ، أستحفظُك بها حتى ألقاك يوم القيامة، فأنا خصمك عند اللَّه. فذُبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن، فقال: اللَّهم يا قاصم الجبابرة، اقصم الحجاج. فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود، فأنتن منه فمات. وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك، فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من غيراتك عليّ وحلم اللَّه عنك».

قال ابن كثير: «لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا، وكان إذا نام يراه

---

(١) «السير» (٤/ ٣٤٠).

في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو اللَّه، فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير؟»[١].

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»**[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»**[٣].

* مجاهد بن جبر: «يموت وهو ساجد»:

يرحم اللَّه أبا الحجاج المخزومي المكي مجاهد جهبذ المفسرين القائل: «عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها».

قال الفضل بن دُكين: مات مجاهد وهو ساجد.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد... ومن كان بحالة لقي اللَّه بها، ويحشر العبد على ما مات عليه.. وهكذا موت من خالط القرآن لحمه ودمه.

* * *

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٤، ١٠٥، ١٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد، وأحمد، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أمامة، وأحمد، والنسائي، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن طارق بن شهاب، وأبو داود، والحميدي، والحاكم عن أبي سعيد، والحاكم عن عمير بن قتادة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٩١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٠٩).

(٣) حسن: رواه الحاكم، والضياء عن جابر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٧٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥).

* **عامر بن عبد اللَّه بن الزبير: «الإمام الرباني يموت في الصلاة»:**

• قال مصعب: سمع عامرٌ المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي اللَّه، فلا أجيبه، فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة، ثم مات.

• وقال القعنبي: سمعتُ مالكًا يقول: كان عامر بن عبد اللَّه يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة، فتسقُط وما يشعر[١].

* **صفوان بن محرز: «ملأت الآخرة قلبه، والدنيا أصغر في عينه من الذباب»:**

• عن ثابت البناني قال: دخلت أنا والحسن على صفوان بن محرز نعوده وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب[٢].

* **ثابت البناني: «مفتاح من مفاتيح الخير يتمنى الموت إن لم يقدر يصلي كما كان يصلي»:**

رحم اللَّه الإمام القدوة أبا محمد ثابت البناني.

قال بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني.

• قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت فقال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكر معهم، اللَّهم إذ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة[٣].

---

(١) «السير» (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٥).

(٣) «السير» (٥/ ٢٢٠).

● وعن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت أُلَقِّن أبي عند الموت، فقال: يا بنيّ خلِّ عني فإني في وردي السابع. كأنه يقرأ ونفسه تخرج[١].

مات العابد الرباني وهو يقرأ القرآن.

مات الصوام القوّام العابد الذي تمنى العبادة في البرزخ فيقول: «اللَّهم إنْ كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها»[٢]، فما كان اللَّه ليرد دعاءه.

* أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي: «أحبّه إليّ أحبّه إلى اللَّه»:

قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية.

أبو العالية العبد الصالح الذي كان يختم القرآن يوميًّا ويخدم مولاه بالنهار فشقّ ذلك عليه فأوصاه أصحاب النبي ﷺ بختمه كل ثلاث.

● عن سيّار بن سلامة قال: دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، قال: إنّ أحبّه إليّ أحبه إلى اللَّه»[٣] .. ومن أولى بالرضا عن اللَّه من أبي العالية:

عذابه فيك عذبُ وبعدُه فيك قُرْبُ
وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحبُّ
حسبي من الحب أني لما تحبُّ أُحِبُّ

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٣/٢٦٣)، و«حلية الأولياء» (٢/٣٢٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٦).
(٢) «حلية الأولياء» (٢/٣١٨).
(٣) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٣).

* موت محب للَّه:

عن يعقوب بن إسحاق أنه حضر رجلاً يموت، فقيل له: قل لا إله إلا اللَّه. فقال:

إذا أنا متُّ فالهوى حشوُ قلبي ... فبداء الهوى يموت الكرامُ

ثم قال: يا من لا يموت، ارحم من يموت. ثم لم يلبث أن مات[١].

* موت عمر بن حسين الجمحي: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾:

«كان عمر بن حسين بن عبد اللَّه الجمحي، أبو قدامة المكي، مولى عائشة بنت قدامة بن مظعون الجمحي، قاضي المدينة المنورة. وكان من أهل الفضل، والفقه، والمشورة في الأمور، والعبادة. وكانت القضاة تستشيره.

قال مالك بن أنس: ولقد أخبرني من حضره عند الموت، فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

قال ابن وهب: فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشيءٍ عاينه؟

قال: نعم»[٢].

* أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي: «أشتهي نظرةً إلى الحسن»:

● قال ابن عباس ﷺ: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعهم علمًا عمّا في كتاب اللَّه.

«قيل لجابر بن زيد عند موته: ما تشتهي؟ فقال: نظرة إلى الحسن، فجاء الحسن، فلما دخل عليه قيل له: هذا الحسن، فرفع طرفه، وقال: يا إخوتاه الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار». يا للَّه أي نضارة تحمل وجوه

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٣).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٨).

الصالحين حتى يصير النظر إليها أعز أمنيات الصالحين عند الموت.

● وعن ثابت البناني قال: لما حضر جابر بن زيد الوفاة قال: أقعدوني. فأقعد، ثم قال: أضجعوني. فأضجع فقال: أعوذ باللَّه من النار وسوء الحساب. ثلاث مرات(١).

* يونس بن عبيد: «يبكي على الجهاد عند الموت»:

الإمام القدوة.

عن غسان الغلابي قال: نظر يونس عند موته إلى قدميه، فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ أنهما لم تَغْبَرّا في سبيل اللَّه(٢).

* وفاة زياد بن عبد اللَّه النميري:

قال الصالح القائم المتهجد والصائم المتعبد زياد النميري لما حضرته الوفاة: لولا ما حضرني من هذا الأمر ما تكلّمتُ بهذا أبدًا؛ واللَّه لقد صدع ذكر الموت قلبي حتى لقد خشيت أن يقتلني ذلك الهم، فلا تنسني مما كنت في القدوم عليك. ثم شخص ببصره فمات.

* عطاء السلمي البصري: «ارحم في الدنيا غربتي، وارحم عند الموت صرعتي»:

● عن عبد الواحد بن زيد قال:

دخلنا على عطاء السلمي في مرضة مرضها، فأُغمي عليه، فأفاق، فرفع أصحابه أيديهم يدعون له، فنظر إليهم، ثم قال: يا أبا عبيدة، مُرْهم فليُمسكوا عني، فواللَّه لوددت أن روحي تَرَدَّد بين لَهاتي وحنجرتي إلى يوم

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١١٨).

(٢) «السير» (٦/ ٢٩١)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٢).

القيامة مخافة أن تخرج إلى النار. قال: ثم بكى. قال عبد الواحد بن زيد: فأبكاني - واللَّه فَرَقًا ممّا يهجم عليه بعد الموت(١).

● وعن الصلت قال: سمعت عطاء السلمي يقول عند الموت: اللّهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم عند الموت صرعتي، وارحم في القبر وحدتي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور(٢).

* أبو التياح الضبعي يزيد بن حميد: «يبكي لتهاون الناس بأمر اللَّه»:

قال عنه أبو إياس: ما بالبصرة أحد أحبّ إليّ أن ألقى اللَّه عز وجل بمثل عمله من أبي التيّاح(٣).

● قال جعفر بن سليمان الضبعي: دخلنا على أبي التيّاح الضُّبَعي نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال: واللَّه إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر اللَّه؛ أن يزيده ذلك للَّه جدّاً واجتهاداً. ثم بكى(٤).

* ربعي بن حراش العبسي: «الإمام القدوة، الولي الرباني يبتسم بعد الموت»:

● عن الحارث الغنوي قال: «آلى ربعيّ بن حراش أن لا تفترّ أسنانه ضاحكًا؛ حتى يعلم أين مصيره. قال الحارث: فأخبر الذي غسّله أنه لم يزل متبسمًا على سريره ونحن نغسله؛ حتى فرغنا منه... رحمة اللَّه عليه»(٥).

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٢٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٥١ - ١٥٢).
(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٢٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٢).
(٣) «السير» (٥/ ٢٥٢).
(٤) «الحلية» (٣/ ٨٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢١٤ - ٢١٥).
(٥) «السير» (٤/ ٣٦١).

للَّه دره من إمام صادق استولى عليه الخوف في حياته فبُدِّل بالسرور والحبور بعد مماته.

* الربيع بن حِراش: «العبد الصالح الذي تكلم بعد الموت»:

●عن ربعي قال: كنا أربعة إخوة، فكان الربيع أكثرنا صلاة وصيامًا في الهواجر، وإنه تُوفِّي، فبينا نحن حوله قد بعثنا من يبتاع له كفنًا، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليكم. فقال القوم: عليكم السلام يا أخا عيسى، أبعد الموت؟ قال: نعم، إني لقيت ربي بعدكم، فلقيت ربًّا غير غضبان، واستقبلني بروحٍ وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم ينتظر الصلاة عليّ فعجّلوني. ثم كان بمنزلة حصاة رُمي بها في طست».

وفي رواية: «... وعدتُ رسول اللَّه ﷺ أن لا يذهب حتى أدركه. قال: فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت في ماء فرسبت»[(١)].

* حسّان بن أبي سنان: «يشتهي ليلة بعيدة ما بين الطرفين يُحيي ما بين طرفيها»:

● عن مهدي بن ميمون قال: رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه في مرضه ـ قيل له: كيف تجدك؟

قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أحيي ما بين طرفيها[(٢)].

● وعن غاضرة بن قرهد قال: دخلنا على حسّان بن أبي سِنان وقد

---

(١) «الحلية» (٤/ ٣٦٧)، و«السير» (٤/ ٣٦١)، ورجال إسناده ثقات.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٧ ـ ١١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤ ـ ١٤٥).

حضره الموت، وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟

قال: أجدني بحال الموت.

قال: أفتجد له أبا عبد اللَّه كربًا شديدًا؟ فبكى، ثم قال: إنّ ذلك. ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يُسَلِّيه عن كرب الموت وألمه ما يرجو من السرور في لقاء اللَّه[١].

* حميد الطويل: «يموت وهو يصلي»:

كان ـ رحمه اللَّه ـ قائمًا يصلي فمات، فذكروه لابن عون، وجعلوا يذكرون من فضله، فقال: احتاج حُميد إلى ما قدّم[٢].

* عبد الرحمن بن أبان بن عثمان: «يموت وهو يصلي»:

قال فيه الذهبي: أحد من يصلح للخلافة... وقال موسى التيمي: ما رأيت أحدًا أجمعَ للدين والمملكة والشرف منه.

قال الذهبي: «كان يشتري أهل البيت فيكسوهم ويعتقهم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت فمات وهو نائم في مسجده»[٣].

وقال ابن الجوزي: «مات وهو قائم في مسجده يُصلي السبحة، يعني الضحى»[٤].

* أبو خليفة العبدي حجّاج بن عتّاب:

قال عمر بن أبي خليفة: لمّا حضر أبي الموت بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال أبكاني ـ واللَّه ـ لبثُ الوجوه في التراب إلى يوم البعث.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٢).

(٣) «السير» (٥/ ١٠ ـ ١١).

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٨).

* فقيه الحجاز عطاء بن أبي رباح يقول عند الموت: «يا صريخ الأخيار»:

● عن خالد بن رخيم قال: لما حضرت عطاء بن أبي رباح الوفاة سمع بكاءً فقال: ادعو لي ابن أبي حسين ـ لرجل من قريش ـ فقال: انْه هؤلاء. ثم قال: يا صريخ الأخيار، يا صريخ الأخيار.

● وعن ابن أبي حسين قال: لـمّا حضرت عطاءً الوفاة صاحت النساء، فقال عطاء: اكفني هؤلاء، فإن غلبوك فاستعن عليهنّ بالسلطان، ثم جعل يقول: يا صريخ الأخيار، يا صريخ الأخيار! فلم يزل يقولها حتى قضي[1].

* أبو يحيى مالك بن دينار الخائف الجئآر: «لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى»:

● عن أبي عبد الصمد العمي قال: سمعت مالك بن دينار في مرضه يقول، وهو من آخر كلام سمعته يتكلم به: ما أقرب النعيم من البؤس! يعقبان، ويوشكان زوالاً[2].

● وعن أبي عيسى قال: دخلوا على مالك بن دينار وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبي يحيى[3].

● وعن عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني ويجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحالة حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق، فإذا سألني ربي فقال: قلتُ: أي رب لم أرض نفسي

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (١٧/ ٧٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٩، ٢٢٧ ـ ٢٢٨).
(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٣).
(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).

طرفة عين قط[١].

وعند ابن أبي الدنيا: لولا أني أخاف أن يكون بدعة لأمرتكم إذا أنا مت فَشُدَّت يدي بشريط، فإذا قدمتُ على اللَّه فسألني ـ وهو أعلم ـ: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أي رب لم أرض لك نفسي قط[٢].

● وعن خزيمة أبي محمد قال: لما حضرت مالك بن دينار الوفاة قال: جهِّزوني من دار الدنيا إلى دار الآخرة. فمات، فما وجدوا في بيته شيئًا إلا خَلَقَ قطيفة، وسندانة، ومِطهرة، وقطعة بارية[٣].

● وعن حزم بن أبي حزم قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكابد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج[٤].

* أبو عمران الجوني: «لا إله إلا اللَّه أمامي، لا أعرف غيرها»:

الإمام عبد الملك بن حبيب الجوني الذي كان إذا سمع الأذان تغيّر لونه وفاضت عيناه، قال عنه جعفر الضبعي: «شهدت أبا عمران الجوني وهو في الموت، فدخل عليه أيوب السختياني، فقال لابنه: لقِّن أباك لا إله إلا اللَّه.

فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟

قال: قال: لقِّن أباك. قال أبو عمران: يا أيوب، إنها أمامي، لا أعرف غيرها[٥].

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨).

(٢) «الحلية» (٢/ ٣٦١)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).

(٣) «سندانة: واحدة السَّنْد: ضرب من الثياب اليمانية. البارية: الحصير، انظر: «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٣).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٧، ٢٨٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٠٣، ٢٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٨).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٩).

*** سليمان التيمي: « يا بني: حدثني بالرُّخَص، لعلي ألقى اللَّه وأنا أحسن الظن به»:**

● سليمان بن طرخان عالم البصرة وعابدها. قال عنه شعبة: كان إذا حدّث عن رسول اللَّه ﷺ تغيّر لونه، وما رأيت أصدق منه.

وقال معتمر ابنه: مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا، ويفطر يومًا.

هذا الإمام المتهجد الصوّام، قال عنه ابنه المعتمر لـمّـا حل به الموت: «قال لي أبي حين حضره الموت: يا بني: حدثني بالرُّخص، لعلي ألقى اللَّه تعالى وأنا أحسن الظن به»(1).

وهذا من فقه هذا الإمام الكبير وعلمه، فإن الإنسان يُغَلِّب الخوف على الرجاء ما دام في دار الدنيا، فإذا نزل به الموت يغلب الرجاء على الخوف.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يُلقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه.

*** أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع أحد القرّاء العشرة: «نور القرآن ما بين نحره إلى فؤاده»:**

● قال سليمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر حين احتُضِر، جاء أبو حازم ومشيخة، فأكبّوا عليه يصرخون به، فلم يجبهم.

قال شيبة: ـ وكان ختنه على ابنة أبي جعفر ـ ألا أريكم منه عجبًا؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدره، فإذا دوّارة بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا واللَّه نور القرآن، قال سليمان: فقالت لي أم ولده بعدما

(1) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٩٩)، و«حسن الظن» لابن أبي الدنيا، خبر رقم (٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٩).

مات: صار ذلك البياض غرّة بين عينيه.

● وعن نافع، قال: لـمّا غُسِّل أبو جعفر القارئ، نظروا ما بين نحره إلى فـؤاده مثل ورقـة المصحف، فمـا شـكَّ من حضـره أنه نور القرآن، ـ رحمه اللَّه ـ»[١].

* أبو عبد الرحمن السلمي عبد اللَّه بن حبيب مقرئ الكوفة: «أنا أرجو ربي، فقد صمت له ثمانين رمضانًا»:

● عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده، فذهب بعضهم يرجِّيه، فقال: أنا أرجو ربي فقد صمت له ثمانين رمضانًا[٢].

● وانظر إلى حرصه ـ رحمه اللَّه ـ أن يأتيه الموت وهـو في انتظـار الصلاة في المسجد، ولذا رفض الانتقال من المسجد إلى فراشه لما حضرته المنيّة.

وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يُقضَى ـ أي ينزع ـ في المسـجد، فقلنا له: لو تحوّلت إلى الفراش فإنه أوثر ـ أي أوطأ ـ قال: حدّثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة**».

وفي رواية ابن سعد: «**والملائكة تقول: اللَّهم اغفر له، اللَّهم ارحمه**».

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «فأريد أن أموت وأنا في مسجدي»[٣].

* * *

(١) «معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار» للذهبي (١/ ٧٥ ـ ٧٦) مؤسسة الرسالة.
(٢) «معرفة القرّاء الكبار» (١/ ٥٧).
(٣) «الزهد» لابن المبارك (١٤١ ـ ١٤٢)، و«طبقات ابن سعد» (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

* عبد اللَّه بن عامر الأسلمي المدني: «يموت وهو صائم»:

● عن ابن أبي حازم قال: لما نُزل بعبد اللَّه بن عامر بن عبد اللَّه بن أوس بكى، فاشتد بكاؤه فأرسل أهله إلى أبي حازم أن أخاك قد جزع عند الموت، فَأْته فَعَزِّه وصَبِّرْهُ. قال ابن أبي حازم: فأتيته مع أبي، فقال له أبي: يا ابن عامر، ما الذي يُبكيك؟ فواللَّه ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه الدنيا، وإن الذي تبكي منه لَلَّذي كنت تداْبُ له وتنصب.

فأخذ ابن عامر بجلدة ذراعه، ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة على نار جهنم؟ فخرج أبي يبكي لكلامه.

وأُذِّن لصلاة الظهر، فقام يريد المسجد، فسقط، وتوفي وهو صائم، ما أفطر[1].

* الإمام عبد اللَّه بن عون بن أرطبان: «يذكر اللَّه حتى غرغر»:

● قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون.

وقال خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وقال الأوزاعي: إذا مات ابن عون والثوري استوى الناس.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يصوم يومًا ويفطر يومًا.

● قال بكّار بن محمد: كان ابن عون يتمنى أن يرى النبي ﷺ. فلم يره إلا قبل موته بيسير، فَسُرَّ بذلك سرورًا شديدًا، فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأصيبت رجله، فلم يزل يعالجها حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

قال ابن عون: ذكر الناس داء وذكر اللَّه دواء.

قال الذهبي: قلت: إي واللَّه، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق اللَّه. ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فُتح له. وقد كان ابن عون قد أوتي حلمًا وعلمًا ونفسًا زكية تعين على التقوى فطوبى له.

● قال بكار بن محمد: وكان له سُبْع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار.

● قال بكار بن محمد: سقط ابن عون وأصيبت رجله فتعلل ومات فحضرت وفاته، فكان حين قُبض موجّهًا يذكر اللَّه تعالى حتى غرغر. فقالت عمتي: اقرأ عنده سورة ﴿يس﴾ فقرأتها. ومات في السحر وما قدرنا أن نُصلي عليه حتى وضعناه في محراب المصلى. غلبنا الناسُ عليه(١).

* الإمام المجدّد أشج بني أمية عمر بن العزيز: «يقول عند الموت: ربي خير مذهوب إليه.. مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان»:

هذي بحار النـور فمن أراد أن يرد فليرد ير العجب العجاب

● عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى اللَّه موتًا في موضع القبر الرابع مع رسول اللَّه ﷺ، قال: واللَّه لأنْ يُعذبني اللَّه بغير النار أحبُّ إليَّ من أن يعلم من قلبي أني

---

(١) «السير» (٦/ ٣٦٤ _ ٣٧٥).

أراني لذلك أهلاً[١] .

● وقال المغيرة بن حكيم: قلتُ لفاطمة بنت عبد الملك: كنتُ أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه يقول: اللَّهم أخفِ عليهم أمري ولو ساعةً، قالت: قلت له: ألا أخرجُ عنك، فإنك لم تنم، فخرجتُ، فجعلت أسمعُه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، مراراً ثم أطرق فلبثتُ طويلاً لا يُسمع له حس، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل، صاح، فدخلتُ فوجدته ميتًا، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[٢] .

● ولكثير عزة يرثيه:

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلاَكُهُ ... فالنَّاسُ فيه كُلُّهُم مَأْجُورُ
والنَّاسُ مَأْتَمُهُم عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... في كُلِّ دارٍ رنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُثْني عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِه ... خَيْرًا لأنَّك بالثَّنَاءِ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

● وعن أبي زيد الدمشقي قال:

لما ثقل عمر بن عبد العزيز، دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقِي السُّم ولا آمن عليه الموت.

فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت على مَنْ لم يُسْقَ السم.

قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟

---

(١) «السير» (٥/ ١٤١).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٤١)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨١ ـ ٨٢).

قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني.

قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسك.

قال ربي خير مذهوب إليه. واللَّه لو علمتُ أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعتُ يدي إلى أذني فتناولته. اللَّهم خِرْ لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[١].

هذا واللَّه الشوق إلى اللَّه عز وجل.

● وعن مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول فيَّ الناس؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتُها، وعلى أن أُعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[٢].

● وقال ابن عيينة: قلت لعبد العزيز بن عمر: ما آخر ما تكلم به أبوك؟ فقال: كان له من الولد أنا وعبد اللَّه، وعاصم وإبراهيم، وكنا أُغيلمة، فجئنا كالمسلِّمين عليه والمودِّعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مال، ولم تُؤوهم إلى أحد، فقال: ما كنتُ لأُعطيهم ما ليس لهم، وما كنتُ لآخذ منهم حقًّا هو لهم، وإن وليي اللَّه فيهم الذي يتولى الصالحين، إنما هم أحد رجلين: صالح أو فاسق. وقيل إن الذي كلّمه فيهم خالهم مَسْلمة[٣].

● وعن ليث بن أبي رقيّة كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرت،

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢ ـ ٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ١٤٠)، ورجاله ثقات.

(٣) «السير» (٥/ ١٤٠ ـ ١٤١).

ونهيتني فعصيتُ، ثلاثًا، ولكن لا إله إلا اللَّه، ثم أحدّ النظر، وقال إني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جنّ ثم قُبض(١).

● وعن عمرو بن قيس قال: قالوا لعمر بن عبد العزيز لـمّا حضره الموت: اعهد يا أمير المؤمنين قال: أحذركم مثل مصرعي هذا، فإنه لا بدَّ لكم منه، وإذا وضعتموني في قبري، فانزعوا عني لبنة، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه(٢)

● وعن يحيى بن أبي كثير قال: لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت؛ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن اللَّه أحيا بك سننًا، وأظهر بك عدلاً.

فبكى ثم قال: أليس أُوقفُ فأُسأل عن أمر هذا الخلق؟ فواللَّه لو رأيتُ أني عدلتُ فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي اللَّه إلا أن يُلَقِّنها حجَّتها، فكيف بكثير مما صنعنا؟ قال: ثم فاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيرًا بعدها حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ(٣).

● قال هشام بن حسان: لما جاء نعيه إلى الحسن، قال: مات خير الناس(٤).

● ولقد أرسل ـ رحمه اللَّه ـ وفدًا إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، فلما مات ـ رحمه اللَّه ـ أرسل قيصر إلى الوفد الذي أرسله عمر، فأتاه يزيد، فوضع قيصر الروم تاجه ونزل عن السرير، فقال ليزيد: أتدري لم بعثت إليك، فقال يزيد: قلت: لا، قال: إن صاحب مَسْلحتي كتب إليّ أن الرجل

(١) «السير» (٥/١٤١)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨٤).
(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢).
(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/٦٩٧).
(٤) «السير» (٥/١٤٢).

الصالح عمر بن عبد العزيز مات، قال: فبكيت، واشتد بكائي، وارتفع صوتي، فقال لي: ما يُبكيك؟ ألنفسك تبكي أم له أم لأهل دينك؟ قلت: لكل أبكي، قال: فابك لنفسك، ولأهل دينك، فأما عمر، فلا تبك له. فإن اللَّه لم يكن ليجمع عليه خوف الدنيا وخوف الآخرة، ثم قال: ما عجبتُ لهذا الراهب الذي تعبّد في صومعته وترك الدنيا، ولكن عجبت لمن أتته الدنيا منقادة، ثم صارت في يده ثم خلّى عنها(١) .

● وعن مالك بن أنس أن صالح بن علي الأمير سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد من يُخبره، حتى دُلَّ على راهب، فسأله، فقال: قبْر الصدِّيق تريدون؟ هو في تلك المزرعة(٢) .

وللَّه درّ ابن عائشة، حين قال في عمر:

أقول لـمّا نعى الناعون لي عُمَرًا ... لا يبعدنَّ قوام الحقِّ والدينِ
لمْ تُلْهِهِ عُمْرَه عينٌ يُفَجِّرها ... ولا النخيلُ ولا ركْضُ البراذينِ
قد غادر القومُ في القبر الذي لحدوا ... بدير سمعان قسطاسَ الموازينِ

* عروة بن الزبير الإمام: «يموت وهو صائم»:

ابن حواري الرسول ﷺ أحد فقهاء المدينة السبعة:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل.

● وعن هشام أن أباه مات وهوصائم، وجعلوا يقولون له: أفطر، فلم يُفطر، وقال هشام بن عروة: أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر(٣) ، ومات وهوصائم(٤) .

(١، ٢) «السير» (٥/ ١٤٢، ١٤٣).
(٣) وأيام التشريق تضمينًا فإنه يحرم صومها.
(٤) «السير» ـ ترجمة عروة بن الزبير (٤/ ٤٣٧ ـ ٤٤١).

* شيخ الإسلام أبو قلابة الجَرْمي عبد اللَّه بن زيد بن عمرو الإمام وما خصّه اللَّه به من الكرامة عند موته:

• قال الذهبي: «إن أبا قلابة ممن ابتلي في بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام فمات بعريض مصر سنة أربع، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر.

وقد روى ابن حبان قصة صبره الجميل الكريم النبيل: قال ابن حبان: «حدثني بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد، قال: ثني يعقوب بن إسحاق ابن الجراح، قال: ثني الفضل بن عيسى، عن بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، عن عبد اللَّه بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا وكان رابطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: «اللَّهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وفضّلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً». قال الأوزاعي: قال عبد اللَّه: قلتُ: واللَّه لآتين هذا الرجل، ولأسألنّه أنّى له هذا الكلام، فَهْم أمْ علم أم إلهام، فأتيت الرجل فسلّمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: «اللَّهم. . . . تفضيلاً» فأي نعمة من نعم اللَّه عليك تحمده عليها، وأي فضيلة تفضّل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صَنع ربي؟! واللَّه لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم عليّ من لساني هذا، ولكن يا عبد اللَّه إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أيّ حالة أنا، لست أقدر لنفسي على ضرٍّ ولا نفع، ولقد كان معي بنيّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيُوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة

أيام، فتحسسه لي رحمك اللَّه. فقلت: واللَّه ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند اللَّه أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلتُ أنَّى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ، فلما أتيته سلّمتُ عليه، فردّ عليّ السلام فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلتَ في حاجتي. فقلت: أنت أكرمُ على اللَّه أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي. قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلتُ: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقاربه وأحبائه؟ قال: نعم. قلتُ: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلتُ: فلم يرض منه بذلك حتى صيّره عرضًا لمارّ الطريق. هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال صابرًا شاكرًا حامدًا: أوجز رحمك اللَّه.

قلتُ له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدتُه بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم اللَّه لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد للَّه الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار. ثم استرجع وشهق شهقة فمات. فقلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركتُه أكلته السباع، وإنْ قعدت فلم أقدر على ضر ولا نفع، فسجّيته بشملة كانت عليّ وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد إذ تهجّم عليّ أربعة رجال، فقالوا: يا عبد اللَّه ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانكبّ القوم عليه يقبّلون عينيه مرّة، ويده أخرى، ويقولون: بأبي عين طالما غضّت عن محارم اللَّه، وبأبي جسم طالما كان

ساجدًا والناس نيام، فقلت: مَن هذا يرحمكم اللَّه؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب للَّه وللنبي ﷺ، فغسّلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلّينا عليه ودفناه. فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جنّ عليّ الليل، وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلّتان من حلل الجنة، وهو يتلوُ الوحي: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أنّى لك هذا؟ قال: إن للَّه درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية اللَّه عز وجل في السرّ والعلانية(١).

* سيد التابعين وزاهد العصر: «أبو مسلم الخولاني»: «إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك»:

● عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قالا: قحط الناس على عهد معاوية رضي الله عنه فخرج يستسقي بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم: ترى ما داخل الناس فادع اللَّه، فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه فقال: اللَّهم إنا بك نستمطر وقد جئت بذنوبي إليك، فلا تخيّبني، قال: فما انصرفوا حتى سُقوا. قالا: فقال أبو مسلم: اللَّهم إن معاوية أقامني مقام سُمعة فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، قالا: وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم ـ رحمه اللَّه ـ يوم الخميس المقبل(٢).

* * *

(١) «الثقات» لابن حبان (٥/ ٢ ـ ٥).
(٢) «الزهد» لأحمد ص(٣٩٢)، و«إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠).

* يزيد بن أبان الرقاشي: «الزاهد»:

● كان من خيار عباد اللَّه، من البكّائين بالليل.

قال حوشب بن عقيل: سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساعٍ ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت. ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي اللَّه موقفه، والنار غداً مورده، ماذا قدّمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقوفك بين يدي ربك[1].

● وعن دُرُست القزاز قال:

لما احتُضر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك ـ رحمك اللَّه ـ؟

قال: أبكي واللَّه على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار. ثم بكى، وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومَن يصوم؟ ومن يتقرّب لك إلى اللَّه بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوتاه، لا تغترنَّ بشبابكم، فكأنْ قد حلّ بكم ما حلّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت. النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوتاه، المبادرة ـ رحمكم اللَّه ـ[2].

* توبة بن الصمّة:

● قال ابن أبي الدنيا: حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد اللَّه، قال: «كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسباً لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم

---

(١) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٥).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٦)، والنجاء والنجاة بمعنى واحد.

وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتا؛ ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خرّ مغشيًّا عليه، فإذا هو ميت»[١].

* الإمام خالد بن مَعْدان: «شيخ أهل الشام يموت وهو صائم»:

● عن عبدة بنت خالد، قالت: قلّما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول اللّه ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسمِّيهم، ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنّ قلبي طال شوقي إليهم فعجِّل ربِّ قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك.

● قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم[٢].

كان ـ رحمه اللّه ـ يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما كان يقرأ من القرآن، فلما مات وُضع على سريره ليُغَسَّل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[٣].

* الإمام القدوة عابد الكوفة أبو أسماء إبراهيم التيمي: «يموت في السجن»:

● قال ـ رحمه اللّه ـ: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فانفض يدك منه.

● عن علي بن محمد قال: طلب الحجّاج إبراهيم النخعي، فجاء

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ١٩٦)، وهو الذي يُقال له مجنون ليلى كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٣٥٣).

(٢) «السير» (٤/ ٥٣٦ ـ ٥٤١).

(٣) «السير» (٤/ ٥٤٠)، وإسناده منقطع، وهي في «الحلية» (٥/ ٢١٠)، وعند ابن عساكر (٥/ ٢٦٠) بطريق أخرى.

الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يَدُلَّهُ على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كنّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغيّر إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه حتى كلّمها ، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حُلْم نزغة من نزغات الشيطان، وأُمِر به فأُلقي على الكُنَاسة[1] .

يرحم اللَّه أبا أسماء فكم كان مثلاً عاليًا في الإيثار والعبادة.

* **عُبَيد بن عُمَير: «يشتهي من يقرأ القرآن عليه»:**

• لما حضرت عُبَيد بن عمير الوفاة، قيل له: ما تشتهي؟

قال: أشتهي رجلاً موقنًا بالقرآن يقرأ علي[2] .

* **أبو بكر النهشلي: «يبادر طيّ صحيفته فيصلي»:**

• عن شيخ نهشلي كوفي قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي، وهو في السَّوق وهو يومئ[3] .

فقال له ابن السمّاك: على هذه الحال؟ فقال: أبادر طيّ الصحيفة.

* **المغيرة بن حكيم الصنعاني: «اعمل لهذا المضجع»:**

• عن عبد العزيز بن أبي روّاد قال: دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه، فقلت: أوصني. فقال: «اعمل لهذا المضجع»[4] .

---

(١) «السير» (٥/ ٦٠ ـ ٦٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٨).

(٣) أي في الصلاة.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٩)، و«الحلية» (٨/ ١٩٤).

* خُصيف بن عبد الرحمن: «اللَّهم إنك لتعلم أني أحبك وأحب رسولك»:

● عن عبد السلام بن حرب أن خُصيف بن عبد الرحمن الجزري مولى عثمان بن عفان، قال عند الموت: ليمرَّ ملك الموت إذا أتانا. اللَّهم على ما فيّ إنك لتعلم أني أحبك وأحب رسولك(١) .

* زُبَيْد الإيامي: «أستخيرُ اللَّه»:

● عن سعيد قال: دخلتُ على زُبَيْد الإيامي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: شفاك اللَّه. فقال: أستخير اللَّه(٢) .

رحم اللَّه زبيدًا، أحبه إلى اللَّه أحبُّه إليه.

* المفضّل بن يونس: «كيف تقرّ العين بعده؟»:

● عن مُطير بن الربيع قال: كان مُفَضَّل بن يونس إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل. فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري. فلما احتُضِر بكى، وقال: قد كنتُ أعلم أنّ لي من كَرِّكما عليّ يومًا شديدًا كربه، شديدًا غصصه شديدًا غمّه، شديدًا عَلْزُه(٣) ، فلا إله إلاّ الذي قضى الموت على خلقه. وميّزه عدلاً بين عباده.

ثم جعل يقرأ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]. ثم تنفّس، فخرجت نفسُه(٤) .

ولما نعي المفضل إلى عبد اللَّه بن المبارك قال: وكيف تقرّ العين بعد المُفضّل؟

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٩).
(٢) «صفة الصفوة» (٣/٩٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٧).
(٣) العلْز: القلق والفزع.
(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٩).

* عمرو بن قيس الملائي: «إنما أبكي خوفًا أن أُحْرَم خير الآخرة»:

هذا الشيخ الصالح الذي أقام عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله. يأخذ غداءه، ويغدو إلى الحانوت، فيتصدّق بغدائه ويصوم.

هذا الإمام العابد الذي كان سفيان الثوري يأتيه يسلّم عليه يتبرك به، ويجيء فيجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه.

● عن حفص بن غياث قال: «لما احتُضِر عمرو بن قيس الملائي بكى، فقال له أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنت مُنغَّصَ العيش أيام حياتك! فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنما أبكي خوفًا أن أُحرم خير الآخرة»(١).

* عبد العزيز بن سلمان العابد الجليل: «يُعوِّل على حسن الظن بالله»:

● عن حاتم بن سليمان قال: دخلنا على عبد العزيز بن سلمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجدني أموت.

فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟

فبكى، ثم قال: ما نعوِّل إلا على حسن الظن بالله.

قال: فما خرجنا من عنده حتى مات(٢).

* بشر بن منصور يحكي عن موت أحد الصالحين: « أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله»:

عن بشر بن منصور ـ الذي قال فيه عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٩).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٤).

أحدًا أقدّمه في الرقة والورع على بشر بن منصور ـ قال: حضر رجلاً من الصالحين الموت، فبكى، فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفونها؟!

قال: ليس عليها أبكي، ولكني ـ واللَّه ـ أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله[١] .

* موت صالح من أهل المدينة:

● عن محمد بن قيس المدني قاص عمر بن عبد العزيز أن رجلاً من أهل المدينة نزل به الموت، فجزع، فقيل له: أتجزع؟

فقال: ولم لا أجزع؟ فواللَّه إنْ كان رسول أمير المدينة ليأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين[٢] .

* موت أبي محمد حبيب العجمي:

● قال كثير بن يسار: دخلنا على حبيب أبي محمد وهو بالموت، فقال: أريد أن آخذ طريقًا لم أسلكه قط، لا أدري ما يُصنع بي؟

قلت: أبشر يا أبا محمد، أرجو أن لا يفعل بك إلا خير.

قال: وما يدريك؟ ليت تلك الكسرة ـ خبز ـ التي أكلناها لا تكون سُمًّا علينا[٣] .

* أبو بكر بن عيّاش يحكي عن موت الصالحين:

● يحكي شيخ الإسلام عن موت أبي حَصِين عثمان بن عاصم بن

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٣).

(٢) «المقلق» لابن الجوزي ص(٥٥)، و«المحتضرين» ص(١٦١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٦١ ـ ١٦٢)، و«تهذيب الكمال» (٥/ ٣٩٥).

حصين وهو شيخ عالم صاحب سنة، ويحكي عن موت عاصم بن أبي النجود مقرئ الكوفة في زمانه، ويحكي عن الإمام الأعمش سليمان بن مهران، فماذا يقول؟

قال أبو بكر بن عيّاش: دخلتُ على أبي حَصِين في مرضه الذي مات فيه، فأُغمي عليه، ثم أفاق، فجعل يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] . قال: ثم أُغمي عليه، ثم أفاق، فجعل يرددها، فلم يزل على ذلك.

قال: ودخلت على عاصم، وقد احتُضِر، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية، يُحقِّقها، كأنه في المحراب: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢][(١)] .

قال: ودخلت على الأعمش وقد حضره الموت، فقال: لا تُؤْذِننّ بي أحدًا، وإذا أصبحت فاخرجوا بي إلى الجبان فألقني ثَمَّ. ثم بكى[(٢)] .

*** الإمام الأعمش: «أنا أعلم بنفسي»:**

● قال جابر بن نوح: بكى الأعمش عند موته، فقيل له: يا أبا محمد، وأنت تبكي عند الموت؟ قال: وما يمنعني من البكاء وأنا أعلم بنفسي؟!

رحمك اللَّه من إمام تقول هذا وما فاتتك التكبيرة الأولى قريبًا من سبعين سنة، وأنت أقرأهم لكتاب اللَّه وأحفظهم للحديث.

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٥)، و«تهذيب الكمال» (١٩/٤٠٧)، (١٣/٤٧٩).
(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٦)، و«حلية الأولياء» (٥/٥١)، و«صفة الصفوة» (٣/١١٨).

*** قاضي المدينة أبو طوالة عبد الرحمن بن حزم الأنصاري: «إن اتقيتم اللَّه فأنتم مني على الصدر والنحر»:**

• عن أبي عبد الرحمن العمري الزاهد قال: جمع أبو طوالة عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن معمر بن حزم الأنصاري وُلْدَه عند موته فقال: يا بنيّ، اتقوا اللَّه، فإنكم إن اتقيتم اللَّه فأنتم مني على الصدر والنحر، وإن لم تتقوا اللَّه لم أُبالِ ما صنع اللَّه بكم[١].

*** أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم الغسّاني يموت بعد صومه:**

كان في خدّيْ أبي بكر بن أبي مريم الغسّاني مسلكان من الدموع.

قال يزيد بن عبد ربه: «عُدت مع خالي علي بن مسلم أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك اللَّه لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا.

ثم جاء الليل فقال: أُذِّن؟ فقلت: نعم. فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم غمّضناه فمات ـ رحمه اللَّه ـ، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوى فمه من الصيام[٢].

رحمك اللَّه أبا بكر كم كنت صوامًا وختم اللَّه لك أمرك بالصيام، قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَن خُتم له بصيام يوم دخل الجنة»**[٣].

قال المناوي: «أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم، أو بعد

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٦).

(٢) «الحلية» (٦/٨٩)، و«صفة الصفوة» (٤/٢٢١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١ - ١٥٢).

(٣) صحيح: رواه البزار عن حذيفة، ورواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٤).

فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب»[١].

* مالك بن أنس: «يتشهد ويقول: ﴿للَّه الأمر من قبل ومن بعد﴾»:

● عن ابن أبي أويس قال: اشتكى مالك أيامًا يسيرة فسألت بعض أهلنا عمّا قال عند الموت، قال: تشهّد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[٢] [الروم: ٤].

● ونقل القاضي عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالكًا بعد موته، وعليه طويلة، وثيابٌ خضر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض. فقلتُ: يا أبا عبد اللَّه، أليس قد مُت؟ قال: بلى. فقلت: فإلام صرت؟ فقال: قدمتُ على ربي وكلمني كفاحًا، وقال: سلني أعطِك، وتمنَّ علي أُرضك.

* عبد اللَّه بن عبد العزيز العمري الزاهد: «يحدّث بنعم ربه عند الموت»:

ماذا قال العابد الناسك أزهد أهل زمانه، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر عند موته؟

● عن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد اللَّه بن عبد العزيز العمري عند موته:

بنعمة ربي أُحدِّث: أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي أُحدِّث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتُها[٣].

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٢٣).
(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٢).
(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٣).

* شيخ الإسلام حمّاد بن سلمة: «يموت وهو يصلي»:

• قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا.

قال الذهبي: كانت أوقاته معمورة بالتعبّد والأوراد.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد في الصلاة في المسجد(١).

* عليّ بن صالح بن حي: «عند موته العجب العجاب»:

الإمام القدوة الكبير:

• قال عبد اللَّه بن موسى: سمعتُ الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخي، رفع بصره، ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ثم خرجت نفسُه، فنظرنا، فإذا ثقبٌ في جنبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد.

• قال الحسن بن صالح: قال لي أخي ـ وكنت أصلي ـ يا أخي اسقني. قال: فلما قضيت صلاتي، أتيتُه بماء، فقال: قد شربت الساعة، قلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني الساعة جبريل بماء، فسقاني وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم اللَّه عليهم، وخرجت نفسه(٢).

* خيثمة بن عبد الرحمن: «التابعي الزاهد الكبير»:

• عن محمد بن خالد الضبي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض، فجاءته امرأته فجلست تبكي، فقال: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه، فقالت: الرجال بعدك عليّ حرام، فقال: ما كلُّ هذا أردت منك،

(١) «السير» (٧/ ٤٤٤ ـ ٤٥٦).

(٢) «السير» (٧/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، «الثبات عند الممات» ص(١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٥٣).

إنما كنت أخاف رجلاً واحدًا وهو أخي محمد، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يُشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يتلى فيه في كل ثلاث(١) .

* شيخ الإسلام طلحة بن مصرف: «ما يَئِنُّ حتى مات»:

• قال عبد الملك بن أبجر: ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأٍ إلا رأيت له الفضل عليهم.

• وقال فضيل بن عياض: بلغني عن طلحة أنه ضحك يومًا فوثب على نفسه، وقال: ولِمَ تضحك، إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط، ثم قال: آليت أن لا أفترّ ضاحكًا حتى أعلم بم تقع الواقعة، فما رُئي ضاحكًا حتى صار إلى اللَّه(٢) .

• وعن محمد بن فضل، عن أبيه، قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده، فقال له أبو كعب: شفاك اللَّه، فقال: أستخير اللَّه(٣) .

• قال ليث بن أبي سليم، حدثتُ طلحة بن مصرِّف في مرضه أن طاووسًا كرِه الأنين، فما سُمِع طلحة يئِنُّ حتى مات(٤) .

وقال شعبة: كنا في جنازة طلحة بن مصرِّف، فأثنى عليه أبو معشر، وقال: ما خلّف مثله.

* سيد الوعّاظ الزاهد القدوة أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، ابن السمّاك:

• عن عبد اللَّه بن صالح العجلي، قال: قال ابن السمّاك عند وفاته:

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١١٥)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٤).
(٢) «السير» (٥/ ١٩٢).
(٣) «الحلية» (٥/ ١٦)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٧)، و«الثبات» ص(١٩٤).
(٤) «الحلية» (٥/ ١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٨)، و«الثبات» ص(١٤٤)، و«السير» (٥/ ١٩٢).

اللَّهم إنك تعلم أني وإنْ كنت أعصيك، أني أحبُّ فيك من يطيعك[١].

* أحد الصالحين: «إنْ يُلَقِّني أوْ لا يلقني فإني لا أدعها»:

• عن عبد اللَّه بن شبرمة قال: دخلتُ مع عامر الشعبي على مريض نعوده، فوجدنا لما به، ورجل يلقنه الشهادة، ويقول له: قل لا إله إلا اللَّه، وهو يُكثر عليه، فقال له الشعبي: ارفق به، فتكلم المريض، وقال: إن يلقّني أو لا يلقّني فإني لا أدعها، ثم قرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، فقال الشعبي: الحمد للَّه الذي نجّى صاحبنا[٢].

* عبد اللَّه بن إدريس الأودي: «ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة»:

هذا الحافظ الصالح العابد الذي أراد الرشيد توليته القضاء فامتنع تورّعًا، ووصله فردّ عليه صلته.

• عن حسين بن عمرو العَنْقَري قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة[٣].

* شيخ الإسلام أبو بكر بن عيّاش: «قد ختم أخوك القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة»:

• قال عنه أبو عيسى النخعي: لم يفرش له فراش خمسين سنة.

قال الحماني: لما حضرت أبا بكر بن عيّاش الوفاة بكت أخته، فقال: لا تبك، انظري إلى تلك الخزانة، أو الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزواية ثمانية عشر ألف ختمة[٤].

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٣٢).
(٢) «التذكرة في الاستعداد ليوم الآخرة» ص(٩١)، و«جمع الشتيات على التثبيت» ص(٧٧).
(٣) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٧٠)، و«الثبات» ص(١٥٥).
(٤) «الحلية» (٨/ ٣٠٤)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» =

● وعن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيك؟ أترى اللَّه يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة(١) .

*** الإمام القدوة أبو بكر محمد بن أحمد، ابن النابلسي: «وكرامة له عند موته»:**

● قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد ـ الفاطميون ـ وصلبوه على السُّنَّة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يُسلخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ .

«قال أبو الفرج ابن الفرج: أقام جوهر ـ القائد ـ لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغني أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلتُ هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنّكم غيّرتم الملّة، وقتلتم الصالحين، وادّعيتم نور الألوهية، فشهره، ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه.

قال مَعْمَر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سُلِخ من مفْرق رأسه حتى بلغ الوجه، وكان يذكر اللَّه ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاّخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه؛ وأخبرني الثقة أنه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصَّوْلة عند العامة والخاصة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده القرآن»(٢) .

= (١٦٦/٣)، و«الثبات» ص(١٥٥).

(١) «تاريخ بغداد».

(٢) «السير» (١٤٨/١٦ ـ ١٤٩).

*** الإمام عبد اللَّه بن وهب: يموت بعد ما قرئ عليه كتابه «أهوال القيامة»:**

● قال خالد بن خداش: «قرئ على عبد اللَّه بن وهب كتاب «أهوال القيامة» (تأليفه)، فخرّ مغشيًّا عليه، قال: فلم يتكلم بكلمة، حتى مات بعد أيام ـ رحمه اللَّه ـ»(١).

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.. هكذا يموت شيخ الإسلام ابن وهب من جرّاء ذكر القيامة.

قال الذهبي: «كان ابن وهب من أوعية العلم، ومن كنوز العمل»(٢).

وقال الذهبي: «بلغنا أن مالكًا كان يكتب إليه: «إلى عبد اللَّه بن وهب مفتي أهل مصر، ولم يفعل هذا مع غيره»(٣).

وقال سحنون الفقيه: «كان ابن وهب قد قسّم دهره أثلاثًا: ثلثًا في الرباط، وثلثًا يعلّم الناس بمصر، وثلثًا في الحج»(٤). حج ستًّا وثلاثين فرحمة اللَّه عليه.

*** الإمـام سـفيان الثـوري:**

● لما احتُضِر سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد اللَّه، عليك بالرجاء؛ فإن عفو اللَّه أعظم من ذنوبك، فقال: أوَ على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى اللَّه بأمثال الجبال من الخطايا.

---

(١) «السير» (٩/ ٢٢٦)، و«الانتقاء» لابن عبد البر ص(٤٩).
(٢) «السير» (٩/ ٢٢٤).
(٣) «السير» (٩/ ٢٢٧).
(٤) «السير» (٩/ ٢٢٦).

• وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد اللَّه، أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض، فقال: واللَّه لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: بكينا على الذنوب زمانًا ونحن الآن نبكي على الإسلام.

• وعن ابن مهدي، قال: مرض سُفيان بالبطن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن! ما أشد الموت، ولما مات غمضتُه، وجاء النَّاس في جوف الليل، وعلموا.

• وقال عبد الرحمن: كان سفيان يتمنى الموت ليسلم من هؤلاء، فلما مرض كرهه، وقال لي: اقرأ عليَّ ﴿يس﴾ فإنه يقال: يخفف عن المريض، فقرأتُ، فما فرغت حتى طُفئ[1].

وقيل: أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة. فشهده الخلق، وصلَّى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصيةٍ من سفيان لصلاحه.

• وقال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلسًا إلا ذكرتُ الموت، ما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه.

قال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أيامًا، فإذا سئل عن الشيء يقول: لا أدري لا أدري.

• قال أبو أسامة كنت بالبصرة حين مات سفيان الثوري، فلقيت يزيد بن

(١) انظر: ترجمة سفيان الثوري في «السير» (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩).

إبراهيم التستري، فقال لي: قيل لي في منامي: الليلة مات أمير المؤمنين. فقلت للذي يقول في المنام: أمات سفيان الثوري؟ فقلت له: قد مات الليلة. وقد كان مات تلك الليلة ولم يكن علمه.

● وقال عبد اللَّه بن شيرزاذ الواسطي: كنت بعبادان فرأيت رجلا جيء به في ثياب بيض قد مات فوضع في سفينة، فقلت: مَنْ هذا الذي قد مات على السنّة ونجا وصار في الآخرة؟

فلما ارتفع النهار جاء الخبر أن سفيان الثوري مات في تلك الليلة [١].

● وقال إبراهيم بن أعين البجلي، وكان من خيار الناس قال: رأيت سفيان الثوري في المنام، فقلت: له يا أبا عبد اللَّه ما صنعتَ فدَيتُك؟ قال: أنا مع السفرة، قلت: وما السفرة؟ قال: الكرام البررة [٢].

● وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم، وقد مات كأنه يطير في الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، فقلت له: بم أدخلت الجنة؟ قال: بالورع بالورع» [٣].

* حكيم وقته وزاهده داود الطائي:

● قال فيه ابن المبارك: هل الأمر إلا ما كان عليه داود.

وقال محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقصّ اللَّه تعالى شيئًا من خبره.

---

(١) مقدمة «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ١٢٢).

(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٠).

(٣) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلي الأزدي ص(١٣١).

● «قال أبو داود الطيالسي: حضرت داود، فما رأيت أشد نزعًا منه»[١].

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته، فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير، الحمد للَّه، قال: فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقال: كان يحب الخير وأهله فرقَّاه الخير إلى درجة أهل الخير[٢].

* الإمام المبارك عبد اللَّه بن المبارك:

● قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد اللَّه بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام[٣].

● قال الذهبي: واللَّه إني لأحبه في اللَّه، وأرجو الخير بحبه[٤].

● قال أحمد بن عبد اللَّه العجلي: حدثني أبي قال: لما احتضر ابن المبارك، جعل رجل يُلقنه، قل: لا إله إلا اللَّه، فأكثر عليه، فقال له: لست تُحسنُ، وأخافُ أن تؤذي مسلمًا بعدي، إذا لقنتني، فقلتُ: لا إله إلا اللَّه، ثم لم أحدث كلامًا بعدها، فدعني، فإذا أحدثتُ كلامًا، فلقني حتى تكون آخر كلامي.

وقيل: فتح عبد اللَّه بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

● وفي «العاقبة»: «لما حضرت ابن المبارك الوفاة، قال لنصر مولاه: اجعل رأسي على التراب. فبكى نصر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما

---

(١) «السير» (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٢).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٧٥).

كنت فيه من النعيم، وأنت ها هنا تموت فقيراً غريبًا، فقال: اسكت فإني سألت اللَّه أن يحييني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء»[١] .

مات ابن المبارك سَحرًا بهيت لعشرٍ مضين من رمضان منصرفه من الغزو. . فهل بعد هذه الأوقات الخيّرة من خير.

● قال أبو خالد الأحمر: ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدّتها لموت ابن المبارك.

● وعن عبد الوهاب بن الحكم قال: لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء[٢] .

● وقال العباس بن محمد النسفي: سمعت أبا حاتم الفربري يقول: رأيتُ ابن المبارك واقفًا على باب الجنة بيده مفتاح، فقلت: ما يُوقفك ها هنا؟ قال: هذا مفتاح الجنة، دفعه إليَّ رسول اللَّه ﷺ، وقال: حتى أزور الرب، فكن أميني في السماء، كما كنتَ أميني في الأرض[٣] .

* موت الأوزاعي:

● عن محمد بن عُبَيْد الطنافسي قال: كنت عند سفيان الثوري، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رُفِعت. قال: إن صدقت رؤياك، فقد مات الأوزاعي. فكتبوا ذلك، فوُجِد كذلك في ذلك اليوم[٤] .

* زرارة بن أوفى: «يموت في الصلاة»:

رحم اللَّه أبا حاجب البصري قاضي البصرة زرارة بن أوفى.

---

(١) «العاقبة» ص(١٤٥).
(٢) «السير» (٨/ ٣٩٠).
(٣) «السير» (٨/ ٣٩٠).
(٤) «السير» (٧/ ١٢٦).

قال بهز بن حكيم: أمّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير، فقرأ «المدثر»، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، خرّ ميتًا. قال بهز: فكنت فيمن حضره[(١)].

* قتيل القرآن، السيد الولي الرّباني، علي بن الفضيل بن عياض:

• كان علي يومًا عند ابن عيينة، فحدّث سفيان بحديث فيه ذكر النار، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشهق شهقة ووقع، ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان، فقال: لو علمتُ أنك ها هنا ما حدّثتُ به. فما أفاق إلا بعد ما شاء اللَّه[(٢)].

• وقال الفضيل: أشرفت ليلة على عليّ، وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟!

وقال لي: يا أبَهْ، سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة. ثم قال: لم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يساعدني على الحزن والبكاء. يا ثمرة قلبي، شكر اللَّه لك ما قد علمه فيك[(٣)].

قال الخطيب: «مات قبل أبيه بمدة، من آية سمعها تقرأ، فغشي عليه وتوفي في الحال»[(٤)].

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام:

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد»، وابن سعد في «الطبقات»، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن الجوزي في «صفة الصفوة»، والذهبي في «السير» (٤/ ٥١٦)، وقال: صحّ.

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي ص(٢١)، و«السير» (٨/ ٤٤٥).

(٣) «السير» (٨/ ٤٤٤)، و«الحلية» (٨/ ٢٩٧).

(٤) «السير» (٨/ ٤٤٣).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ [٢٧]، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه»[١] .

للَّه درك من سيد بلغت الغاية من رقة القلب، حتى تموت من جرّاء سماع أو قرآءة آية، وباللَّه ما أحلاه نعت يطلقه عليك الفضيل: قتيل القرآن.

*** أبو جهث : «المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية»:**

أبو جهث، أو أبو جهير مسعود الضرير.

● عن إسماعيل بن نصر العبدي، قال: نادى منادٍ في مجلس صالح المرِّي: ليقم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهث، فقال: اقرأ يا صالح: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٣، ٢٤]، فقال أبوجهث: ردّدْها يا صالح. فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث[٢] .

*** «وجارية تتعلّق بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت»:**

● عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة، تعلّقت بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت»[٣] .

*** موت الشافعي: «ناصر السنة، قمر حلقات العلم وشمسها»:**

● قال أحمد بن حنبل: قدم الشافعي فوضعنا على المحجة البيضاء[٤] .

---

(١) «السير» (٨/ ٤٤٦).

(٢) «الجامع لشعب الإيمان»، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٣).

(٣) «السير» (٤/ ٣٣٤)، وقال الذهبي: إسنادها صحيح.

(٤) «توالي التأسيس» ص(١١١).

وقال: ما من أحد مسّ محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منّة[١] .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: «قال أستاذ الأستاذين، فيُقال له: من هو؟ فيقول: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟»[٢] .

وقال أبو زرعة: «ما أعلم أحدًا أعظم منّة على أهل الإسلام من الشافعي»[٣] .

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي»[٤] .

• قال الربيع: جاء رسول الخليفة[٥] إلى الشافعي بمصر يدعوه ليوليه القضاء، فقال الشافعي: اللَّهم إن كان خيرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فأمضه، وإلا فاقبضني إليك، قال: فتوفي بعد هذه الدعوة بثلاثة أيام، والرسول على بابه[٦] .

• عن ابن خزيمة وغيره، حدثنا المزني قال: دخلتُ على الشافعي في مرضه الذي ماتَ فيه، فقلتُ: يا أبا عبد اللَّه، كيف أصبحتَ؟ فرفعَ رأسه، وقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مُفارقًا، ولسوء عملي مُلاقيًا، وعلى اللَّه واردًا، ما أدري روحي تصيرُ إلى جنةٍ فأُهَنِّيها، أو إلى نارٍ فأُعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضَاقَتْ مذاهبي ... جَعلتُ رَجائي دُونَ عَفوِكَ سُلَّما
تعاظَمَني ذَنبي فَلمَّا قَرَنْتُه ... بِعَفوِكَ رَبِّي كان عَفوُكَ أَعظما

---

(١) «توالي التأسيس» ص(١١٣).
(٢، ٣) «توالي التأسيس» ص(٦١).
(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٦٥).
(٥) «الخليفة المأمون».
(٦) «توالي التأسيس» لابن حجر ص(١٩٣).

فما زِلتَ ذا عَفوٍ عن الذَّنب لم تَزَلْ تَجودُ وتَعفو منَّةً وتَكَرُّما
ولَولاكَ لم يُغوى بابليس عابدٌ فكيفَ وقَد أغوى صَفيَّك آدَما
وإنِّي لآتي الذَّنب أعرِفُ قَدْرَه وأَعلمُ أنَّ اللَّه يعفُو تَرَحُّما [١]

وفي «توالي التأسيس»:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي وإنْ كنتُ يا ذا المَنّ والجود مجرما

وفي حالته هذه دخل عليه يونس بن عبد الأعلى، فقال له الشافعي: «يا أبا موسى، اقرأ عليَّ ما بعد العشرين والمائة من آل عمران، وأخف القراءة، ولا تثقل. فقرأت عليه؛ فلما أردت القيام، قال: لا تغفل عني، فإني مكروب. قال يونس: عنى الشافعي في قراءتي ما بعد العشرين والمائة، ما لقي النبي ﷺ وأصحابه، أو نحوه» [٢].

وقال حرملة: قال لي الشافعي: «اذهب إلى إدريس العابد، فقل له: يدعو اللَّه عز وجل لي» [٣].

وقال الربيع: لما كان مع المغرب، قال له ابن عمه: ننزل حتى نصلي، قال: «تجلسون تنظرون خروج نفسي»، فنزلنا ثم صعدنا، فقلنا: أصليت؟ قال: نعم، واستسقى ـ وكان الوقت شتاء ـ وتوفي بعد عشاء الآخرة [٤].

توفي ـ رحمه اللَّه ـ ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب.

● قال العزيزي: ـ وكان متعبداً ـ: رأيت ليلة مات الشافعي في المنام كأنه

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٦)، و«السير»، و«توالي التأسيس» ص(١٨٩).
(٢) «آداب الشافعي ومناقبه» لأبي حاتم الرازي ص(٧٦).
(٣) «توالي التأسيس» ص(١٨٩).
(٤) «توالي التأسيس» ص(١٩١).

يُقال مات النبي ﷺ في هذه الليلة، وكأني رأيته يُغَسَّل في مجلس عبد الرحمن الزهري، في المسجد الجامع، وكأنه يُقال لي: أنه يخرج به بعد العصر فأصبحت، فقيل لي: مات الشافعي، وقيل لي: يُخرج به بعد العصر، وكنت رأيت في النوم سرير امرأة رثة السرير، قال: فأرسل الأمير أن لا يخرج إلا بعد العصر، فأخرج بعد العصر، قال: فشهدت جنازته، فلما صرت إلى الموضع الواسع، رأيت سريراً مثل سرير المرأة الرثة السرير معه[(١)].

● وقال الربيع: «رأيت في المنام أن آدم ﷺ مات، فسألت عن ذلك، فقيل لي: هذا موت أعلم أهل الأرض؛ لأن اللَّه تعالى علّم آدم الأسماء كلها، فما كان إلا يسير، فمات الشافعي»[(٢)].

وقال أيضًا: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد اللَّه، ما صنع اللَّه بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب[(٣)].

*** أبو عبد اللَّه محمد بن يوسف الأصبهاني: «عروس العُبّاد يكون له ما تمنّى»:**

● كان ابن المبارك يأتيه، ويحبه. وقال يحيى القطّان: ما رأيت خيراً منه. كان ـ رحمه اللَّه ـ لا يضع جنبه[(٤)].

● «خرج ـ رحمه اللَّه ـ في جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق

(١) «توالي التأسيس» ص(١٩٤).
(٢) «المجموع» للنووي (١/ ١٥).
(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٧).
(٤) «السير» (٩/ ١٢٦).

الفزاري ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدفن بينهما.

فما أتت عليه عشرة أيام، أو نحوها حتى دُفن في الموضع الذي أشار إليه»(١).

* أحد الصالحين المشتاقين إلى رب العالمين:

● «قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على بعض المتعبدين، وهو مريض، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: بحال شريفة أسير كريم حبيس جوارحه مع أعوان صدق، واللَّه لو لم يكن بي مما ترون عِوَضًا إلا ما أُودِع قلبي من محبته لكنت خليقًا أن أدوم على الرضا عنه، وما الدنيا وما غاية البلاء فيها؟ هل هو إلا ما ترون من هذه العلّة ويوشك إن اشتد بي الأمر أن ترحلني إلى سرر، ولنعمت العلة علة رحلت بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه»(٢).

* صدق الوفاء والصبر وخالص الحب عند فراق الدنيا:

● يروى أن مالك بن دينار ـ رحمه اللَّه ـ: «دخل على شاب يعوده فوجده خيالاً على فراشه كالشن البالي، فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه وأشار بطرفه فبينما نحن كذلك، وإذا نحن بصوت المؤذن فسمعناه يقولُ: مثل ما يقول المؤذن ويشير بأصبعه عند الشهادتين، ثم أمر والده يُوَضأه، ثم أمره أن يوجهه إلى القبلة ليصلي راقدًا بالإيماء، ثم قال: يا مالك. راحة مع بقاء الإيمان، يا مالك نِعمُهُ لا تُعَدّ وبلاؤه واحد. قال مالك: فعجبت من يقينه وصبره وصدق وفائه وخالص محبته، ثم لم يلبث

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٨٣).

(٢) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلي ص(٦٣).

إلا يسيرًا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ»[1] .

* موت حطيط الزيّات:

• جيء بحطيط الزيّات إلى الحجّاج، فلما دخل عليه، قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عمّا بدا لك، فإني عاهدت اللَّه عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئِلت لأصدُقَنّ، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عُوفيت لأشكرن. قال: فما تقول فيّ؟ قال: أقول: إنك من أعداء اللَّه في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنّة. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وأنت خطيئة من خطاياه.

قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب حتى انتحلوا لحمه. فما سمعوه يقول شيئًا، ثم مات ـ رحمه اللَّه ـ.

* الإمام البويطي: «لأموتن في حديدي»:

سيد الفقهاء، تلميذ الشافعي أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري.

«سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد، حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر، فامتحنه ـ أي في محنة خلق القرآن ـ فلم يُجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنهُ يقتدي به مائة ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يُحمل إلى بغداد.

قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غلّ، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغلّ سلسلة فيها لبنة ـ طوبة ـ وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: «إنما خلق اللَّه الخلق بـ «كن»، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلِق بمخلوق، ولئن دخلت عليه لأصدقنّه ـ يعني الواثق ـ ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[1] .

---

(١) «العاقبة» ص(٦٣).

وتوفي ـ رحمه اللَّه ـ في قيده مسجونًا بالعراق، في سنة إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة.

*** الإمام نعيم بن حماد: «أوصى أن يدفن في قيوده»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا في الرد على الجهمية، حُمِل إلى العراق في إبّان تلك الغيمة مع البويطي مقيّدين.

قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفرية، فامتنع أن يجيب، فسجن، ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومائتين، وجُرّ بأقياده، فأُلقي في حفرة، ولم يكفّن، ولم يصلّ عليه... وأوصى نعيم أن يدفن في قيوده، وقال: «إني مخاصم»[٢].

*** الإمام الشهيد أحمد بن نصر الخزاعي[٣]: «وكرامة له عند موته نطق رأسه بالشهادة»:**

● كان ـ رحمه اللَّه ـ أمّارًا بالمعروف، قوّالاً بالحق، من أكابر العلماء العاملين، ومن أهل العلم والديانة.

حُمِل من بغداد إلى سامرّاء مقيدًا، وجلس له الواثق، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام اللَّه. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام اللَّه. قال: فترى ربك يوم القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك! يُرى كما يُرى المحدود المتجسِّم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟! أنا كفرتُ بمن هذه صفته. ما تقولون فيه؟ فقال: قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم. ووافقه فقهاء. قال الواثق: ما أراه إلا مؤديًا لكفره، قائمًا فيما يعتقده. ودعا

---

(١) «السير» (١٢/ ٥٨).

(٢) «السير» (١٠/ ٦١٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٦٧)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٣١٨).

بالسيف، وقام، وقال: إني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر، فضرب عنقه، بعد أن مدّوا له رأسه بحبل، وهو مقيّد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد ابن نصر ـ حين قُتل ـ قال رأسه: لا إله إلا اللَّه. واللَّه أعلم.

وعُلّق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر، دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة؛ فجعله اللَّه إلى ناره. وبقي رأسه منصوبًا ببغداد، والبدن مصلوبًا بسامرّاء، وفي رجليه زوج قيود.

* أبو محفوظ معروف الكرخي الإمام الزاهد:

رحم اللَّه إمام أهل السنة الذي يعرف للأماجد حقهم إذ يقول: «وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف».

● قال أبو بكر الزجاج: قلت لمعروف الكرخي في علته: أوص. فقال: إذا مت فتصدّقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عُريانًا، كما دخلت إليها عريانًا[1].

* عبد اللَّه بن مرزوق الزاهد:

● عن سلامة بن عبد اللَّه بن مرزوق. قال: قال عبد اللَّه بن مرزوق في مرضه: يا سلامة إن لي إليك حاجة. قلتُ: ما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المزبلة، لعلي أموت عليها، فيرى مكاني فيرحمني[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٢)، و«طبقات الأولياء» (٢٨٥)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٦٨)، «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٣٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

* آدم بن أبي إياس العسقلاني: «بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع»:

● آدم بن أبي إياس من عباد اللَّه الصالحين، كان شديد التمسك بالسنّة، روى عنه الأئمة الأعلام مثل البخاري، وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة.

●قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن، وهو مُسَجًّى، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع. كنت أؤملك لهذا اليوم. كنت أرجوك، ثم قال: «لا إله إلا اللَّه»، ثم قضي(١).

* شيخ المشرق شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي:

● قال أبو عبد اللَّه محمد بن القاسم خادم ابن أسلم:

«دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام، فقال: تعالى أبشِّرك بما صنع اللَّه بأخيك من الخير. قد نزل بي الموت، وقدْ مَنَّ اللَّه تعالى عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه.

أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ عليَّ حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع غير كسائي، ولبدي، وإنائي الذي أتوضأ فيه، وكتبي هذه، وكانت معه صرّة فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذه لابني، أهداه له قريب له، ولا أعلم شيئا أحلّ لي منه، لأن النبي ﷺ قال: «**أنت ومالك لأبيك**»(٢) فكفنوني فيها، فإذا أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطّوا عليها بكسائي، وتصدّقوا

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٩)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٩).
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وفي «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري.

بإنائي، أعطوه مسكينًا يتوضأ فيه. ثم مات في اليوم الرابع»[١].

● عن محمد بن العباس السلطي: سمعتُ ابن أسلم يُنشد:

إنَّ الطَّبيبَ بطبِّه ودَوائِه لا يَسْتَطيعُ دِفَاعَ مَقْدُورٍ أتَى
ما للطَّبيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذي قَدْ كانَ يُبْري مثله فيما مَضى
هَلَكَ المُداوي والمُداوَى والذي جَلَبَ الدَّواءَ وبَاعَهُ وَمَن اشْتَرى

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور.

● عن الحاكم قال: سمعتُ أبا النضر الفقيه، سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل العنبري يقول: كنتُ بمصر، وأنا أكتبُ بالليل كُتُبَ ابن وهبٍ، وذلك لخمسٍ بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبدُ الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبتُه على ظهر كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة[٢].

* إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:

● قال ابنه صالح: لما كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حُمّ أبي ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفّسًا شديدًا، وكنتُ قد عرفت عِلّته، وكنت أُمرّضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبةِ، على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقِلّى. ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدي، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء، ضَعُف، وتوكّأ عليّ. وكان يختلف إليه غير متطبب كلهم مسلمون. فوصف له متطبب قرعة تُشوى، ويُسقى ماءها. وهذا كان يوم الثلاثاء، فمات يوم الجمعة ـ فقال: يا صالح، قلتُ: لبيك، قال: لا تُشوى في منزلك، ولا في منزل أخيك. وصار الفتح بن سهل إلى

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١)، و«الثبات عند الممات» (ص١٦٢ ـ ١٦٣).
(٢) «السير» انظر ترجمة محمد بن أسلم الطوسي (١٢/ ١٩٥ ـ ٢٠٧).

الباب ليعوده فحجبته، وأتى ابن علي بن الجعد فحبسته، وكثر الناس. فقال: فما ترى؟ قلتُ: تأذن لهم فيدعون لك. قال: أستخير اللَّه، فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا، حتى تمتلئ الدار، فيسألونه، ويدعون له، ويخرجون، ويدخل فوج، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق.

وجاء جار لنا قد خضب، فقال أبي: إني لأرى الرجل يُحيي شيئًا من السنّة فأفرح به. فقال لي: وجِّه فاشتر تمرًا، وكفّر عني كفارة يمين. قال: فبقي في خُرَيقته نحو ثلاثة دراهم. فأخبرته، فقال: الحمد للَّه. وقال: اقرأ عليّ الوصية، فقرأتها، فأقرّها.

وكنت أنام إلى جنبه، فإذا أراد حاجة، حرّكني فأناوله، وجعل يُحرِّك لسانه، ولم يئنّ إلا في الليلة التي تُوفي فيها. ولم يزل يصلي قائمًا، أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه في ركوعه.

قال: واجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغيرُ ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلما كان يوم الجمعة، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، لساعتين من النهار تُوفي.

وقال المروذي: مرض أحمد تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجًا، يسلمون ويردّ بيده، وتسامع الناس وكثروا.

وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكّل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق، فكان الناس في الشوارع والمساجد، حتى تعطّل بعض الباعة. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه، ربما دخل من بعض الدور وطرز[1] الحاكة، وربما تسلّق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب. وجاءه حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير

(١) الموضع الذي تصنع فيه الثياب.

يُقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك. فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره.

قال: وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبُرُد تختلف كل يوم. وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قوم من القضاة وغيرهم، فلم يؤذن لهم. ودخل عليه شيخ، فقال: اذكر وقوفك بين يدي اللَّه، فشهق أبو عبد اللَّه، وسالت دموعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين. قال: ادعوا لي الصبيان، بلسان ثقيل. قال: فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمُّهم ويمسح رؤوسهم، وعينه تدمع، وأدخلتُ تحته الطست، فرأيت بوله دمًا عبيطًا. فقلت للطبيب: فقال: هذا رجل قد فتّت الحزن والغم جوفه.

واشتدت علته يوم الخميس ووضَّأْتُه، فقال: خلِّل الأصابع، فلما كان ليلة الجمعة، ثقل، وقُبض صدر النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأنّ الدنيا قد ارتجَّت، وامتلأت السكك والشوارع.

● وعن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد اللَّه، وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هـذه من شـعـر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد اللَّه عند موته أنْ يُجعَل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته[(١)].

● قال صالح: دخل على أبي مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد اللَّه قد جاءتك البشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تُبالي لو وردت على اللَّه الساعة، وجعل يُقَبِّل يده ويبكي، ويقول: أوصني يا أبا عبد اللَّه، فأشار إلى لسانه.

(١) «السير» (١١/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

ودخل سوَّار القاضي، فجعل يبشره ويخبره بالرخص.

رحم اللَّه إمام أهل السنة والجماعة.

● عن عبد اللَّه بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلاّ وقاه اللَّه فتنة القبر**»(١).

● عن أخي أبي عقيل القزويني قال: رأيت شابًّا تُوفي بقزوين في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قلت: غفر لك؟ قال: نعم. وتعجّب، ولفلان، ولفلان. قلت: ما لي أراك مستعجلاً؟ ـ ورأيته مستعجلاً ـ قال: لأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا قد اشتغلوا بعقد الألوية ـ لاستقبال أحمد بن حنبل وأنا أريد استقباله ـ وكان توفي أحمد في تلك الأيام(٢).

● قال الخلاّل: حدثني أحمد بن محمد بن محمود، قال: كنتُ في البحر مقبلاً من ناحية السند في الليل، فإذا هاتف يقول: مات العبد الصالح، فقلت لبعض مَن معنا: مَنْ هذا؟ قال: هذا من صالحي الجن. ومات أحمد تلك الليلة(٣).

● وقال شيخ الإسلام الأنصاري: سمعتُ بعض أهل «باخْرز»، وهي من نواحي نيسابور، يقول: رأيت كأن القيامة قد قامت، وإذا برجل على فرس به من الحُسن ما اللَّه به عليم، ومناد ينادي: ألا لا يتقدمنه اليوم أحد. فقلت: مَن هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل(٤).

قال الذهبي: «وقد جمع ابن الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والحديث قوي بشواهده عن أنس، وجابر بن عبد اللَّه.
(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣١١).
(٣) «السير» (١١/ ٣٥٣).
(٤) «السير» (١١/ ٣٤٩).

ثلاثين ورقة. وأفرد ابن البناء جزءًا في ذلك. وليس أبو عبد اللَّه ممّن يحتاج تقرير ولايته إلى منامات، ولكنها جند من جند اللَّه تسر المؤمن ولا سيما إذا تواترت [١].

* ولي اللَّه محمد بن نوح: «رفيق الإمام أحمد في محنته»:

● قال أبو عبد اللَّه: ما رأيت أحدًا على حداثة سنّه، وقدْر علمه أقْوم بأمر اللَّه من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد اللَّه، اللَّه اللَّه، إنك لست مثلي. أنت رجل يُقتدى بك. قد مدّ الخلق أعناقهم إليك، لـمَا يكون منك، فاتق اللَّه واثبت لأمر اللَّه، أو نحو هذا. فمات وصليت عليه، ودفنته بعانة [٢].

* الإمام الحافظ زكريا بن عديّ:

● لما احتُضِر الإمام الحافظ زكريا بن عديّ، قال: اللَّهم إني إليك مشتاق.

قال بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه.

* الحسين بن حبّان:

● عن يحيى الأحول، قال: تلقيْنا يحيى بن معين مقدمه من مكة، فسألناه عن الحسين بن حبان، فقال: أحدثكم أنه لـمّا كان بآخر رَمَق قال لي: يا أبا زكريا: أترى ما مكتوب على الخيمة؟ قلتُ: ما أرى شيئًا. قال: بلى. أرى مكتوبًا: يحيى بن معين يقضي، أو يفصل بين الظالمين. قال: ثم خرجت نفسه [٤].

(١) «السير» (١١/ ٣٥٣).
(٢) «السير» (١١/ ٢٤٢).
(٣) «السير» انظر: الترجمة (١٠/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥).
(٤) «السير» (١١/ ٨٤).

*** النَّضْر بن عبد اللَّه بن حازم: «واللَّه ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره»:**

● عن المفضل بن غسّان، عن أبيه قال: احتُضر النَّضْر بن عبد اللَّه بن حازم، فقيل له: أبْشِر. فقال: واللَّه ما أبالي، أَمُتُّ، أم ذُهب بي إلى الأُبُلّة، واللَّه ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره. وما نقلني ربي من حالٍ قط إلى حالٍ إلاّ كان ما نقلني إليه خيرًا لي مما نقلني عنه[1].

*** أعرابي وحُسْن ظنه بربه عند موته:**

● وعن إدريس بن عبد اللَّه المروزي قال: مرض أعرابي، فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يذهب بي؟ قال: إلى اللَّه. قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه[2].

*** للَّه درّ أبي زُرعة الرازي وحسن خاتمته:**

● ومَنْ في الناس كأبي زرعة الإمام الرباني عبيد اللَّه بن عبد الكريم.

قال عنه الإمام أحمد: اعتضت بمذاكرته عن نوافلي، وما جاوز الجسْر أحفظ من أبي زرعة.

وقال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل.

قال أبو جعفر التستري: حضرنا أبا زرعة - يعني الرازي - بماشهران[3] وكان في السَّوْق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا**

---

(١) «حسن الظن باللَّه» ص(٤٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٧ - ٣٨).
(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٣٨)، و«حسن الظن» ص(٤٤).
(٣) إحدى قرى الريّ.

إله إلا اللَّه»، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوه أن يلقّنوه. فقالوا: تعالواْ نذكر الحديث، فقال: محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبدالحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز، وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة ـ وهو في السَّوْق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة»**، وتُوفي ـ رحمه اللَّه ـ[(١)] .

● قال حفص بن عبد اللَّه ـ بأردبيل ـ اشتهيت أن أرحل إلى أبي زرعة الرازي، فلم يقدر لي، فدخلت الريّ بعد موته، فرأيته في النوم يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، فقلت: عبيد اللَّه بن عبد الكريم؟ قال: نعم! قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث، أقول فيها عن النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: **«من صلىّ عليّ صلاة صلىّ اللَّه عليه عشراً»**[(٢)] .

● وعن محمد بن مسلم بن وارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام، فقلت له: ما حالك يا أبا زرعة؟ قال: أحمد اللَّه على الأحوال كلها، إني أحضرت فوقفت بين يدي اللَّه تعالى، فقال لي: يا عُبيد اللَّه بم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب إنهم خاذلوا دينك، فقال: صدقت، ثم أتى بأبي طاهر الحلقاني فاستعديت عليه إلى ربي تعالى، فضرب الحدّ مائة، ثم أمر به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عبيد اللَّه بأصحابه، بأبي عبد اللَّه، وأبي عبد اللَّه، وأبي عبد اللَّه، سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل[(٣)] .

---

(١) «تاريخ بغداد» (١/ ٣٣٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٦).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٦).

* أبو حاتم الرازي : «وما ظهر له من سيد عمله عند وفاته»:

• قال ابن أبي حاتم الرازي: حضرت أبي ـ رحمه اللَّه ـ وكان في النزع وأنا لا أعلم فسألته عن عقبة بن عبد الغافر يروي عن النبي ﷺ : له صحبة؟ فقال برأسه: لا ، فلم أقنع منه، فقلت: فهمت عني: له صحبة؟ قال: هو تابعي.

قلت: فكان سيد عمله معرفة الحديث وناقلة الآثار فكان في عمره يقتبس منه ذلك، فأراد اللَّه أن يظهر عند وفاته ما كان عليه في حياته[1] .

* أستاذ الأستاذين الإمام البخاري:

• قال قتيبة بن سعيد: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

• قال ابن عدي: سمعتُ عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرتنك ـ قرية ـ على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعتُه ليلةً يدعو، وقد فرغَ من صلاةِ الليل: اللَّهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، فاقبضني إليك فما تم الشهرُ حتى مات. وقبره بخرتنك.

• وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه أبو عبد اللَّه يقول: إنه أقام عندنا أيامًا، فمرض واشتدّ به المرضُ حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيَّأ للركوب، فلبس خُفَّيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخذ بعضُده، ورجلٌ آخر معي يقودُه إلى الدابة ليركبها، فقال ـ رحمه اللَّه ـ: أرسلوني، فقد ضعفتُ، فدعا بدعواتٍ، ثم اضطجع

---

(١) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

فقضي ـ رحمه اللَّه ـ. فسال منه العرقُ شيء لا يُوصف. فما سكن منه العَرَقُ إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثوابٍ بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من تُرابِ قبره رائحةُ غاليةٍ أطيب من المسك، فدام ذلك أيامًا ثم علت سَوَاري بيضٌ في السماء مستطيلةٌ بحذاءِ قبرِه، فجعل الناسُ يختلفون ويتعجبون، وأما الترابُ فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، حتى ظهر القبر ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس. وغُلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبًا مشبَّكًا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلُصون إلى القبر. . وأما ريح الطيب فإنه تداوم أيامًا كثيرة، حتى تحدث أهلُ البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مُخالفيه أمرُه بعد وفاته، وخرج بعض مُخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذمومِ المذهب.

● وقال محمدُ بن محمد بن مكي الجُرجاني: سمعتُ عبد الواحد بن آدم الطواويسيَّ يقول: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقفٌ في موضعٍ، فسلمتُ عليه، فرد عليَّ السلام فقلتُ: ما وُقوفك يا رسول اللَّه؟ قال: أنتظر محمدَ بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيامٍ بلغني موتُهُ، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيتُ النبي ﷺ فيها.

● وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا ذر يقولُ: رأيتُ محمد بن حاتم الخلقانيَّ في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألتُه ـ وأنا أعرف أنه ميّت ـ عن شيخي ـ رحمه اللَّه ـ، هل رأيته؟ قال: نعم رأيتُه وهو ذاكَ، يُشير إلى ناحيةِ سطحٍ من سطوح المنزل. ثم سألتُه عن أبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتُه، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلوٍّ ما يُشير[1].

(١) «السير».

* موت الدارمي:

● قال إسحاقُ بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي عبد اللَّه بن عبد الرحمن، فنكس رأسه، ثم رفع واسترجع، وجعل تسيلُ دموعُه على خديه، ثم أنشأ يقولُ:

إن تَبْقَ تُفْجَعْ بالأحِبَّةِ كُلِّهِمْ وفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أبـا لَكَ أفْجَعُ[1]

* الزاهد الرباني أحمد بن خِضرَوَيه: «باب كنت أقرعه منذ خمسٍ وتسعين سنة»:

● عن محمد بن حامد قال:

كنت جالسًا عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزع، فسُئِل عن مسألة فدمعت عيناه. وقال: يا بني! باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، هو ذا يفتح لي الساعة. ولا أدري انفتح لي بالسعادة أم بالشقاوة، وأنَّى لي بالجواب.

وكان قد ركبه من الدين سبعمائة دينار، وحضر غرماؤه، فنظر إليهم، وقال: اللَّهم إنك جعلت الرهون وثيقة، فأدِّ عني. قال: فدقَّ داق الباب. وقال: أهذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم! قال: فأين غرماؤه؟ قال: فخرجوا، فقضى عنه، ثم خرجت روحه[2].

* محمد بن عبد اللَّه بن جعفر الزهري: «يموت في الصلاة»:

● كان هذا العبد الصالح جارًا لأحمد بن حنبل «وكان قائمًا يصلي فخرَّ ميتًا»[3] ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) انظر: ترجمة الدارمي «السير» (١٢/ ٢٢٤ ـ ٢٣٢).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٠)، و«السير» (١١/ ٤٨٨).

(٣) «المقصد الأرشد» (٢/ ٤٢١).

* وأبو الحسن العكبري يموت وهو يصلي:

هذا الشيخ الزاهد الفقيه الأمّار بالمعروف، والنهّاء عن المنكر، كان كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن، «توفي فجأة في الصلاة في رمضان»[(١)] .

* وجعفر بن الحسن المقرئ يموت وهو ساجد:

● جعفر بن الحسن الدَّرزيجاني الأمار بالمعروف، ذو المقامات المشهورة في ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين صحب القاضي أبا يعلى وتفقّه عليه «توفي في الصلاة ساجدًا»[(٢)] .

* ذو النون المصري شيخ المحبين الزهاد الورعين العباد: «أموت وما ماتت إليك صبابتي»:

● للَّه ما أحلى حاله وكلامه، للَّه ما أحلى إشاراته، وللَّه دره عند موته.

● قال فتح بن شخرف: دخلتُ على ذي النون عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموتُ وما ماتتْ إليك صبابتي ... ولا رويت من صدْق حبِّك أَوْطَاري
مُنايَ المُنى كلُّ المُنى أنتَ لي مُنًى ... وأنت الغِنَى كلُّ الغِنَى عند إقتاري
وأنت مدى سؤْلي وغايةُ رغبتي ... ومَوْضِعُ آمالِي ومكنونُ إضماري
تحمّلَ قلبي فيك ما لا أبثُّهُ ... وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري[(٣)]
وبين ضلوعي منك ما لا أبثُّه ... ولم أُبْدِ باديه لأهلٍ ولا جارِ

(١) «المقصد الأرشد» (٢/ ٢٢١)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٣١).
(٢) «المقصد الأرشد» (١/ ٢٩٧)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٥).
(٣) في «صفة الصفوة» :
تضمن قلبي منك ما لك قد بدا ... وإن طال سري فيك أو طال إظهاري

سَرائرُ لا يخفى عليك خَفيُّها ... وإن لم أَبْح حتى التَّنادي بأسرارِي
فَهَبْ لي نَسيمًا منك أحيا برُوحه ... وَجُدْ لي بيُسْرٍ منك يطرُد إعْسَاري
أنرتَ الهُدى للمهتدين ولم يكن ... من العلم في أيديهمُ عُشْرَ مِعْشَارِ
وعلَّمتهم علمًا فباتُوا بنوره ... وبان لهم منه معالم أسرارِ
معاينة للغيب حتى كأنها ... لما غاب عنها منه حاضرة الدار
فأبصارهم محجوبةٌ، وقلوبهم ... تراك بأوهامٍ حَديداتِ أبصارِ
ألستَ دليلَ المرء إنْ هُم تحيّروا ... وعصمة من أمسى على جرف هار

• قال الفتح بن شخرف: فلما ثقل، قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلةٌ ... ووضعي على خدِّي يدي عند تذكاري
وإنْ طرقتْني عبرةٌ بعد عَبرةٍ ... تجرّعتها حتى إذا عِيلَ تَصْباري
أفضتُ دموعًا جمَّةً مستهلة ... أطفئ بها حَرًّا تضمَّنَ أسراري
ولستُ أبالي فائتًا بعد فائتٍ ... إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري[1]

* الحسن الغلاس ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون»:

• قال وهب بن نعيم بن الهيضم: لما اشتد الأمر بحسن الغلاس، طلب ماء فشرب، وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون[2].

* إبراهيم بن هانئ النيسابوري عند موته يقول: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾:

• قال الخطيب: «كان أحد الأبدال»[3].

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٣٩٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٢٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٤ ـ ١٦٥).
(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٦٧).
(٣) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٤).

● وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «إن يكن أحد ممّن يُعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانئ».

وقال: إن كان ببغداد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابوري[1].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: كان أحمد بن حنبل مختفيًا ها هنا عندنا في الدار، فقال لي أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك ـ يعني: من العبادة.

هذا الإمام العلم مات وهو صائم.

● قال أبو بكر النيسابوري: «حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر. قال: يا أبت: الستر مرفوع.

قال: أنا عطشان فجاءه بماء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فرُدَّه، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، ثم خرجت روحه».

وفي «صفة الصفوة»: «فدعا ابنه إسحاق قال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رُخص لك في الإفطار في المرض في الفرض، وأنت متطوع!، قال: أمهل. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ثم خرجت روحه»[2].

* الجنيد بن محمد شيخ وقته ونسيج وحده:

● قال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا، فكان قاعدًا يصلي، ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقل عليه حركتها، فمد رجليه، وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم، قال: هذه نعم، اللَّه أكبر، فلما

---

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٥).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٤٠١).

فرغ من صلاته، قال له أبو محمد الحريري: لو اضطجعت يا أبا القاسم. قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، اللَّه أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ(١).

• وقال أبو بكر العطوي: كنتُ عند الجُنيد لما احتُضر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعين آيةً ومات.

• قال الخلدي: رأيتُه في النوم، فقلت: ما فعل اللَّهُ بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعاتٌ كنا نركعُها في الأسحار(٢).

* عمرو بن عثمان المكي:

• قال عثمان بن سهل: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علّته التي تُوفي فيها، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد سري واقفًا مثل الماء لا يختار النُّقلة ولا المقام(٣).

* خير النسّاج: «دعني أمضي لما أُمِرت به»:

أبو الحسن خير بن عبد اللَّه النساج صحب الجنيد.

• قال أبو نعيم الحافظ: سمعت علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه.

أنه غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من البيت، وقال: قف ـ عافاك اللَّه ـ فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرتَ به لا يفوتك، وما أُمرتُ به يفوتني، فدعني أمضي لما أُمرت به، ودعا بماء

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) «السير».

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٤٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٩).

فتوضأ للصلاة، ثم صلى، ثم تمدد وغمَّض عينيه وتشهد فمات، فرآه بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: لا تسأل عن هذا ولكن استرحت من دنياكم[1] .

* إبراهيم الخواص:

- الإمام العابد ومن له الباع الطويل في التوكل:
- قال محمد بن عبد اللَّه الرازي:

مرض إبراهيم الخوّاص بالريّ في الجامع، وكان به علة القيام، فكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد، فركع ركعتين. فدخل الماء ليغتسل، فخرجت روحه وهو في وسط الماء[2] .

* يوسف بن الحسين الرازي: «هبْ لي غشّي لنفسي لنصحي لخلقك»:

- شيخ الريّ والجبال، نسيج وحده في إسقاط التصنع.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «لأن ألقى اللَّه تعالى بجميع المعاصي أحبّ إليّ من أن ألقاه بذرّة من التصنع».

- قال أبو عبد اللَّه الخنقاباذي:

حضرنا يوسف بن الحسين الرازي، وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئًا.

فقال: اللَّهم نصحت خلقك ظاهرًا، وغششت نفسي باطنًا، فهب لي

(١) «تاريخ بغداد» (٨/٣٤٧)، و«الحلية» (١/٣٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢/٤٥٣)، و«الثبات» ص(١٧١).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٢).

غشي لنفسي لنصحي لخلقك، ثم خرجت روحه[١] .

* علي بن بابويه الصوفي يموت وهو يطوف:

● لما هجم أبو طاهر القرمطي في سنة سبع عشرة وثلثمائة على الحاج بمكة، دخل يوم التروية، فقتل الحاج في المسجد الحرام، وفي فجاج مكة، وفي البيت قتلاً ذريعًا، وكان الناس يطوفون، فيقتلون.

وكان علي بن بابويه يطوف، فما قطع الطواف فضربوه بالسيوف فلما وقع أنشد:

ترى المُحِبِّينَ صَرْعى في ديـــارهمُ   كفتيةِ الكهف لا يدرون كم لَبِثُوا[٢]

* أبو القاسم عبد الصمد بن عمر بن محمد الزاهد الواعظ: «يا سيدي لليوم خبّأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك»:

● قال ابن الجوزي: قال أبو الوفاء بن عقيل ونقلته من خطّه، قال بعض أصحاب عبد الصمد: حضرته عند موته، وهو يقول: يا سيدي لليوم خبّأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك، حقّقْ حسن ظني فيك[٣] .

* إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري: «يكثر من التشهد والذكر»:

● حضر وقت موته جماعةٌ منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحُجةُ فيما بيننا وبين اللّه فيما نَدينُ به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبينةٍ لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٣).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٥)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٦٠).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٥ ـ ١٧٦).

فقال: الذي أدينُ اللَّه به وأوصيكم هو ما ثبت في كُتبي فاعملوا به وعليه، وكلامًا هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر اللَّه عز وجل، ومسح يدهُ على وجهه، وغمض بصره بيده وبسطها، وقد فارقت روحُهُ الدنيا[١].

* شيخ الحنابلة أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء: «غزل كفنه بنفسه»:

● قال ابن الجوزي: انتهى إليه مذهب أحمد، وكان متعبدًا حسن السمعة، فلما احتُضِر غزل أكفان نفسه، وأوصى أن لا يُكفّن بغيرها، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء[٢].

* أبو حكيم الخبري: «إنْ كان هذا موتًا، فواللَّه إنه موت طيّب»:

رحم اللَّه أبا حكيم عبد اللَّه بن إبراهيم الخبري. الفقيه الشافعي.

● قال ابن الجوزي: حدثني أبو الفضل بن ناصر عن جده أبي حكيم الخبري أنه كان قاعدًا ينسخ، فوقع القلم من يده، وقال: إنْ كان هذا موتًا، فواللَّه إنه موت طيّب، فمات[٣].

* أبو الخطّاب الكَلْوَذاني إمام الحنابلة:

الإمام محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلْوَذاني:

كان الكياهراسي إذا رآه مقبلاً، قال: جاء الفقه.

● قال ابن الجوزي: «حدثني عمر بن هديّة الصـوّاف قال: بتُّ عند أبي الخطاب ليلة موته، وهو طيب النفْس بالموت فخضبته بالحنّاء ومات»[٤].

---

(١) «السير» (١٤/ ٢٧٦).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٦).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٦).

(٤) «الثبات عند الممات» ص(١٧٧).

*** شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل: «دعوني أتهنّى لمقابلته»:**

صاحب كتاب «الفنون» الذي قال فيه الذهبي: «لم يصنف في الدنيا أكبر منه».

• قال ابن الجوزي: «لما احتضر ابن عقيل بكى أهله، فقال لهم: لي خمسون سنة أُوقِّع عنه فدعوني أتهنّى لمقابلته»[(١)].

*** أبو بكر النقاش:**

شيخ القرّاء:

• قال الخطيب: سمعتُ ابن الفضل القطان يقول: حضرتُ النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، فنادى بأعلى صوته ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، يُرددها ثلاثًا. ثم خرجتْ نفسه ـ رحمه اللَّه ـ[(٢)].

*** الإمام الحافظ شيخ أهل خراسان أبو محمد أحمد بن عبد اللَّه المغفلي المزني:**

• قال الحاكم: سمعت ابنه بشرًا يقول: آخرُ كلمةٍ تكلم بها أن قَبَضَ على لحيته ورفع يده اليُمنى إلى السماء، وقال: ارحم شيبة شيخٍ جاءك بتوفيقك على الفطرة.

• قال الحاكم: وسمعتُ أبا الفضل السليماني ـ وكان صالحًا ـ يقول: رأيت أبا محمد المُزني في المنام بعد وفاته بليلتين، وهو يتبخترُ في مشيته،

---

(١) «المنهج» الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٢/ ٢٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٨).

(٢)«السير» (١٥/ ٥٧٦).

ويقول بصوتٍ عال: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [القصص: ٦٠][1] .

* الحافظ ابن منده الإمام ابن الإمام ابن الإمام:

قال عنه أبو نُعيم الأصبهاني: كان جبلاً من الجبال.

● قال الباطِرْقاني: وكنتُ مع أبي عبد اللَّه في الليلة التي تُوفي فيها، ففي آخر نفسه قال واحد منا: لا إله إلا اللَّه - يُريد تلقينه - فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة. أي: اسكت يُقالُ لي مثلُ هذا؟![2] .

* شيخ الشافعية ابن الإسماعيلي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم:

قال عنه حمزة السهمي: كان أبو سعيد إمام زمانه... تخرّج به جماعة مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام والسخاء وحسن الخلق. وبالغ السهمي في تاريخه.

● توفي سنة ست وتسعين وثلاث مئة فتوفي إكرامًا من اللَّه له في صلاة المغرب وهو يقـرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففاضـت نفسـه - رحمه اللَّه -[3] .

* الإمام الحافظ أبو الوليد ابن الفَرَضي، مصنف «تاريخ الأندلسيين»:

● قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيهًا حافظًا عالمًا في جميع فنون العلم في الحديث والرجال، أخذت معه عن أكثر شيوخي، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، قتلته البربر، وبقي مُلقًى في داره ثلاثة أيام[4] .ووري متغيراً من

(١) «السير» (١٦/ ١٨٢ - ١٨٤).
(٢) «السير».
(٣) «السير» (١٧/ ٨٨).
(٤) انظر: الترجمة في «السير» (١٧/ ١٧٧- ١٨٠).

غير غسل ولا كفن ولا صلاة.

عن عليّ بن أحمد الحافظ، أخبرني أبو الوليد بن الفرضي قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت اللَّه تعالى الشهادة، ثم فكرتُ في هول القتل فندمتُ، وهممتُ أن أرجع، فأستقيل اللَّه ذلك، فاستحييتُ. قال الحافظُ عليّ: فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: **«لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل اللَّه، واللَّه أعلمُ بمن يُكلمُ في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجُرحُهُ يَثْعَبُ دمًا، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المِسكِ»**. كأنه يُعيدُ على نفسه الحديث، ثم قضي على إثرِ ذلك ـ رحمه اللَّه ـ.

وله شعر رائق فمنه:

أسِيرُ الخَطَايا عنـد بابِكَ واقف ... على وَجَلٍ مِمَّا بهِ أنت عارفُ
يَخَافُ ذُنُوبـًا لم يغب عنك غيبُها ... ويرجُوكَ فيها فَهْـوَ راجٍ وخائفُ
ومن ذا الذي يرجُـو سواك وَيَتَّقي ... وما لكَ في فصل القضاءِ مُخالفُ
فيا سَيِّدي! لا تُخزني في صَحيفَتي ... إذا نُشِرت يوم الحِسَابِ الصَّحَائِفُ(١)

* بطل الإسلام طغان خان التركي: «اللَّهم عافني لأغزوهم، ثم توفني إن شئت»:

التركيُّ، صاحب تُركستان، وبلاساغُون(٢)، وكاشْغر(٢)، وخُتَن(٢)، وفاراب(٢).

---

(١) «السير» (١٧/ ١٨٠).

(٢) بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر.
وكاشغر: هي: مدينة وقرى ورساتيق، وهي في وسط بلاد الترك.
وختن: بلد دون كاشغر، وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك.
وفاراب: ولاية وراء نهر سيحون، وهي أبعد من الشاش.

قصدته جيوش الصين والخَطَا[1]، في جَمعٍ ما سُمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاثَ مئة ألف.

وكان مريضًا فقال: اللَّهم عافني لأغزُوَهم، ثم توفني إن شئتَ فُعوفيَ، وجمع عساكرهُ، وساق، فبيتهم، وقتل منهم مئتي ألف وأسر مئة ألف، وكانت ملحمةً مشهودة في سنة ثمان وأربع مئة، ورجعَ بغنائم لا تُحصى إلى بلاساغُون، فتوفّاه اللَّه عقيب وصوله وكان دينًا عادلاً بطلاً شجاعًا[2].

* حجة الإسلام أبو حامد الغزَّالي: «سمعًا وطاعة للدخول على الـمَلك»:

• قال أخوه أحمد: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلى، وقال: عليّ بالكفن، فأخذه وقبّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعًا وطاعة للدخول على الـملك، ثم مدّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار[3].

ورثاه الأبيوردي بأبيات منها.

مضى وأعظمُ مفقودٍ فُجعتُ به ... مَنْ لا نظير له في الناس يخلفُهُ

وتمثّل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبتُ لصبري بعده وهو ميّتٌ ... وكنت امرءًا أبكي دمًا وهو غائب
على أنها الأيامُ قد صِرْن كلُّها ... عجائبَ حتى ليس فيها عجائب[4]

---

(١) الخطا: يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك، وقد أسسوا دولتهم في القرن السادس الهجري.
(٢) «السير» (١٧/٢٧٨ ـ ٢٧٩).
(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٨ ـ ١٧٩).
(٤) «وفيات الأعيان» (٤/ ٦٠ ـ ٦١).
رواية عجز البيت قبل الأخير في الديوان هي: وقد كنت أبكيه دمًا وهو غائبُ

* **الإمام محيي الدين أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري:**

• الفقيه الشافعي؛ أستاذ المتأخرين وأوحدهم علمًا وزهدًا، تفقّه على حجة الإسلام الغزالي وانتهت إليه رياسة الفقهاء في نيسابور.

قال فيه الشاعر:

رفاتُ الدين والإسلام يحيا بمحيي الدين مولانا ابن يحيى
كأن اللّه ربَّ العرش يلقي عليه حين يُلقي الدرس وَحْيا

توفي شهيدًا في شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، قتلته الغزّ[1].

لما استولوا على نيْسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي، أخذته ودَسّتْ في فيه التراب حتى مات.

ولما مات رثاه جماعة من العلماء، من جملتهم أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي، قال فيه:

يا سافكًا دمَ عالمٍ متبحـر قد طار في أقصى الممالك صِيتُهُ
تاللّه قل لي يا ظلوم ولا تخف من كان محيي الدين كيف تميته[2]

* **أبو العباس بن الرطبي:**

• قال ابن الجوزي: «حكى عنه رفيقنا ابن شبانة ـ كان من أصحابه ـ أنه كان عند موته يوصي ويقول: افعلوا كذا وكذا وصية من لا يكترب بالموت ولا يغتم به، وكأنه تنقّلَ من دارٍ إلى دار[3].

---

(١) قوم من الترك.
(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٦٣ ـ ٦٥).
(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٩).

* **أبو بكر بن حبيب: «الحمد للَّه هذه علامة المؤمن»:**

ابن الخباز محمد بن عبد اللَّه بن حبيب العامر.

كان يأمر بالإخلاص، وحسن القصد.

قال عنه ابن الجوزي تلميذه:

سمع الحديث وتفقّه، وكان يُدَرِّس ويعظ، وكان نعم المؤدب.

فلما احتُضِر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى اللَّه عز وجل، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر: هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم، فقال: الحمد للَّه هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول اللَّه ﷺ: **«المؤمن يموت بعرق الجبين»**، ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدي إليك فردّها   بالفضل لا بشماتة الأعداء[1]

* **الحافظ عبد الوهاب الأنماطي: «إن اللَّه لا يُتّهَم في قضائه»:**

محدث بغداد في عصره عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد.

• قال ابن الجوزي: «كان على قانون السلف، لم تسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث».

وقال عنه: «قد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار، وكنت أقرأ الحديث وهو يبكي فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته من آثاره».

وقال ابن الجوزي أيضًا: «دخلت عليه في مرضه ـ وقد ضني جسمه ـ وهو ساكن صابر، فقال لي: إن اللَّه لا يُتَّهَمُ في قضائه»[2].

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٨٠).

* **الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ، الخطيب البغدادي:**

أوصى ـ رحمه اللَّه ـ بأن يُتصدق بجميع ثيابه:

« قال أبو البركات إسماعيل بنُ أبي سعد الصوفيّ: كان الشيخ أبو بكر بن زهراء الصُّوفي بِرباطِنا، قد أعدَّ لنفسه قبرًا إلى جانب قبر بشرٍ الحافي، وكان يَمضي إليه كل أسبوع مرةً، وينام فيه، ويتلو فيه القرآن كُلَّه، فلما مات أبو بكر الخطيب، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشر، فجاء أصحاب الحديث إلى ابن زهراء، وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره، وأن يؤثره به، فامتنع، وقال: موضع قد أعددته لنفسي يُؤخذ مني! فجاؤوا إلى والدي، وذكروا له ذلك فأحضر ابن زهراء وهو أبو بكر أحمد بن علي الطُّرَيْثيثيُّ، فقال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر، ولكن أقول لك: لو أن بشرًا الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه؟ قال: لا، بل كنت أجلسه مكاني. قال: فهكذا ينبغي أن تكون الساعة، قال: فطاب قلبه وأذن»[1].

* **شيخ الإسلام العلامة القدوة الفقيه نصر بن إبراهيم صاحب كتاب «الحجة على تارك المَحَجّة»:**

قال الحافظ ابن عساكر: كان فقيهًا، إمامًا، زاهدًا، عاملاً، لم يقبل صلة من أحد بدمشق، بل كان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض نابلس، فيخبزُ له كل يوم قُرْصة في جانب الكانون، حكى لنا ناصر النجار ـ وكان يخدمه ـ من زهده وتقلّله وتركه الشهوات أشياء عجيبة.

• حكى الفقيه نصر[2] عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو

---

(١) «السير» انظر: ترجمة الخطيب (١٨/ ٢٧٠ ـ ٢٩٧).

(٢) يعني: نصر اللَّه المصيصي.

يقول: يا سيدي أمهلوني، أنا مأمور وأنتم مأمورون، ثم سمعت المؤذن بالعصر، فقلت: يا سيدي المؤذِّنُ يُؤذِّن، فقال: أجْلِسني، فأجلستُه فأحرم بالصَّلاة، ووضع يدَه على الأُخرى وصلَّى، ثم تُوفي مِن ساعته، ـ رحمه اللَّه ـ[1] .

* شيخ الإسلام الإمام الزاهد الخيِّر أبو الوقت السجزي:

الإمام عبد الأول بن أبي عبد اللَّه، عيسى بن شعيب.

قال ابن الجوزي « كان صبْوراً على القراءة، وكان صالحًا كثير الذكر والتهجد والبكاء على سمت السلف، وعزم عام موته على الحج، وهيّأ ما يحتاج إليه فمات».

وهو آخر من روى في الدنيا عن الداودي:

● قال ابن الجوزي: «حدثني أبو عبد اللَّه التكريتي: لما احتُضِر عبد الأول أسندته إليّ فكان آخر كلمة قالها:﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦ ـ ٢٧] .

● قال الشيخ يوسف بن أحمد الشيرازي في كتابه « أربعين البلدان»:

« لَمْ أزل في صُحبته وخدمته إلى أن تُوفي ببغداد، قال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشُّونيزيَّة، ولما احتُضِر سَنَدْتُه إلى صدري، وكان مُسْتَهْتَرًا[2] بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكبَّ عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي ﷺ :«من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة» فرفع طرفه إليه، وتلا﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦ ـ ٢٧] . فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، وقال: اللَّه اللَّه اللَّه، وتوفي

---

(١) «السير» (١٩/ ١٤٣).

(٢) أي: مولع به.

وهو جالس على السجادة، سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة»[١].

* الشيخ أبو محمد بن الخشّاب عبد اللَّه بن أحمد البغدادي«عند اللَّه أحتسب نفسي»:

● قال ابن الجوزي: « دخلت عليه وهو في مرض موته، وهو ساكن غير منزعج فقال لي: عند اللَّه أحتسب نفسي»[٢].

* شيخ الإسلام هيّاج بن عُبيد رُزق الشهادة فطوبى له:

الإمام الزاهد الفقيه الشافعي شيخ الحرم، أبو محمد الشامي الحِطِّيني.

● قال ابن طاهر: رزق الشهادة في كائنة بين السنة والرافضة، وذلك أن بعض الرافضة شكى إلى أمير مكة أن أهل السنة ينالون منا، فأنفذ، وطلب هيّاجًا وأبا الفضل بن قوام وابن الأنماطي وضربهم، فمات هذان في الحال، وحُمِل هيّاج فمات بعد أيام رضي الله عنه[٣].

* الوزير الكبير نظام المُلْك الحسن بن علي الطوسي: «مات ملكًا في الدنيا، ملكًا في الآخرة، وقُتل صائمًا»:

قال عنه الذهبي: متدين محتشم، عامر المجلس بالقرّاء والفقهاء... وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبيّن له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي.

● قُتِل صائمًا في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفيّ يناوله قصّة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله وذلك سنة

---

(١)« السير» (٢٠/ ٣١١).

(٢)« الثبات عند الممات» ص(١٨٢).

(٣)«السير» (١٨/ ٣٩٥).

خمس وثمانين وأربع مئة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: «لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا اللَّه».

● قيل: إنه ما جلس إلا على وضوء، وما توضأ إلا تنفّل، ويصوم الاثنين والخميس...

كان حليمًا رزينًا جوادًا صاحب فتوّة واحتمال ومعروف كثير إلى الغاية، ويُبالغ في الخضوع للصالحين.

● وقيل: كان يتصدق كل صباح بمائة دينار.

قال ابن عقيل: بهر العقول سيرة النظام جودًا وكرمًا وعدلاً، وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيامه دولة أهل العلم، ثم خُتِم له بالقتل وهو مار إلى الحج في رمضان، فمات مَلِكًا في الدنيا، ملكًا في الآخرة ـ رحمه اللَّه ـ.

*** الإمام القدوة العابد الواعظ الزَّبْيدِيّ محمد بن يحيى القرشي:**

● قال ابن عساكر: قال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يوم وليلة من أيام مرضه يقول: اللَّه اللَّه، نحواً من خمسةَ عشرَ ألف مرة[1]، فما زال يقولها حتى طفئ[2].

*** أبو يحيى زكريا بن يحيى الناقد تلميذ أحمد بن حنبل: «اشترى من اللَّه حوراء بأربعة آلاف ختمة»:**

● قال ابن الجوزي عنه: «كان عابداً، وكان أحمد بن حنبل ـ يقول عنه: هذا رجل صالح.

وكان يقول: اشتريت من اللَّه تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان

(١) أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية الذكر بالاسم المفرد فقط اللَّه اللَّه.

(٢) «السير» (٢٠/٣١٩).

آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهي تقول:

«وفيت بعهدك أنا التي اشتريتني». فيقال إنه مات عن قريب(١).

*** عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر غلام الخلال: «أنا عندكم إلى يوم الجمعة»:**

له المصنفات الحسان الكبار.

● قال أبو يعلى محمد بن الحسين: بلغني أن عبد العزيز بن جعفر، قال في علته: أنا عندكم إلى يوم الجمعة. فقيل له: يعافيك اللَّه. فقال: سمعت أبا بكر الخلال، يقول: سمعت أبا بكر المروزي يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمان وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المروزي ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر الخلال ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة. وأنا عندكم إلى يوم الجمعة ولي ثمان وسبعون، فلما كان يوم الجمعة مات ودفن بعد الصلاة(٢).

*** الحسن بن حامد أبو عبد اللَّه: «هذا وقته عند لقاء اللَّه تعالى»:**

انتهى إليه المذهب الحنبلي، وله التصانيف الواسعة الكثيرة، وتوفي في طريق مكة بقرب واقصة بعد رجوعه من الحج سنة ثلاث وأربعمائة، وكان قد استند إلى حجر قبل موته فجاءه رجل بقليل ماء، وقد أشفى على التلف. فقال: من أين هذا؟ فقال له: ما هذا وقته، فقال: بلى! هذا وقته عند لقاء اللَّه تعالى(٣).

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٦١٦).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦٢٢ ـ ٦٢٣).
(٣) المصدر السابق ص(٦٢٥).

* أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العُلبِيّ: «يا رب ها هنا، يا رب ها هنا»:

● قال عنه ابن الجوزي: «أحد المشهورين بالزهد والصلاح».

سمع الحديث على القاضي أبي يعلى، وقرأ عليه شيئًا من المذهب، وكان يعمل بيده تجصيص الحيطان، ثم ترك ذلك ولازم المسجد ليُقرئ القرآن ويؤم الناس؛ كان عفيفًا لا يقبل من أحد شيئًا، وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة فيأخذ في كوز له ماء يفطر عليه، وكان يمشي بنفسه في حوائجه ولا يستعين بأحد، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجيء إلى قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يا رب ها هنا، يا رب ها هنا، فاتفق أنه خرج في سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج وكان قد وقع من الجمل في الطريق دفعتين؛ فشهد عرفة محرمًا، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات، فحمل إلى مكة وطيف به البيت، ودفن في يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض[١] .

* الإمام الحافظ شيخ الوعاظ ابن الجوزي:

شيخ وقته وإمام عصره، صاحب التصانيف في فنون العلم، من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه.

وله في الوعظ العبارة الرائقة. والإشارات الفائقة.

وإشارة تبكي الجنيد وصحبه ... في رقّة ما نالها ذو الرّمة

كان إذا وعظ اختلس القلوب، وتشقّقت النفوس دون الجيوب، انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب في المجلس الواحد مائة وأكثر، وكان يجلس

(١) المصدر السابق ص(٦٣٣ - ٦٣٤).

بجامع المنصور يومًا أو يومين في السنة فتغلق المحال، ويحرز الجمع بمائة ألف. وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف.

● ومجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكّر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون. وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل...

وقال في آخر كتاب «القصاص والمذكرين» له: قد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل، ... وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف».

كم كان لي من مجلس لو شُبِّهَتْ حالاته لتشبَّهتْ بالجنّة

قال سبط ابن الجوزي:

«نزل عن المنبر، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشائين في داره. قال: وحكت لي والدتي أنها سمعته يقول قبل موته: إيش أعمل بطواويس؟ يرددّها. قد جئتم لي هذه الطواويس.

ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربي على منبر من ياقوت مرصّع بالجوهر، والملائكة جلوس بين يديه، والحق تعالى حاضر يسمع.

قلت: وأنبأني أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبي: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول:

لعمرك قد أوذي وعُطِّل منبر وأعيي على المستفهمين جوابُ

قال: فانتبهت من نومي، فقلت: ترى أي شيء قد جرى؟ فجاءنا الخبر وقت العصر بموت ابن الجوزي، فقلت:

ولم يبق مَنْ يُرجى لإيضاح مشكل وأصبح ربْع العلم وهو خراب[1]

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩٩ ـ ٤٣٠).

● وقال الذهبي في «السير»:

أوصَى أن يُكتَبَ على قبره:

يا كثيـــرَ العَفْـوِ عَـمَّـنْ ... كَثُـرَ الذَّنْـبُ لـديـهِ
جَـاءَكَ المُـذْنِـبُ يَـرْجُـو الـ ... صَّفْـحَ عـنْ جُـرمِ يَـدَيـهِ
أَنَـا ضَيْـفٌ وَجَـزَاءُ الـ ... ضَّيْفِ إِحسانٌ إِلَـيْـهِ(١)

ومن شعره ـ رحمه اللَّه ـ:

يا ساكن الدنيا تأهَّبْ ... وانتظر يوم الفراقِ
وأعِـدَّ زادًا للرحيل ... فسوف يُحْدَى بالرِّفاقِ
وابـك الذنوب بأدمعٍ ... تنهلّ من سحب المآقي
يا من أضاع زمانه ... أرَضيتَ ما يفنى بباق

* الإمام الحافظ القدوة العابد الأثري أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي: «ما هذا؟ اذكروا اللَّه، قولوا: لا إله إلا اللَّه»:

شيخ أهل الورع والتأله في عصره، المشبّه بابن حنبل في زمانه.

● قال الضياء: سمعت أبا موسى يقول: مرض أبي في ربيع الأول مرضًا شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتدّ ستةَ عشرَ يومًا، وكنت أسأله كثيرًا: ما يشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة اللَّه، لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حار فمدّ يده فوضأته وقت الفجر، فقال: يا عبد اللَّهِ قم صلِّ بنا وخفف، فصليت بالجماعة، وصلّى جالسًا، ثم جلستُ عند رأسه، فقال: اقرأ﴿ يس ﴾، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أؤمن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بني ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئًا؟ قال: أشتهي

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤).

النَّظرَ إلى وجه اللَّهِ سبحانه، فقلت: ما أنت عني براض؟ قال: بلى واللَّه، فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحدٍ عليَّ شيء، قلت: توصيني؟ قال: أوصيك بتقوى اللَّه والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فردّ عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا اللَّه، قولوا: لا إله إلا اللَّه، فلما قاموا جعل يذكر اللَّه بشفتيه، ويشير بعينيه، فقمت لأناولَ رجلاً كتابًا من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحُه ـ رحمه اللَّه ـ وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست مئة، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد واجتمع الخَلْق من الغد فدفناه بالقرافة(١).

ولقد أورد الضياء عدة منامات للحافظ تدل على علو منزلته منها:

سمعت الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الغني سنه اثنتي عشرة يقول: رأيت البارحة أخاك الكمال عبد الرحيم ـ وكان تُوفي في تلك السنة ـ في النوم، فقلت: يا فلان أين أنت؟ قال: في جنة عدن، فقلت: أيما أفضل الحافظ أو الشيخ أبو عُمر؟ فقال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة يُنصب له كرسي تحت العرش، ويقرأ عليه الحديث، ويُنثر عليه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه، وكان في كمه شيء(٢).

● وسمعت القاضي الإمام عمر بن علي الهكاري بنابلس يقول: رأيت الحافظ كأنه قد جاء إلى بيت المقدس، فقلت: جئت من غير راكب، فعل اللَّه بمن جئت من عندهم! قال: أنا حملني النبي ﷺ(٣)

---

(١) «السير» (٢١/ ٤٦٩).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٧٠).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٧١).

* الإمام الحافظ العماد المقدسي:

الشيخ العالم القدوة الزاهد بركة الوقت أخو الحافظ عبد الغني.

• قال الحافظ الضياء: سمعت التقي أحمد بن محمد بن الحافظ يقول: رأيتُ الشيخ العماد في النوم على حصان، فقلتُ: يا سيدي الشيخ، إلى أين؟ قال: أزورُ الجبار عز وجل.

• قال الضياء: تُوفي العماد ـ رحمة اللَّه عليه ـ سنة أربع عشرة وست مئة، وكان صلى المغرب بالجامع وكان صائمًا، فذهب إلى البيت وأفطر على شيء يسير، ولما أخرجت جنازتُه اجتمع خلقٌ فما رأيتُ الجامعَ إلا كأنه يوم الجمعة من كثرة الخلق، وكان الوالي يطردُ الخلق عنه وازدحموا حتى كاد بعضُ الناس أن يهلك، وما رأيتُ جنازة قط أكثر خلقًا منها.

• وحُكي عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهد[1].

«في ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠١، ١٠٤ ـ ١٠٥).

• «حكت زوجة الشيخ، قالت: كان قبل موته يكثر أن يقول: قد قرب الأمر، ما بقي إلا القليل».

وحكى سبط ابن الجوزي في حديثه عن عظم جنازة العماد قال:

«فلما كان الليل نمت وأنا متفكر في جنازته، وذكرت أبيات الثوري التي أنشدها في المنام».

نظرتُ إلى ربي كفاحًا، فقال لي ... هنيئًا رضائي عنك يا ابن سعيد

فقد كنتَ قوّامًا إذا أقبل الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك، فاختر أي قصر أردته ... وزرني، فإني منك غير بعيد

---

(١) «السير» (٢٢/ ٥٤).

وقلت: أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان عند نزول حفرته، ونمت فرأيت العماد في النوم، وعليه حلّة خضراء، وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع كأنه روضة، وهو يرقى في درجة مرتفعة، فقلت: يا عماد الدين، كيف أنت؟ فإني واللّه متفكر فيك، فنظر إليّ وتبسّم على عادته، وقال:

رأيت إلهي حين أُنزلتُ حُفرتي وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي

فقال: جُزيت الخير عني، فإنني رضيتُ، فها عفوي لديك ورحمتي

رأيت زمانًا تأمل الفوز والرضا فُوقِّيت نيراني، ولُقِّيت جنتي

قال: فانتبهت مرعوبًا وكتبت الأبيات:

وذكر الضياء هذا المنام، عن أبي المظفر السبط، وذكر منامات أخر.

منها: قال: سمعت الفقيه الإمام أبا محمد عثمان بن حامد المقدسي يقول: رأيت الحق عز وجل في النوم، والشيخ العماد عن يمينه، ووجهه مثل البدر وعليه لباس ما رأيت مثله.

قال: وسمعت الفقيه الإمام عبد الحميد بن محمد بن ماضي المقدسي، يقول: شممت من قبر الشيخ العماد مرتين رائحة طيبة، ـ رحمه اللّه تعالى ـ.

*** القسيم بن القسيم، الملك العادل، تقيّ الملوك، ليث الإسلام محمود بن زنكي:**

نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، قل أن ترى العيون مثله.

كسر الفرنج مرّات، ودوّخهم وأذلهم.

قال الذهبي أيضًا: كان بطلاً شجاعًا، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليُسر يسأل اللّه أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير.

قال له القطب النيسابوري: باللّه لا تُخاطر بنفسك، فإن أُصبت في

معركة لا يبقى للمسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال: ومن محمود حتى يُقال هذا؟! حفظ اللَّه البلاد قبلي، لا إله إلا هو.

قال ابن واصل: كان يقول: طالما تعرّضت للشهادة، فلم أُدركها.

قال الذهبي: قلت: قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة النار: نور الشهيد[١].

* أسد الدين شيركوه بن شاذي: «فاتح الديار المصرية عم صلاح الدين»:

مقدم جيوش نور الدين زنكي بمصر، وكان أحد الأبطال المذكورين، والشجعان الموصوفين، تُرعب الفرنج من ذكره.

طرد الفرنج لما أحاطوا ببلبيس، ودخل القاهرة وتمكن وبغته الأجل بالخَوانيق شهيداً[٢].

* بطل الإسلام وقاهر الصليبيين السلطان صلاح الدين الأيوبي: «تبسّم وتهلّل وجهه وفاضت روحه إلى بارئها عند سماع قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾»:

قال القاضي ابن شداد في ذكر وفاة صلاح الدين:

«لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه ـ رحمه اللَّه ـ اشتد مرضه وضعفت قوته، ووقع في أوائل الأمر من أول الليل، وحال بيننا وبينه النساء، واستحضرت أنا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكيّ، ولم يكن

---

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢٠/ ٥٣١ ـ ٥٣٩).
(٢) «السير» (٢٠/ ٥٨٧ ـ ٥٨٩).

عادته الحضور في ذلك الوقت، وعرض علينا الملك الأفضل أن نبيت عنده، فلم ير القاضي الفاضل ذلك رأيًا، فإن الناس كانوا في كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة، فخاف أن لا ننزل فيقع الصوت في البلد، وربما نهب الناس بعضهم بعضًا، فرأى المصلحة في نزولنا، واستحضار الشيخ أبي جعفر إمام الكلاّسة، وهو رجل صالح يبيت في القلعة، حتى إن احتُضر ـ رحمة اللَّه عليه ـ حضر عنده، وحال بينه وبين النساء، وذكّره بالشهادة وذكر اللَّه تعالى، ففعل، ونزلنا وكل منا يود فداءه بنفسه، وبات في تلك الليلة ـ رحمة اللَّه عليه ـ على حال المنتقلين إلى اللَّه تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ويذكّره باللَّه تعالى، وكان ذهنه غائبًا من ليلة التاسع، لا يكاد يفيق إلا في الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، سمعه وهو يقول ـ رحمة اللَّه عليه ـ : «صحيح»؛ وهذه يقظة في وقت الحاجة، وعناية من اللَّه تعالى به، فللَّه الحمد على ذلك. وكانت وفاته ـ رحمة اللَّه عليه ـ بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع عشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الشمس فحضر وفاته ـ رحمة اللَّه عليه ـ ووصلتُ وقد مات، وانتقل إلى رضوان اللَّه ومحل كرامته. ولقد حُكي لي أنه لـمّا بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه... ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مُكِّنا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يُلتُّ به الطين وغسّله الدَّوْلعي الفقيه، وندبت إلى الوقوف على غسله، فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر»[1].

---

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، أو «سيرة صلاح الدين» للقاضي ابن شداد ص(٢٤٦ ـ ٢٤٧).

وهكذا مضى مجدد الجهاد في عصره إلى ربه، متبسمًا متهلل الوجه متوكلاً عليه.

ثم انقضت تلك السنون وأهلُها فكأنّهـا وكأنهـم أحـلام

* الإمام العلاّمة سيد الفصحاء في عصره القاضي الفاضل عبد الرحيم البيْساني: «دعا بالموت فأصبح ميتًا»:

● قال عنه العماد المقدسي: قضي سعيدًا، ولم يُبقِ عملاً صالحًا إلا قدّمه، ولا عَهْدًا في الجنّة إلاّ أحكمه، ولا عقد برّ إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيّما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتّاب، كان للحقوق قاضيًا، وفي الحقائق ماضيًا، والسلطان له مطيع، ما افتتح البلاد إلا بأقاليد آرائه.

● وقال الذهبي: له الدين، والعفاف، والتقى، مواظب على أوارد الليل والصيام والتلاوة. كان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وله معروف معروف في السر والعلانية.

● حكى القاضي ضياء الدين ابن الشهرزَوري أن القاضي الفاضل لـمّا سمع أن العادل أخذ مصر، دعا بالموت خشية أن يستدعيه وزيره ابن شكر أو يُهينه فأصبح ميتًا، وكان ذا تهجد ومعاملة.

قال الذهبي: تُوفي مسكوتًا(١)، أحوج ما كان إلى الموت، عند تولي الإقبال وإقبال الإدبار، وهذا يدلّ على أن للّه به عناية(٢).

* * *

(١) يعني: فجاءة.

(٢) انظر: «السير» (٢١/ ٣٣٨ ـ ٣٤٤).

* الإمام محدث الشام، شيخ الإسلام ، ثقة الدين أبو القاسم بن عساكر يقول عند الموت: «وعليكم السلام» فعلم جلساؤه حضور الملائكة:

هو الحافظ، صاحب تاريخ دمشقَ، لا يُلحق شأوُه، ولا يُشقه غُباره، ولا كان له نظير في زمانه كما قال الذهبي في «السير».

● قال أبو شامة: أخبرني من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ، ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيتُ باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، لقنني اللَّه حُجتي وأقالني عثرتي ورحم غُربتي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتًا[1] .

* شيخ الإسلام، الحافظ شيخ المُعَمِّرين السِّلَفي:

● قال الإمام أبو شامة: سمعت شيخنا علم الدين السخاوي يقول: سمعت أبا طاهر السلفي يُنشد لنفسه ما قاله قديمًا:

أنا من أهل الحديـ ـث وَهُمْ خَيرُ فِئَةْ
جُزْت تسعين وأر جو أن أجوزَنَّ المئة

قال: فقيل له: قد حقق اللَّه رجاءك، فعلمت أنه قد جاوز المئة.

قال الذهبي: وبلغني أن مدة مُقامه بالإسكندرية ما خرج منها إلى بستان ولا فُرْجة سوى مرّة واحدة، بل كان ملازمًا مدرسته.

تُوفّي الحافظ في يوم الجمعة سنة ست وسبعين وخمس مئة. ولم يزل يُقرأ عليه الحديث يوم الخميس إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يردّ

---

(١) «السير».

على القارئ اللحن الخفيّ، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر وتوفي بعدها فُجاءة[١]. ونال الحافظ فضل الموت يوم الجمعة.

* الحافظ شيخ المحدّثين أبو موسى المَدِيْني الأصبهاني الشافعي:

«قال الذهبي: كان حافظ المشرق في زمانه. سمعت شيخنا العلاّمة أبا العباس بن عبد الحليم - يعني ابن تيمية - يثني على حفظ أبي موسى ويُقدِّمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها.

● كان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفيّ.

● وقال الحسين بن يُوحن الباوريّ: كنت في مدينة الخان[٢]، فسألني سائل عن رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول اللَّه ﷺ تُوُفِّيَ، فقال: إنْ صدقتْ رؤياك، يموت إمام لا نظير له في زمانه، فإن مثل هذا المنام رُئي حال وفاة الشافعي والثوري وأحمد بن حنبل، قال: فما أمسيْنا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى المديني.

● وعن عبد اللَّه بن محمد الخُجَنْدِيّ، قال: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاء مطر عظيم في الحرّ الشديد، وكان الماء قليلاً بأصبهان، فما انفصل أحد عن المكان مع كثرة الخلق إلا قليلاً، وكان قد ذكر في آخر إملاء أملاه: أنَّهُ متى مات مَن له منزلة عند اللَّه، فإن اللَّه يبعث سحابًا يوم موته علامة للمغفرة له، ولمن صلّى عليه»[٣].

رحمك اللَّه أبا موسى فهذا موت الربانيّين، مطر وسحاب في يوم صائف... وما يمليه عن موت المقرّبين في آخر درس له يكون وصف جنازته.

---

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ٥ - ٣٩).
(٢) مكان بأصبهان.
(٣) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ١٥٢ - ١٥٩).

* **الإمام العادل والوزير الكامل أبو المظفَّر يحيى بن محمد بن هُبَيرة سأل اللَّه الشهادة فنالها وهو ساجد:**

قال ـ رحمه اللَّه ـ: « اتباع السنة سبب لكل خير، فإني صليت الفريضة يومًا في مسجدنا، ثم قلت: يستحب أن تُصلى السنة في غير موضع الفرض ومضيت إلى البيت فصليتها، ثم اشتاق قلبي إلى رؤية اللَّه عز وجل، فقلت: اللَّهمّ أرني نفسك. فنمت تلك الليلة، فرأيته عز وجل[١] ».

وأنشد ابن هبيرة هذه الأبيات، وكان ابن سمعون كثيرًا ما ينشدها:

ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها ... وتلك بحار لا يفيق غريقها
وسرنا على ريح تدل عليكم ... فبانت قليلاً ثم غاب طريقها
إليكم بكم أرجو النجاة وما أرى ... لنفسي منها سائقًا فيسوقها[٢]

• قال ابن الجوزي: كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ويندم على ما دخل فيه. ثم صار يسأل اللَّه عز وجل الشهادة، ويتعرّض بأسبابها. وكان الوزير ليس به قلبة في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة، ونام ليلة الأحد في عافية، فلما كان وقت السحر قاء، فحضر طبيب كان يخدمه، فسقاه شيئًا، فيقال: إنه سمّه فمات، وسُقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سمّا، فكان يقول: سُقيت كما سقيت، فمات[٣].

وطبيبه هذا: هو ابن رشادة كما قال الذهبي في «السير».

• قال ابن الجوزي: رأيت في وقت غُسله آثارًا بوجهه وجسده، تدل على أنه مسموم.

---

(١) وهذا جائز كما قال ابن تيمية والشيخ ابن باز ـ رحمهما اللَّه ـ.
(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٢٧٦) ـ دار المعرفة.
(٣) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨٥).

● «وذكر مصنف سيرته: أنه كان ثار به بلغم وهو في قصره بالخالص، ثم خرج مع المستنجد للصيد، فسقي مسهلاً لأجل البلغم، فاستأذن الخليفة في الدخول إلى بغداد للتداوي، فأذن له، فدخل يوم الجمعة في موكب عظيم. وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت. فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم، فوقع مغشيًّا عليه، فصرخ الجواري، فأفاق فسكتهن، قال: ثم تناول مشروبًا فاستفرغ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدًا، فسجد، فأبطأ عن القعود من السجود، فحرّكوه فإذا هو ميت ـ رحمه اللّه ـ»(١).

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى ملكًا ماجدًا به يُستعان
وإذا مات من زمان كريم مثل يحيى به يموت الزمان(٢)

● «قال مصنف سيرته: حدثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلي ابن الشيخ الصالح أبو عبد اللّه بن زفر، قال: رأيت في المنام ـ وأنا بأرض جزيرة ابن عمر ـ كأن جماعة من الملائكة يقولون لي: قد مات في هذه الليلة ببغداد وليّ من أولياء اللّه تعالى فاستيقظت منزعجًا، فحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معي، وأرّخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت: من مات في تلك الليلة؟ فقيل لي: مات بها الوزير عون بن هبيرة.

● وحدثني الوزير أبو شجاع محمد بن الوزير أبي منصور، قال: كنت كثير الوقوع في الوزير ابن هُبيرة، فرأيته في المنام في بستان لم أر له في الدنيا شبيهًا، ومعه ملك يجني له من ثماره، ويترك في فمه فهممت بدخول البستان، فصاح الملك عليّ: وقال: هذا البستان قد وهبه اللّه تعالى لهذا بعد أن غفر له، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه. فاستيقظت مرعوبًا، وتبت

---

(١) «الذيل» (١/ ٢٨٦).
(٢) «الذيل» (١/ ٢٨٦).

إلى اللَّه عز وجل من ذكره إلا بالرحمة عليه والاستغفار له.

قال: وحدثني عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرئ قال: رأيت الوزير ابن هبيرة في النوم، فسألته عن حاله؟ فأجابني بهذين البيتين:

قد سألنا عن حالنا فَأَجَبْنَا ... بعد ما حالَ حالُنا وحُجِبنا

فَوَجَدْنا مضاعفًا ما كسبنا ... ووجدنا مُمَحَّصًا ما اكتسبنا

قال صاحب سيرته: ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتابًا ضخمًا»[١].

* شيخ الإسلام الحَجْريّ: «يخبر أنه يموت في المحرّم فمات فيه»:

المقرئ، المحدث الحافظ أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن علي بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه الرُّعيني الحَجْري، الأندلسي.

قال الأبّار: كان غايةً في الورع والصلاح والعدالة.

كان زمانًا يُخبر أنه يموت في المحرم لرؤيا رآها، فكان كل سنة يتهيأ ومات عبيد اللَّه في المحرم سنة إحدى وتسعين وخمس مائة.

• قال ابن فرتون: ظهرت لأبي محمد بن عُبيد اللَّه كرامات، حدّثنا شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غاز، عن بنت عمه ـ وكانت صالحة، وكانت استُحيضت مدّة ـ قالت: حُدِّثتُ بموت ابن عبيد اللَّه، فشقّ عليّ أن لا أشهده، فقلت: اللَّهم إن كان وليًّا من أوليائك، فأمسك عني الدم حتى أصلي عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أره بعد»[٢].

* * *

(١) «الذيل» (١/ ٢٨٨).

(٢) «السير» (٢١/ ٢٥١ ـ ٢٥٤).

* أسد الشام الزاهد العابد اليُونيني: «مات وهو صائم»:

الشيخ عبد اللَّه بن عثمان بن جعفر اليُونيني.

قال سبط ابن الجوزي: كان شجاعًا ما يبالي بالرجال قلّوا أو كثروا، وما فاتته غزاة.

● وكان أمّارًا بالمعروف لا يهاب الملوك، حاضر القلب، دائم الذكر.

قال الشيخ علي القصّار: كنت أهابه كأنه أسد، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبي وأجعله فيه.

● وكان لا يقوم لأحد تعظيمًا للَّه، ولا يدخر شيئًا، له ثوب خام، وكان ربما جاع ويأكل من ورق الشجر.

توفي وهو صائم، وقد جاوز ثمانين سنة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[١].

* شيخ الإسلام عَلَم الزهاد محيي الدين النووي: «يدعو اللَّه أن يموت بأرض فلسطين فاستجاب اللَّه منه»:

المجتهد الرباني، الإمام القدوة، حسنة الأنام كما قال الذهبي.

محرر المذهب ومهذبه، كان على جانب كبير في العلم والعمل والزهد والتقشف، والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والتورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل كما قال ابن كثير.

● قال ابن العطار تلميذه:

«كنت جالسًا بين يديه قبل انتقاله بشهرين ونحوها، وإذا بفقير قد دخل عليه، وقال للشيخ: فلان من بلاد (صَرْخَد)[٢] يسلّم عليك، وأرسل معي

---

(١) انظر: «السير» (٢٢/١٠١ ـ ١٠٣).

(٢) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق.

هذا الإبريق لك.

فقبله الشيخ، وأمرني بوضعه في بيت حوائجه، فتعجّبت منه لقبوله، فشعر بتعجبي، فقال:

«أرسل إليّ بعض الفقراء زربولاً[1]، وهذا إبريق، فهذه آلة السفر.

ثم بعد أيام يسيرة كنتُ عنده، فقال لي: «قد أُذِن لي في السفر».

فقلت: كيف أُذِن لك؟

قال: بينا أنا جالس هنا ـ يعني بيته في المدرسة الرّواحية، وقُدّامه طاقة مشرفة عليها ـ مستقبل القبلة؛ إذ مرّ عليّ شخص في الهواء من هُنا، ومرّ كذا ـ يشير من غرب المدرسة إلى شرقها ـ، وقال: قُم سافرْ لبيت المقدس»، وكنت حملتُ كلام الشيخ على سفر العادة، فإذا هو السفر الحقيقي، ثم قال لي: «قم حتى نودّع أصحابنا وأحبابنا» فخرجت معه إلى القبور التي دُفِن فيها بعض مشايخه، فزارهم، وقرأ شيئًا، ودعا، وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء، كالشيخ يوسف الفقاعي، والشيخ محمد الإخميمي، وشيخنا الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر شيخ الحنابلة.

ثم سافر صبيحة ذلك اليوم، وجرى معه وقائع، ورأيت منه أموراً تحتمل مجلدات، فسافر إلى (نوى)، وزار القدس، والخليل ـ عليه السلام ـ، ثم عاد إلى (نوى)، ومرض عقب زيارته بها في بيت والده، فبلغني مرضه، فذهبت من دمشق لعيادته، ففرح ـ رحمه اللّه بذلك ـ، ثم قال لي: «ارجع إلى أهلك».

وودعتُه وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة، ثم توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب فبينا أنا

---

(١) الزربول: النعل.

نائم تلك الليلة؛ إذ منادٍ ينادي على سدة جامع دمشق في يوم الجمعة: الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع، فصاح الناس لذلك النداء، فاستيقظت، فقلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

فلم يكن إلا ليلة الجمعة عشية الخميس؛ إذ جاء الخبر بموته ـ رحمه اللَّه ـ فنُودي يوم الجمعة عقب الصلاة بموته، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، فتأسّف المسلمون عليه تأسفًا بليغًا، الخاص والعام، والمادح والذام، ورثاه الناس بمراثيّ كثيرة»[(١)].

قال التاج السبكي: لما مات النووي بنوى ارتجت دمشق وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفًا شديدًا.

● «وقال اللخمي في ترجمته المفردة عن غير واحد من العلماء بدمشق: إنه لما خرج منها إلى نوى، خرج معه جماعة من العلماء وغيرهم لظاهر دمشق، وسألوه متى الاجتماع؟ فقال: بعد مائتي سنة، فعلموا أنه عنى القيامة»[(٢)].

● وقال ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» (٢١/ ١٦٤):

«وكان محيي الدين يسأل اللَّه تعالى أن يموت بأرض فلسطين، فاستجاب اللَّه تعالى منه».

● وانظر إلى الجبل الرباني النواوي: «لما تُوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ودُفِن، أراد أهله وأقاربه وجيرانه أن يبنوا على ضريحه قُبّة، وأجمعوا على ذلك؛ إذ جاء ـ رحمه اللَّه ـ في النوم إلى أكبر امرأة من قرائبه ـ أظنها عمته ـ وقال لها: «قولي لأخي والجماعة لا يفعلوا هذا الذي قد عزموا عليه من

---

(١) «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» لعلاء الدين بن العطار ص(٩٧ ـ ١٠٠) ـ تحقيق مشهور حسن ـ دار الصميعي.

(٢) «السخاوي» (٧٥).

البنيان؛ فإنه كلما بنوا شيئًا ؛ يُهدَم عليهم».

فانتَبَهَتْ منزعجة، فقصّت عليهم الرؤيا، فامتنعوا من البنيان وحوّطوا على قبره بحجارة تمنع الدواب وغيرها»[١] .

فرحم اللَّه النووي الذي قال فيه التاج السبكي:

«كان قطب زمانه، وسيد وقته، وسرّ اللَّه بين خلقه».

وقال الذهبي في «العبر»: «كان مع تبحره في العلوم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان ـ رأسًا في الزهد، وقدوة في الورع، عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قانعًا باليسير، راضيًا عن اللَّه، واللَّه عنه راض، مقتصد إلى الغاية في ملبسه ومطعمه وإنائه، تعلوه سكينة وهيبة، فاللَّه يرحمه ويسكنه الجنة بمنه»[٢] .

* الشيخ الإمام الزاهد، شيخ الإسلام، علم الأولياء عبد القادر الجيلاني:

عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني سلطان المشايخ.

قال ابن السمعاني: «إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديّن خيّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة».

قال الشيخ موفق الدين صاحب «المغني»: «لم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدًا يُعَظّم من أجل الدين أكثر منه».

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: «أنه لم تتواتر

(١) «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» ص(١٩٧).
(٢) «العبر» (٥/ ٣١٢).

كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر»[(١)].

وقال الذهبي بعد أن نعت الجيلاني بأنه: «الشيخ الإمام الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين»، قال في نهاية الترجمة في «السير» (٢٠/ ٤٥١):

«وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودواعيه، واللَّه الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

قال ابن الجوزي: «توفي الشيخ عبد القادر... وبلغ تسعين سنة.

وسمعت أنه كان يقول عند موته: رفقًا رفقًا. ثم يقول: وعليكم السلام، وعليكم السلام. أجيء إليكم، أجيء إليكم. وسمعت من يحكي أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير، ما وُعِدنا بهذا».

مات من كانت الأقاليم تسقى ... الغيث أغوارها به والنجود
ولو أن النفوس تفدى لما مات ... ومنا على الثرى موجود
سيد الأولياء في الشرق والغرب ... وبحر الفضائل المورود[(٢)]

*** الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة صاحب «المغني» يموت وهو يسبِّح:**

● قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

قال الضياء: كان - رحمه اللَّه - إمامًا في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إمامًا في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إمامًا في علم الخلاف،

---

(١) «الذيل» (١/ ٢٩٢).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٩ - ٣٠١).

أوحد في الفرائض، إمامًا في أصول الفقه.

وقال أبو شامة: كان إمامًا في العلم والعمل[١].

● كان الإمام ابن قدامة: «لا يكاد يسمع دعاءً إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاّها، ولا يسمع حديثًا إلا عمل به، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شيبوبته، وقلّل الأكل في مرضه قبل موته حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبّح»[٢].

قال ابن رجب الحنبلي في «الذيل» (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٤):

«توفي ـ رحمه اللَّه ـ يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق. وصلي عليه من الغد، وحمل إلى سفح قاسيون. فدفن به».

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي:

حكى إسماعيل بن حمّاد الكاتب البغدادي قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء، فلحقني غمّ شديد. فتوفي الموفق يوم العيد.

قال: ورأى أحمد بن سعد ـ أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسي، وكان أحمد هذا من الصالحين ـ قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قالوا: ينقلون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب.

قال: وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: رأيت كأن النبي ﷺ مات، وقُبر بقاسيون يوم عيد الفطر. قال: وكنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءًا عظيمًا، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢٢/ ١٦٥ ـ ١٧٣).

(٢) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (٥/ ٢٨).

القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد».

والعلـم قــد أمسـى كـأنّ بواكيًـا — تبـكي عليــه وحبـله يتقطّـعُ
وتعطّلت تلك المجـالس وانقضـت — تلك المحافــلُ، ليتـهـا لو ترجعُ

* **الإمام الثبت مقدم أصحاب الحديث ببغداد محمد بن ناصر بن محمد السلامي الفارسي:**

الحافظ أبو الفضل البغدادي.

قال ابن الجوزي: كان حافظًا متقنًا، ثقة من أهل السنّة. وكان كثير الذكر، سريع الدمعة. وهو الذي تولى تسميعي الحديث، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث.

وقال: قرأت عليه ثلاثين سنة، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه.

وقال أبو موسى المديني: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.

قال ابن النجار: كان ثقة نبيلاً، حجة، حسن الطريقة، متدينًا فقيرًا، متعففًا نظيفًا نزهًا، وقف كتبه على أصحاب الحديث.

رأيت بخطه وصية له أوصى بها، ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة، وهو ثياب بدنه، وكلها خِلَق مغسولة، وأثاث منزله ـ وكان مختصرًا جدًّا ـ وثلاثة دنانير، لم يذكر سوى ذلك.

وقال ابن السمعاني في كتابه: ديّن خيّر، كثير الصلاة، دائم التلاوة للقرآن الكريم مواظب على صلاة الضحى.

وقال الحافظ أبو محمد بن الأخضر: له في كل وصف شريف سيرة حسنة، يعلو شخصه المهابة كأنه أحد الصحابة.

● قال ابن الجوزي: حدثني أبو بكر بن الخضري الفقيه، قال: رأيته في

المنام، فقلت: يا سيدي، ما فعل اللَّه بك؟ فقال: غفر لي، وقال لي: قد غفرتُ لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك؛ لأنك رئيسهم وسيدهم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ(١) .

* الفقية الزاهد الحكيم الورع أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني:

• قال ابن الجوزي: وكان زاهدًا عابدًا، كثير الصوم، يضرب به المثل في الحلم والتواضع وقال: كان من العلماء العاملين بالعلم، كثير الصيام والتعبد، شديد التواضع، مؤثرًا الخمول، وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه، وما رأينا له نظيرًا في ذلك، وقال: كان الشيخ أبو حكيم تاليًا للقرآن. يقوم الليل ويصوم، وله الورع العظيم وكان يكتب بيده، فإذا خاط ثوبًا فأعطي الأجرة مثلاً قيراطًا، أخذ منه حبة ونصفًا وردّ الباقي، وقال: خياطتي لا تساوي أكثر من هذا. ولا يقبل من أحد شيئًا.

• قال ابن الجوزي: رأيت بخطه ـ يعني: أبا حكيم على ظهر جزء له: رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين ـ فيما يرى النائم ـ كأن شخصًا في وسط داري قائمًا، قلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر. قال: تأهّب للذي لا بد منه من الموت الموكل بالعباد، ثم كأنه علم أني أريد أن أقول له: هل ذلك عن قرب؟ فقال: قد بقي من عمرك اثنا عشر سنة تمام سني أصحابك. وعمري يومئذ خمس وستون سنة. قال ابن الجوزي: فكنت دائمًا أترقّب صحة هذا، ولا أفاوضه في ذكره لئلا أنعي له نفسه، فمرض ـ رحمة اللَّه عليه ـ اثنين وعشرين يومًا. فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة، فتأولت ذلك، وقلت: لعله دخول سنة لا تمامها(٢) .

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤١).

* الفقيه الزاهد، العارف الواعظ، أبو الحسن علي بن عمر الحرّاني:

إمام الجامع بحرّان، من أهل الخير والصلاح والدين.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ في آخر نهار يوم عرفة ـ وقيل: ليلة عيد النحر.

ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية فقال:

وروحه قُبضت في ليلة شرفت ... يحظى بها كل محبوب وكل ولي

بكت عليه عيــون الناس كلهم ... وأوحش الكل من سهل ومن جبل

بكت عليه الزوايـا الخاليـات كما ... قد كان يؤنسها من غير ما ملل

بكت دفاتـره حزنًـا له وأسـى ... لأنه كان عنها غير مشتغل

عليه طيب سلام غير منفصل ... على ممـر ليالي الدهر متصل(١)

* الفقيه أبو العبّاس أحمد بن أبي غالب الأبرودي الحبابيني:

● قال ابن النجار: قرأت في كتاب أبي بكر عبيد اللَّه بن علي المارستاني بخطه قال: دخلت على أحمد الحبابيني عائدًا، فأنشدني متمثلاً:

سيبكي عليّ باكي العين بعد موتـه ... ويبكي عليّ باكي البكاء إلى الحشر

فنفسي أعدّي فضل زاد من التقى ... فإنك في الدنيا ورجلاك في القبر(٢)

* الفقيه الزاهد، ناصح الإسلام، وفقيه العراق أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنّى:

قال الإمام ناصح الدين بن الحنبلي عن شيخه ابن المنى:

«رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقرّاء معمورًا، وكل فقيه عنده

(١) «الذيل» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٤).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٤٣).

من فضله وإفضاله مغموراً، فأنخت راحلتي بربعه، وحططت زاملة بغيتي على شرعه، فوجدت الفضل الغزير، والدين القويم المنير، والفخر المستطيل المستطير، والعالم الخبير، فتلقاني بصدر بالأنوار قد شُرح، ومنطق بالأذكار قد ذكر ومُدِح، وبباب إلى كل باب من الخيرات قد شُرِع وفُتح.

وسُئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي؟ فقال: شيخنا أبو الفتح كان رجلاً صالحًا، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة في التعليم. قلّ من قرأ عليه إلا انتفع. . وكان يقنع بالقليل، وربما يكتفي ببعض قرصة، ولم يتزوج، وقرأت عليه القرآن، وكان يحبنا ويجبر قلوبنا. قرأ عليه الفقه خلق كثير من أعيانهم الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد. وكان كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل. ليس فيه تيه الفقهاء ولا عجب العلماء.

قال جامع سيرته: ابتدأ به المرض بعد نصف شعبان، وكان مرضه الإسهال وذلك من تمام السعادة؛ لأن مرض البطن شهادة. ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء، والتلامذة والأصحاب.

فحدّثني صاحبه أبو محمد إسماعيل بن علي الفقيه، وهو الذي تولّى تمريضه قال: قال لي الشيخ يوم الخميس ثاني رمضان: أي فخر، آخر تعبك معي يوم الأحد؟ قال: وهكذا كان. فإنه توفي يوم السبت رابع شهر رمضان.

* الشيخ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد [illegible] بالشام في وقته:

كان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر، إذا أشكل عليهما شيء سألاه.

قال ولده ناصح الدين عبد الرحمن: «لما مرض مرض الموت، رآني وقد بكيت، فقال: إيش بك؟ فقلت: خير، فقال: لا تحزن عليّ؛ أنا ما توليت

قضاء، ولا شحنكية، ولا حبست ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس، ولا ظلمت أحدًا، فإن كان لي ذنوب، فبيني وبين اللَّه عز وجل. ولي ستون سنة أفتي الناس، واللَّه ما حابيت في دين اللَّه تعالى.

وكان يقول قبل موته بسنين: سنتي سنة ست وثمانين، إلى أن دخلت سنة ست وثمانين، فقال: هذه سنتي، فقلنا: كيف تقول هذا؟ قال: هذي سنة أبي وجدي؛ لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان الأمر كما قال.

وقال ولده: قال لي قبل أن يموت بسنة: رأيت الحق عز وجل في منامي، فقال لي: يا نجم أما علمتك وكنت جاهلاً؟ قلت: بلى يا رب، قال: أما أغنيتك وكنت فقيرًا؟ قلت: بلى يا رب، قال: أما أمتّ سواك وأحييتك؟ وجعل يعدّد النعم. ثم قال: قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران»[1].

*** مصلح الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحمامي العابد أستاذ الأئمة:**

• قال أبو عبد اللَّه الخليلي بأصبهان: كان جدي لأمي محمد بن أحمد الحنبلي المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عمره يختم القرآن في يومين، فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن. وكانت قراءته بالليل قراءة تذكر وتفكر.

قال أبو عبد اللَّه: وسمعت محمد بن محمد الخبازي المديني جارنا - وكان من أهل الخير والصلاح تلاّء للقرآن، ملازمًا للمسجد في أكثر أوقاته، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرًا - يقول: لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال: أسأل اللَّه أن يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كل يوم ختمة،

(١) «الذيل» (١/٣٦٨ - ٣٦٩).

فاستجيبت دعوته، فكان يختم كل يوم ختمة [(١)].

*** الفقيه الزاهد سعد بن عثمان بن مرزوق القرشي: «توفي ساجداً»:**

قال ابن رجب الحنبلي:

«رأى رجل في بغداد النبي ﷺ، وهو يقول: لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء، أو كما قال.

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا، فرموه مرّات، وكأن منادياً ينادي في قلوب الناس، وهو يقول: أعوذ باللَّه من الفتنة، إيش بي؟ إيش بالناس؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم.

وقال القادسي: هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد، ومن تشد إليه الرحال، ومن كان للَّه عليه إقبال الصائم في النهار، القائم في الظلام.

● وقال ابن النجّار: كان عبداً صالحًا، مشهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع، والتقشف، والقناعة، والتعفف، وكان خشن العيش، مخشوشنًا، كثير الانقطاع عن الناس.

● وذكر القادسي أنه تُوفي يوم الثلاثاء ساجداً.

● وذكر ابن النجار: أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ**﴾[الواقعة: ٨٨ _ ٨٩][(٢)].

*** شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي الأنصاري: «إن استأثر اللَّه بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر»:**

رحم اللَّه الإمام الحافظ عبد اللَّه بن محمد بن علي أبو إسماعيل الهروي.

---

(١) «الذيل» (١/ ٣٨٠ _ ٣٨١).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٨٤ _ ٣٨٦).

● قال ابن تيمية في «الأجوبة المصرية» شيخ الإسلام مشهور، معظم عند الناس. هو إمام في الحديث، والتصوف والتفسير. وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعي، وأحمد. ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى، والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه.

وقال ابن رجب الحنبلي: كان سيدًا عظيمًا، وإمامًا عارفًا، وعابدًا زاهدًا، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها. وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة.

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

نهواك نحنُ ونحن منك نهابُ أهوىً وخوفًا إن ذاك عُجابُ!

شَخَص العقولُ إليكَ ثم استَحْسَرَتْ وتَحَيَّرتْ في كُنْهِكَ الألبابُ

تُوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت.

بكَازِيَا رِكَاه ـ مقبرة بقرب هَراة ـ . وكان يومًا كثير المطر، شديد الوحْل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: إن استأثر اللَّه بي في الصيف فلا بدّ من نطع مخافة المطر، فصدّق اللَّه ظنه في ذلك[1] .

صيف ومطر إنّ ذاك عجابُ.

*** الشريف أبو جعفر الهاشمي عبد الخالق بن عيسى بن أحمد العباسي:**

● قال ابن الجوزي: كان عالمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهدًا، قوّالاً بالحق،

(١) «الذيل» (١/ ٥١ ـ ٦٧).

لا يُحابي، ولا تأخذه في اللَّه لومة لائم.

قال عنه ابن السمعاني: إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة.

وقال ابن خيرون: مقدم أهل زمانه شرفًا، وعلمًا وزهدًا.

وقال ابن عقيل: كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم في علم الفرائض.

وكان عند الإمام - يعني الخليفة - معظمًا حتى إنه وصّى عند موته بأن يغسله، تبركًا به. وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه. وكان ذلك كفاية عمره فواللَّه ما التفت إلى شيء منه، بل خرج ونسي مئزره حتى حُمل إليه. قال: ولم يُشهد منه أنه شرب ماء في حلقة على شدة الحرّ، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

وقال ابن رجب: كان معظمًا عند الخاصة والعامة، زاهدًا في الدنيا إلى الغاية، قائمًا في إنكار المنكرات بيده ولسانه، مجتهدًا في ذلك.

قال ابن الجوزي: لما احتُضر القاضي أبو يعلى أوصى أن يُغسله الشريف أبو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر اللَّه قال: يغسلني عبد الخالق، ففعل، ولم يأخذ مما هناك شيئًا. فقيل له: قد وصّى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذ مما هناك شيئًا.

وفي فتنة ابن القشيري، قام فيها الشريف قيامًا كليًّا، ومات في عقبها.

قال القاضي أبو الحسين: أُخِذ الشريف أبو جعفر في فتنة أبي نصر بن القشيري، وحُبس أيامًا فسرد الصوم وما أكل لأحدٍ شيئًا.

قال: ودخلت عليه تلك الأيام ورأيته يقرأ في المصحف، فقال لي: قال اللَّه تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ تدري ما الصبر؟ قلت: لا، قال: هو الصوم. ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضجّ الناس من حبسه،

وأُخرج إلى الحريم الطاهوي بالجانب الغربي فمات هناك.

وذكر ابن الجوزي أنه لما اشتد مرضه، تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، وما أحبّ أن أموت إلا في بيتي بين أهلي فأُذِن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم.

قال: وقرأت بخط أبي علي بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر، ووصيته إلى أبي عبد اللَّه بن جردة فكتبها. وهذه نسختها:

«ما لي ـ يشهد اللَّه ـ سوى الحبل والدلو، وشيء يخفى عليّ لا قدْر له. والشيخ أبو عبد اللَّه، إن راعاكم بعدي، وإلا فاللَّه لكم. قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾، ومذهبي: الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك، والشافعي، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهّل اللَّه تعالى ذلك عليهم، ولا يعقد لي عزاء، ولا يشق عليّ جيب، ولا يُلطم خد. فمن فعل ذلك فاللَّه حسيبه».

وتوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ليلة الخميس سحراً. ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: لما وُضعت في قبري رأيت قبّة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، ادخل من أي أبوابها شئت.

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل اللَّه بك؟ قال: التقيت بأحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدت في اللَّه حق جهاده، ولقد أعطاك اللَّه الرضى ـ رضي اللَّه عنه ـ[1].

***

(١) «الذيل» (١/ ١٥ ـ ٢٤).

*** الفقيه الزاهد: علي بن عمرو بن علي الحراني، أبو الحسن بن الضرير: «كم تنام، قد انهدم رُبع الإسلام»:**

صحب أبو الحسن الحراني القاضي أبا يعلى وتفقّه عليه. وكان من أكابر شيوخ حرّان تُوفي بسروج في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وذكره أبو الحسين، فقال: الصالح التقي،وحكى لي ابنه خليفة، قال: حكى لي رجل من أهل سروج من الصالحين: أنه رأى في تلك الليلة قائلاً يقول له: يا فلان، إلى متى تنام؟ قم، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فانتبهت، وانزعجتُ، ثم عدت نمتُ، فرأيت القائل يقول: كم تنام، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فقعدتُ واستغفرت اللَّه تعالى. وقلتُ: إيش هذا؟ ثم نمتُ، فقال لي: يا فلان، قد انهدم ربع الإسلام. قد مات عليّ بن عمرو. قال: فأصبحت وقد مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1] .

*** المقرئ أبو البركات بن الحنبلي محمد بن سعد العسّال: «يموت الرجل على ما عاش عليه»:**

● «كان ـ رحمه اللَّه ـ من القرّاء المجوّدين، الموصوفين بحسن الأداء وطيب النغمة. يُقصد في رمضان، لسماع قراءته في صلاة التراويح، من الأماكن البعيدة. وكان ديّنًا صالحًا.

سمع منه ابن ناصر، والسلفي. قال: وكان من أحسن الناس تلاوة للقرآن، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا. وهو حنبلي المذهب. علق الفقه عن ابن عقيل. توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائه. وصُلي عليه بجامع القصر وكان الجمع متوفرًا»[2] . سبحان اللَّه! مَنْ كان يقصده

---

(١) «الذيل» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) «الذيل» (١/ ١١٣).

الناس في رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح من الأماكن البعيدة يموت في رمضان. . . فهو شهره.

*** أبو الحسن عقيل ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل: «هان عليَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ فقيهًا فاضلاً. مات وهو وشاب، وله من العمر سبع وعشرون سنة.

قال والده الإمام ابن عقيل: «مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر، وجمع أدبًا حسنًا، فتعزّيت بقصة عمرو بن عبد ودّ الذي قتله علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، فقالت أمه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ما زلتُ أبكي عليه دائم الأبدِ
لكنّ قاتله مَنْ لا يُقاد به مَن كان يُدعى أبوه بيضة البلدِ

فأسلاها، وعزّاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرتُ إلى قاتل ولدي الحكيمِ المالك، فهان عليَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل.

وذكر عن الإمام أبي الوفاء أنه أكبّ عليه وقبّله، وهو في أكفانه. وقال: يا بُنيّ، استودعتك اللَّه الذي لا تضيع ودائعه. الرب خير لك مني. ثم مضى وصلى عليه بجنان ثابت[1] .

*** أبو منصور هبة اللَّه ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل: «للَّه تعالى فيّ اختيار، فدعني مع اختياره»:**

حفظ أبو منصور هبة اللَّه القرآن وتفقه، وظهر منه أشياء تدل على عقل غرير، ودين عظيم. ثم مرض وطال مرضه، وأنفق عليه أبوه مالاً في

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٣، ١٦٤).

المرض، وبالغ قال أبو الوفاء ـ ابن عقيل ـ قال لي ابني، لـمّا تقارب أجله: يا سيدي قد أنفقتَ وبالغتَ في الأدوية، والطب، والأدعية، ولله تعالى فيّ اختيار، فدعني مع اختياره. قال: فوالله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة التي تشاكل قول إسحاق[1] لإبراهيم: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ إلا وقد اختاره الله تعالى للحظوة.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ وله نحو أربع عشرة سنة[2].

يا سبحان الله ابن أربع عشرة سنة، ويقول هذا... وهل بعد الرضا من مقام؟! أحبّه إليه أحبه إلى الله.

«حمل أبو الوفا ـ رحمه الله ـ في نفسه من شدة الألم أمرًا عظيمًا، ولكنه تصبّر ولم يظهر منه جزع. وكان يقول: لولا أن القلوب تُوقف باجتماع ثان لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين».

* قاضي المارستان محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي البغدادي:

قال ـ رحمه الله ـ: ما ضيّعت ساعة من عمري في لهو أو لعب.

تفرّد ـ رحمه الله ـ بعلو الإسناد، ورحل إليه المحدثون من البلاد. ولم يخلّف بعده من يقوم مقامه في علمه.

• مرض وبقي ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القرآن، وأوصى أن يكتب على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨][3].

---

(١) بل هو إسماعيل عليه السلام.

(٢) «الذيل» (١/ ١٦٥).

(٣) «الذيل» (١/ ١٩٢ ـ ١٩٥).

* الشيخ الزاهد العابد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي: «مات وهو عاقد على أصابعه يسبح»:

أخو الشيخ الموفق ابن قدامة.

قال أخوه الموفق عنه: هو شيخنا، ربّانا وأحسن إلينا، وعلّمنا وحرص علينا... وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته. وكان مجاب الدعـوة ، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه اللَّه[1].

● قال ولده عبد اللَّه: إنه في آخر عمره سرد الصوم، فلامه أهله، فقال إنما أصوم أغتنم أيامي؛ لأني إن ضعفت عجزت عن الصوم، وإن مت انقطع عملي.

قال الحافظ الضياء تلميذه: كان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وسافر هو وجماعة، فقام في الليل يصلي ويحرس الجماعة، وقلّل الأكل في مرضه قبل موته، حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يُسبّح[2].

● وقال الضياء وأبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام[3].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يجاهد في سبيل اللَّه، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين.

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي:

«أقام مريضًا أيامًا، ولم يترك شيئًا من أوراده فلما كان عشية الاثنين ثامن

(١) «الذيل» ص(٥٧).
(٢) «الذيل» (٢/ ٥٢ ـ ٥٣).
(٣) «الذيل» (٢/ ٥٦).

عشر ربيع الأول ـ يعني سنه سبع وستمائة ـ جمع أهله واستقبل القبلة، ووصّاهم بتقوى اللَّه ومراقبته، وأمرهم بقراءة يس وكان آخر كلامه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢](١).

● وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسان كأن قاسيون قد وقع أو زال من مكانه فأوّلوه بموته.

● ولما دُفِن رأى بعض الصالحين في منامه تلك الليلة النبي ﷺ وهو يقول: مَنْ رأى أبا عمر ليلة الجمعة فكأنما رأى الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. ومات ـ رحمه اللَّه ـ عن ثمانين سنة، ولم يخلف ديناراً ولا درهمًا ولا قليلاً ولا كثيراً.

وقال أبو شامة في مذيله: أول ما وقفت على قبره وزرته. وجدت بتوفيق اللَّه عز وجل رقة عظيمة وبكاءً صالحًا. وكان معي رفيق لي، وهو الذي عرّفني قبره، وجد أيضًا مثل ذلك.

قال أبو شامة: وأخبرني بعض أصحابنا الثقات أنه رأى الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ في المنام، فسأله إلى أين تمضي؟ فقال أزور أحمد بن حنبل، فأتبعته أنظر ما يصنع، فدخل داراً، فسألت: لمن هي؟ فقيل: للشيخ أبي عمر ـ رحمه اللَّه ـ.

تبكي عليه عيون الناس قاطبة ... إذ كان في كل عين منه إنسانُ
وكان في كل قلب منه نور هدى ... فصار في كل قلب منه نيران
وكل حي رأينا فهو ذو أسف ... وكل ميت رآه فهو فرحان
لا زال يسقي ضريحًا أنت ساكنه ... سحائب غيثها عفو وغفرانُ
كم ميّت ذكره حيّ، ومتصف ... بالحيّ ميت، له الأثواب أكفان(٢)

(١) «الذيل» (٢/ ٥٦ ـ ٥٩).
(٢) «الذيل» (٢/ ٥٩ ـ ٦١).

* الفقيه المفسِّر. الخطيب الواعظ محمد بن الخضر بن تيمية فخر الدين شيخ حرّان مات وهو يصلي:

كان الشيخ فخر الدين رجلاً صالحًا، يُذكر له كرامات وخوارق.

وقال الناصح ابن الحنبلي: انتهت إليه رياسة حرّان، وله خطبة الجمعة، وإمامة الجامع، وتدريس المدرسة النورية، وله القبول من عوام البلد، والوجاهة عند ملوكها، وكان في ملازمته التفسير والوعظ مع الطريقة الظاهرة الصلاح.

وقال ابن حمدان الفقيه: كان شيخ حران، ومدرسها، وخطيبها ومفسرها، مغرًى بالوعظ والتفسير، مواظبًا عليهما.

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

أتت رحلتي، وقد أتاني المسيرُ ... وزادي من النسك نزر حقيرُ
وقلبي على جمرات الأسى ... من الخوف من خالقي مستطيرُ
وكم زلة قد تقحمتها ... فدمعي لها وعليها غزير
مضى عمري، وانقضت مدتي ... ولم يبق من ذاك إلا اليسير
كأنيِّ بكم حاملين السرير ... بشخصي، وناهيك ذاك السرير
يُقِلّونه شَرْجعًا مثقلاً ... عُلومًا لجنبيه منها صريرُ
إلى منزلٍ ليس في ربعه ... أنيس لساكنه أو نصير
سوى عمل صالح بالتقى ... فنعم الأنيس، ونعم الخفير

قال ولده عبد الغني: لما مات الوالد كان في الصلاة؛ لأني ذكّرته بصلاة العصر. وأخذته إلى صدري، فكبر وجعل يحرّك حاجبه وشفتيه بالصلاة حتى شخص بصره ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

(١) «الذيل» (٢/١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨).

وقد ذكر ولده له منامات صالحة رئيت له بعد وفاته وهي كثيرة جداً جمعها في جزء.

قال: حدثتني ابنة عم والدي ـ وكانت صالحة ـ قالت: رأيت بعد موت الشيخ في منامي، كأنني أسمع صوت ضجّة من السماء. فقلت: لمن عندي: ما هذا الصوت والضجّة؟ قال: هذا ضجيج الملائكة لأجل انقطاع التفسير وتعطله بالجامع بعد وفاة الشيخ.

قال: وحدّثني أبو الحسن بن إبراهيم بن البقش النجار ـ وكان يلازم الشيخ لسماع الحديث ـ قال: رأيت الشيخ بعد موته في المنام على كرسي يعظ، وتحته رجال ونساء كثير فسمعته يُنْشد:

تجلى الحبيبُ لأحبابه فطوبى لمن كان يعنى به
فلما تجلّى لهم كبّروا وخرّوا سجوداً على بابه[1]

*** يوسف بن عبد الرحمن، الواعظ الشهير محيي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبو الفرج أستاذ دار الخلافة قتل شهيداً:**

● قال الحافظ الذهبي: كان إمامًا كبيرًا، وصدرًا معظمًا.

وقال ابن الساعي عنه: هو من العلماء الأفاضل، والكبراء الأماثل، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل. ظهرت عليه آثار العناية الإلهية، مذ كان طفلاً، فعني به والده. وأسمعه الحديث، ودرّبه من صغره على الوعظ، وبورك له في ذلك، وصار له قبول تام، وبانت عليه آثار السعادة. وكان كامل الفضائل، معدوم الرذائل. ولي أستاذ دارية الدار، فلم يزل كذلك إلى أن قُتِل صبرًا شهيدًا بسيف الكفار عند دخول هولاكو ملك التتار إلى بغداد.

---

(١) «الذيل» (٢/١٥٨ ـ ١٦١).

● وكانت خاتمة سعادته الشهادة.

قال الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش: بلغني عن الشيخ محمد بن سكران الزاهد المشهور، أنه قال: رأيت أستاذ الدار ابن الجوزي في النوم، فقلت له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: كفرت ذنوبنا سيوفُهم ﷺ[1].

* شاعر عصره وحسّان وقته يحيى بن يوسف الصرصري الأنصاري:

«كان صالحًا قدوة، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة، شديداً في السنة، منحرفًا على المخالفين لها».

«لما دخل هولاكو وجنده الكفار إلى بغداد كان الشيخ يحيى بها. فلما دخلوا عليه قاتلهم. ويقال إنه قتل منهم بعكّازه. ثم قتلوه شهيداً ﷺ وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد رأى النبي ﷺ في منامه وبشره بالموت على السنة ونظم في ذلك قصيدة طويلة معروفة. وقد حدث[2].

* علي بن سليمان بن أبي العزّ الخبّاز:

● كان زاهداً صالحًا، كبير القدر، قدوة، له أتباع ومريدون. وله زاوية ببغداد، وأحوال وكرامات.

قال الذهبي: كان شيخنا الدباهي يصفه ويعظّمه.

وسمع منه الدمياطي، وحدّث عنه في معجمه، وقال: قُتل شهيداً في وقعة التتر في محرم سنة ست وخمسين وستمائة. ويقال: إنه ألقى على باب زاويته على مزبلة ثلاثة أيام، حتى أكلت الكلاب من لحمه، وأنه كان قد

(١) «الذيل» (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).
(٢) «الذيل» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

أخبر عن نفسه بذلك في حياته رضي الله عنه.

وكان المستنصر بالله يزوره، ويرسل الشيخ محمد الركاب دار يأتيه من خبزه فيستشفي به(١).

لئن أكلت الكلاب من لحمه فوالله لقد عظم الأجر... ما ضرّهم ما أصابهم جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة.

* **الشيخ المحدّث الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة:**

انتهى إليه علو الإسناد، وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد.

سمع منه وروى عنه الأئمة الكبار كالشيخ محيي الدين النووي، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين ابن تيمية.

توفي يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وستين وستمائة.

ورأى رجل ليلة موته في المنام كأن الناس في الجامع، وإذا ضجّة. فسأل عنها؟ فقيل له: مات هذه الليلة مالك بن أنس، قال: فلما أصبحت جئت إلى الجامع، وأنا مفكّر، وإذا إنسان ينادي: رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم ـ رحمه الله ـ(٢).

* **الزاهد علي بن عثمان بن الوجوهي المقرئ: «أَلِمِثْل ابن الوجِوهي يُقال ذلك؟!»:**

● قال ابن رجب الحنبلي: «أنبأني غير واحد عن الظهير ابن الكازروني، قال: حكى لي الشيخ رشيد الدين بن أبي القاسم أن العدل محب الدين مصدق حدّثه، قال: رأيت ابن الوجوهي بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟

(١) «الذيل» (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).
(٢) «الذيل» (٢/ ٢٨٠).

فقال: نزلا عليّ، وأجلساني وسألاني، فقلت: ألمثلِ ابن الوجوهي يُقال ذلك؟! فأضجعاني ومضيا ـ رحمه اللَّه ـ [١].

* **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلي:**

● قال عنه ابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢٠): «كان فقيهًا محدثًا، كثير الاشتغال بالعلم، وكان مواظبًا على قراءة جزءين من القرآن في الصلاة في كل ليلة. توفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وأخبرني بعض أقاربه. وكان يخدمه في مرضه الذي تُوفِّي فيه ـ قال: آخر ما سمعت عند موته، أن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من كان آخر قوله لا إله إلا اللَّه»**، ثم مات.

* **قاضي القضاة عبد اللَّه بن حسن بن عبد اللَّه المقدسي: «مات وهو يتوضأ»:**

ولي القضاء في آخر عمره، وتولّى مدرسة الحديث بالصدرية والعالمية، ثم بدار الحديث الأشرفية، وكان فقيهًا عالمًا خيِّرًا صالحًا منفردًا بنفسه حميد السيرة في القضاء. توفي فجأة وهو يتوضأ للمغرب آخر نهار الأربعاء سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وكان قد حكم ذلك اليوم بالمدينة، ثم توجّه آخر النهار إلى السفح. ودفن من الغد بتربة الشيخ أبي عمر وحضره جمع كثير [٢].

* **جُنَيْد عصره، الزاهد القدوة العارف عماد الدين، ابن شيخ الحزاميين:**

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الحزامي.

---

(١) «الذيل» (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٥٥).

(٢) «الذيل» (٢/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يعظمه ويجلّه، ويقول عنه: هو جُنيد وقته، وكتب إليه كتابًا من مصر أوله: «إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك».

قال عنه البرزالي: رجل صالح عارف، صاحب نسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا.

وقال الذهبي: كان سيدًا عارفًا كبير الشأن، منقطعًا إلى اللَّه تعالى... وكان داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح في الصفات. يمرها كما جاءت. وقد انتفع به جماعة صحبوه، ولا أعلم خلّف بدمشق في طريقته مثله.

قال ابن رجب الحنبلي: «كان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات، والتصنيف، والمطالعة، والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة، والأنس باللَّه، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادي الفناء باللَّه والبقاء به، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزويًا عن الناس، لا يجتمع إلا بمن يحبه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية.

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة[1].

ولا أجل من الاستقامة على العبادة... وأقلّ القليل من يثبت على حاله مع اللَّه إلى الممات.

*** محمد بن أحمد بن أبي نصر بن الدباهي الزاهد أبو عبد اللَّه بن أبي العبّاس: «استقامة حتى الممات... وموت بالاستسقاء وتلك شهادة»:**

● قال الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عنه: شيخ صالح، عارف

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

زاهد، كثير الرغبة في العلم وأهله، والحرص على الخير، والاجتهاد في العبادة، تخلّى عن الدنيا وخرج عنها، ولازم العبادة، والعمل الدائم والجد واستغرق أوقاته في الخير، متقشف ورع، صلب في الدين، محب للصالحين وأهل الخير، منقطع عن الناس، يقوم الليل ويكثر الصوم، ويطيل الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق، وإذا رآه إنسان عرف الجدّ في وجهه، يقوم فيما يظهر له من الحق، ويأمر بما يمكنه من المعروف وينهى عما يقدر على النهي عنه من المنكر ولم يزل كذلك حتى توفي[١] .

● قال عنه البرزالي: أحد المشايخ العارفين الصالحين، وافر الإخلاص، متّبع للسنة، سيد من السادات.

وقال الذهبي: كان إمامًا فقيه النفس، عارفًا بمعاملات القلوب... ترك أباه ونعمته وتجرّد. ابتلي بضيق النفس سبعة أشهر، ثم بالاستسقاء ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٢] .

* الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني البعلي: «يموت شهيدًا ليلة الجمعة في رمضان بعد إسماعه الحديث»:

● قال عنه الذهبي: «كان إمامًا محدثًا، متقنًا مفيدًا، فقيهًا مفتيًا، خبيرًا باللغة والغريب، غزير الفوائد، مُكْرَمًا بين الملوك والأئمة مهيبًا كثير التواضع... عظيم الهيبة.

وقال في آخر طبقات الحفاظ: انتفعت به، وتخرّجت به. وكان عارفًا بقوانين الرواية حسن الدراية».

---

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦١).

(٢) «الذيل» (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

توفي يوم الخميس حادي عشر رمضان سنة إحدى وسبعمائة ببعلبك.

وكان موته بشهادة ـ رحمه اللَّه ـ، فإنه دخل إليه ـ يوم الجمعة خامس رمضان، وهو في خزانة الكتب بمسجد الحنابلة ـ شخص، فضربه بعصى على رأسه مرات وجرحه في رأسه بسكين، فاتقى بيده، فجرحه فيها، وأمسك الضارب، وضُرِب ضربًا عظيمًا، وحُبس، وأظهر الاختلال.

وحمل الشيخ إلى داره، وأقبل على أصحابه يحدثهم، وينشدهم على عادته، وأتم صيامه يومه، ثم حصل له بعد ذلك حمى، واشتد مرضه حتى توفي يوم الخميس المذكور في الساعة الثامنة منه، وغبطه الناس بموته شهيداً في رمضان ليلة الجمعة عقب رجوعه من دمشق، وإفادته الناس، وإسماعه الحديث رضي الله عنه[1].

*** محدث بغداد الزاهد الأثري عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن محمد العلثي: «طوبى له»:**

● قال أبو العلاء الفرضي: كان شيخنا عالمًا، فقيهًا محدثًا، مكثرًا مفيداً زاهداً عابداً، من بيت الحديث، تابعًا للسنّة، شديداً على المبتدعة، ملازمًا لقراءة القرآن والعبادة.

وقال البرزالي عنه: محدث بغداد في وقته؛ موصوف باتباع السنة ونصرها، والذبّ عنها.

قال الذهبي: وله أتباع وأصحاب، يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. سمع منه بدمشق الكبار: كالمزي والبرزالي والشيخ تقي الدين ابن تيمية.

توفي بطريق مكة الشامي ـ بذات عرق ـ عند عوده من الحج ـ يوم

(١) «الذيل» (٢/٣٤٦).

الجمعة وقت الصلاة سابع عشر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة، وحكي عنه: أنه لما مرّ على الوادي المذكور متوجهًا إلى مكة ـ شرّفها اللّه تعالى ـ من دمشق رأى قبور جماعة ماتوا هناك من قبل، فقرأ، واستغفر لهم، وقال: طوبى لمن دُفِن معكم، فتوفي لـمّا عاد، ودُفِن معهم، ـ رحمه اللّه تعالى ـ[1].

* **الشيخ الفقيه المحدث الزاهد فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن يوسف البعلي: «أنا أعيش عمر الإمام أحمد، لكن شتّان ما بيني وبينه»:**

قال البرزالي: كان من خيار المسلمين، وكبار الصالحين.

● كان الشيخ الفقيه اليونيني يحبه، ويقدّمه على أولاده، حتى جعله إمامًا لمسجد الحنابلة إلى أن انتقل إلى دمشق.. ولي مشيخة الحديث بمشهد عروة، وبدار الحديث النورية ـ وبالصدرية وكان دائم البشر، يحب الخمول ويؤثره، ويلازم قيام الليل من الثلث الآخر، ويتلو بين العشاءين، ويصوم الأيام البيض، وستًا من شوّال، وعشر ذي الحجة والمحرّم. ولا يخل بذلك. ذكر ذلك كله ولده الشيخ عز الدين.

قال: ولقد أخبر بأشياء، فوقعت كما قال لخلائق. وذلك مشهور عند من يعرفه. ولقد قال لي في صحته وعافيته: «أنا أعيش عمر الإمام أحمد، لكن شتان ما بيني وبينه» فكان كما قال.

وقال ابن اليونيني: كان رجلاً صالحًا زاهدًا، فاضلاً عابدًا... رافقته في طريق مكة، فرأيته قليل المثل في ديانته وتعبده، وحسن أوصافه، وكان من خيار الشيوخ علمًا وعملاً، وصلاحًا وتواضعًا، وسلامة صدر، وحسن سمت، وصفاء قلب، وتلاوة قرآن وذكر. وكان أحد عباد اللّه الصالحين.

---

(١) «الذيل» (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

توفي ليلة الأربعاء سابع رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة بدمشق. ودفن من الغد بالقرب من قبر الشيخ موفق الدين بروضة الجبل ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

*** الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم: «كان إذا قرأ حديث الرجل الذي مات محرمًا بكى فمات محرمًا»:**

قال الحافظ ابن ناصر الدمشقي: «مات بخليص مُحرِمًا في ثالث ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث، ومرّ به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته، وهو محرم فمات. . .الحديث، وفيه: «**فإنه يُبعث يوم القيامة مُلبّيًا**» فكان إذا قرأه يبكي، ويرقّ قلبه، فمات محرمًا بخليص»[2].

رُوحٌ دَعَاها للوِصال حَبيبُها فسعت إليه تُطيعُهُ وتُجيبُهُ
يا مُدّعي صدق المحبّةِ هكذا فِعْلُ الحبيب إذا دعاه حبيبُهُ

*** شيخ الإسلام مجدد عصره ابن تيمية: «يموت عند قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر* في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾»:**

شهرة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تغني عن الإطناب في ذكره فهو أشهر في الدنيا من الدنيا قال عنه الحافظ المزي: لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة.

وقال الشيخ القدوة أبو عبد اللَّه محمد بن قوام: ما أسلمت معارفنا إلا

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص(٢١٧) ـ المكتب الإسلامي.

على يد ابن تيمية.

قال له ابن دقيق العيد لما اجتمع به: ما كنت أظن أن اللَّه بقى يخلق مثلك.

مات شيخ الإسلام في سجنه بقلعة دمشق... دخل القلعة ورأى بابها فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، وقال: ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي. إن معي كتاب اللَّه وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني عن بلدي فنفيي سياحة، وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي. إن المحبوس من حُبِس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، وتفرّغ شيخ الإسلام في سجنه للقرآن وقراءته وجعل يقول: «لو يعلمون ما أسدوا إليّ من الجميل بسجنهم إياي في القلعة ما كافأتهم عليها بملئها ذهبًا».

قال ابن رجب الحنبلي:

«مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يومًا، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته. وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

وهذه الخاتمة الطيبة لشيخ الطيبين وإمام العلماء العاملين الربانيين تختم بها حياته ومحنه وآلامه توحي بعلو مكانته.

* **الإمام الجبل إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المَرْوزي، ابن راهُويَه شيخ الإسلام، شيخ البخاري:**

● قال أحمد بن حنبل وذكر إسحاق: لا أعرف له بالعراق نظيراً.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: لو كان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق.

وقال ابن خزيمة: واللَّه لو كان إسحاق في التابعين لأقرّوا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وقال محمد بن أسلم الطوسي حين مات إسحاق: ما أعلم أحداً كان أخشى للَّه من إسحاق، يقول اللَّه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر: ٢٨]، وكان أعلم الناس.

● توفي إسحاق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وفي ليلة موته يقول الشاعر:

يا هَدَّةً مّا هُدِدْنـا ليلـةَ الأحـدِ   في نصف شعبان لا تنسى مدى الأبد

قال أبو عمرو المستمْلِي النيسابوري: أخبرني علي بن سلمة الكرابيسي، وهو من الصالحين، قال: رأيت ليلة مات إسحاق الحنظلي كأن قمراً ارتفع من الأرض إلى السماء، من سكّة إسحاق، ثم نزل فسقط في الموضع الذي دُفِن فيه إسحاق. قال: ولم أشعر بموته فلما غدوتُ إذا بحفّار يحفر قبر إسحاق، في الموضع الذي رأيت القمر وقع فيه[1].

* * *

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٨٨).

* **الإمام محمد بن منصور بن محمد، أبو بكر بن الإمام أبي المظفر ابن الإمام أبي منصور بن السمعاني:**

تاج الإسلام أبو بكر الإمام ابن الإمام ابن الإمام.

قال فيه الحافظ السِّلفي:

هو المُزَنيُّ إبّان الفتاوَى ... وفي علم الحديث الترمذي
وجاحظُ عصرِه في النثر صدْقًا ... وفي وقت التشاعُر بحتري[١]
وفي النحو الخليلُ بلا خلافٍ ... وفي حفظ اللغات الأصمعي

قال الحافظ أبو سعد[٢]: من عجيب ما اتفق، أن آخر مجلس أملاه، كان افتتاحه بقوله ﷺ: **«إن أمامكم عقبة كئوداً، لا يجوزها المُثقّلون، فأنا أحب أن أتخفّف لتلك العقبة»**.

وكان قد وصل في التفسير الذي ذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ الآية.

وتُوفي عقيب ذلك، ابن ثلاث وأربعين سنة، في يوم الجمعة، ثاني صفر، سنة عشر وخمسمائة[٣].

* **الإمام الكبير الفَرْد في علم الخلاف أبو الفتح الـمِيهني أسعد بن محمد بن أبي نصر:**

تفقّه على الإمام أبي المظّفر السمعاني.

قال أبو سعد بن السمعاني: سمعت أبا بكر محمد بن علي الخطيب

---

(١) وددت لو قال: وفي الشعر الأديب البحتري.
(٢) هو ابن الحافظ أبي بكر ويلقب أيضًا بتاج الإسلام، وهو حافظ كبير.
(٣) «طبقات الشافعية» للسبكي (٧/ ١٠).

يقول سمعت فقيهاً من أهل قَزْوين، وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمذان، قال: كنا معه في بيت، وقت أن قَرُب ارتحاله، فقال لنا: اخرجوا من ها هنا، فخرجنا، فوقفت على الباب وتسمّعت، فسمعته يلطم وجهه ويقول: وا حسرتا على ما فرّطت في جنب اللّه، وجعل يبكي ويلطم وجهه، ويردّد هذه الكلمة إلى أن مات ـ رحمه اللّه تعالى ـ(١).

*** الحسن بن سلمان بن الفتى النهرواني أبو علي الأصبهاني مدرس النِّظامية:**

قال عنه تلميذه أبو المعمّر المبارك بن أحمد الأنصاري: لم ترَ عيناي مثله.

قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٧/ ٦٢):

«سُئل في بعض مجالسه التي كان يجلس فيها للتذكير، عن علامة قبول الصوم، فقال: أن يموت في شوّال، قبل التلبّس بسيئ الأعمال، فمات في شوال بعد تأدية فرض رمضان، يوم الاثنين الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ودُفِن بتربة الشيخ أبي إسحاق».

*** الإمام الجليل أبو المحاسن الرُّوياني عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد صاحب «البحر»:**

أحد أئمة المذهب الشافعي. كان يُلقّب فخر الإسلام، وله الجاه العريض، والعلم الغزير والدين المتين، والمصنفات السائرة في الآفاق والشهرة بحفظ المذهب، يُضرب المثل باسمه في ذلك، حتى يُحكى أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٤٣).

قال السبكي: ولي القاضي أبو المحاسن قضاء طبرستان، وكان القاضي فيما أحسب مدرس نظامية طبرستان، ثم انتقل إلى آمل، وهي وطن أهله، فأقام بها إلى يوم الجمعة عند ارتفاع النهار حادي عشر المحرم سنة اثنتين وخمسمائة، فقتلته الملاحدة حسداً، ومات شهيداً بعد فراغه من الإملاء[١].

*** جمال الإسلام أبو الحسن السُّلَمِي علي بن المُسَلَّم توفي ساجداً في صلاة الفجر:**

أحد مشايخ الشافعية بالشام.

روى عنه الحافظ ابن عساكر والسلفي. ولـزم الغزالي مدة مـقامه بدمشق.

قال الغزالي بعد خروجه من الشام: خلّفت بالشام شابًّا إن عاش كان له شأن. يعني: جمال الإسلام، فكان كما قد تفرّس فيه. وكان على فتاويه عمدة أهل الشام، وكان يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنائز... وكان يعقد مجلس التذكير، ويُظهر السنّة ويرد على المخالفين، ولم يخلف بعده مثله.

تُوفِّي ساجداً في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة[٢].

*** الأمير الفقيه ضياء الدين الهكّاري أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى: «مات مرابطًا في حصار عكّا»:**

أكبر أمراء الدولة الصلاحية.

تفقّه بالجزيرة على الإمام أبي القاسم بن البزري، ثم انتقل لحلب،

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ١٩٥).

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

وسمع الحديث من أبي طاهر السلفي، وأبي القاسم بن عساكر.

اتصل بخدمة الملك أسد الدين شيركوه، وصار إمامه في الصلوات وتوجّه معه إلى مصر، وكان أحد الأسباب المعينة على سلطنة صلاح الدين بعد عمه، وكان ذا شجاعة وشهامة فأمره أسد الدين ثم رفع صلاح الدين منزلته ونقله من إمرة إلى إمرة، حتى صار أكبر أمراء الدولة وأُسر مرة فافتداه السلطان صلاح الدين بستين ألف دينار.

توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة. مات بمخيّمه على حصار عكا وهو مجاهد للفِرنج(١).

* أمير المؤمنين المسترشد باللَّه قُتِل وهو صائم وهو يقرأ القرآن:

«قال ابن السمعاني: كان ذا رأي وهيبة ومضاء وشجاعة، أحيا رمائم الخلافة، وشدّ أركان الشريعة، وضبط أمور الخلافة وردّها ورتَّبها أحسن الترتيب.

والمسترشد أبلغ مما يُوصف به، وقد آل أمره إلى أن خرج في سنة تسع وعشرين وخمسمائة إلى همذَان، للإصلاح بين السلاطين السلجوقية، وكان معه كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بالسلطان مسعود، ثم التقى الجمعان، فلم يلبثوا إلا قليلاً وانهزموا عن المسترشد، وذلك في شهر رمضان، وقُبض على المسترشد باللَّه وعلى خواص دولته، وحملوا إلى قلعة هناك بقرب همذان، فحبسوا فيها، وبقي المسترشد مع السلطان مسعود إلى النصف من ذي القعدة من السنة، وحُمِل معهم إلى مراغة من أذربيجان، ثم إن الباطنية ألقوا عليه جماعة من الملاحدة، وكان قد أُنزِل ناحية من العسكر فدخلوا عليه يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة، وفتكوا به وبجماعة معه

---

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ٣٦٥).

كانوا على باب خَرْكاهِهِ[١]، وقُتلوا جميعًا ضربًا بالسكاكين وحمل هو إلى مراغة ودُفِن هناك.

ويُحكى أن المسترشد كان إذ ذاك صائمًا، وقد صلى الظهر وهو يقرأ في المصحف، فدخلوا عليه فقتلوه، ثم أُضرِمت عليهم النار... فرضي اللَّه عنه، لقد عاش حميدًا ومات شهيدًا فقيدًا[٢].

* الشيخ الجليل أبو الحسين العِمْراني اليماني يحيى بن أبي الخير بن سالم:

شيخ الشافعية بإقليم اليمن، صاحب «البيان» وغيره من المصنفات الشهيرة. كان إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا خيِّرًا مشهور الاسم، بعيد الصيت، أعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي، يحفظ «المهذب» عن ظهر قلب.

قال ابن سَمُرة: وكان ورده في الليلة أكثر من مائة ركعة، بِسُبْع من القرآن العظيم مات ـ رحمه اللَّه ـ مبطونًا شهيدًا في ربيع الآخر قبل الفجر من ليلة الأحد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ولم يترك صلاة في مرض موته، وكان نزعه ليلتين ويومًا بينهما، يسأل عن كل وقت صلاة، ويصلي بالإيماء[٣].

* الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري محمد بن عمر التيمي البكري: «يا كريم، جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه»:

شيخ الشافعية وإمام المتكلمين.

---

(١) شيء يشبه الخيمة.

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠).

(٣) «طبقات الشافعية» (٧/ ٣٣٨).

● قال الكمال محمود بن عمر الرازي: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتُضِر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني:

«يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل آبق: أحمد اللَّه بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهادتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب.

وصلواته على ملائكته المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد اللَّه الصالحين.

اعلموا أخلائي في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وتعلّقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين: الأول أنه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له عند اللَّه تعالى أثر، والثاني: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات.

● أما الأول: فاعلموا أني كنت رجلاً محبًّا للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئًا لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقًّا أو باطلاً، إلا أن الذي نطق به في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلة التحيّزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال للَّه، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفيّة، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحْدته، وبراءته عن الشركاء، كما في القِدم

والأزلية، والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى اللَّه به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، والمتعيّن للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكلّ ما مدّه قلمي، أو خطر ببالي، فأستشهد، وأقول: إنْ علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنت أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديسٍ اعتقدتُ أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقلّ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطا المجرمين.

وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللَّهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنت قلتَ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيّب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمنًا من عذابك، قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهِّل عليّ سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين.

● وأما الكتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني مَن نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضّل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على اللَّه.

● الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على اللَّه.

ثم إنه سرد وصيته في ذلك، إلى أن قال: وأمرت تلامذتي، ومَن لي عليه حق، إذا أنا متّ، يُبالغون في إخفاء موتي، ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرءوا عليّ ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: «يا كريم، جاء الفقير المحتاج فأحسن إليه»، هذا آخر الوصية[1].

ومن شعره في آخر حياته:

نهاية إقدام العقول عِقَالُ ... وأكثر سَعْي العالَمين ضلالُ
وأرواحنا في غفلة من جُسومنا ... وحاصل دُنيانا أذىً ووَبَالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سِوَى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم مِن جبالٍ قد عَلَتْ شرفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ
وكَم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ... فبادوا جميعًا مُزعَجين وزالوا[2]

*** الأمير الكبير الوزير فخر الدين أبو الفضل الجُوَيني يوسف بن شيخ الشيوخ: «واللَّه لأسبقنّك إلى الجنة»:**

الأمير الكبير مقدم جيوش الإسلام الصالحية.

قدم دمشق مع السلطان، فنزل دار أسامة، فدخل عليه العماد النّحاس، فقال له: يا فخر الدين، إلى كمْ؟ ما بقي بعد اليوم شيء. فقال: يا عماد الدين، واللَّه لأسبقنك إلى الجنة. فصدق إن شاء اللَّه قوله، واستشهد على يد الإفرنج يوم وقعة المنصورة ومن شعره:

إذا تحققتمُ ما عند صاحبكم ... من الغرام فذاك القدرُ يكيفيه
أنتم سكنتم فؤادي وهو مَنزلكمْ ... وصاحب البيت أدرى بالذي فيه[3]

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٠ _ ٩٢).
(٢) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٦).
(٣) «طبقات الشافعية» (٨/ ٣٦٤).

* حافظ الدنيا وشيخ المحدّثين الإمام الذهبي:

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الإمام الجبل، من يضرب المثل باسمه في العلم.

قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦):

«رآه الوالد ـ رحمه اللَّه ـ قبل المغرب، وهو في السِّياق، وقال له: كيف تَجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أَدَخَل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصلِّ العصر؟ فقال: بلى، ولكن لم أصلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد ـ رحمه اللَّه ـ عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك، ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل».

من للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي
من للرواية للأخبار ينشرها ... بين البرية من عُجْم ومن عَرَبِ
مَن في القراءات بين الناس نافِعُهُم ... وعاصمٌ ركنها في الجَحفل اللجب
وإن تَغِبْ ذاتُ شمس الدين لا عجب ... فأي شمس رأيناها ولم تَغِبِ
هو الإمام الذي روّتْ روايته ... وطبّق الأرض من طلاّبه النجب
ثبت صدوق خبير حافظ يقِظٌ ... في النقل أصدق أنباءً من الكتب
كالزُّهْر في حَسَب والزَّهْرِ في نسبٍ ... والنهرِ في حَدَبٍ والدهرِ في رُتَبِ

* قاضي القضاة مجد الدين أبو إبراهيم التميمي الشيرازي البالي:

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تيكروز.

كان مشهوراً بالدين والخير والمكارم، وحفظ القرآن وكثرة التلاوة.

● أمر بعضهم بإظهار الرفض في أيامه، فقام في نصر الدين قيامًا بليغًا، وأُوذي بهذا السبب، وقيل: إنه رُبط وأُلقِي به إلى الكلاب والأسود، فشمّته ولم تتعرض له، فعظم قدره وعُلِم أنه من أولياء اللَّه،

وكان ذلك سببًا في خذلان الرافضة.

● ولما مات أحد أولاده الثلاثة، أفضل الدين أحمد، سأله بعض الحاضرين عن سنّه، فقال: رأيت أني أُعطيت أربعة وتسعين دينارًا، وأعطى ولدي أحمد اثنين وعشرين، فسألت المُعطي: ما هذا؟ فقال: هذه سِنُو عمركما، فاستوفي أحمد اثنين وعشرين، وأما أنا فبقى لي تسع سنين، فكان الأمر كما ذكر.

توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة، عن أربع وتسعين سنة بشيراز (١).

* الحافظ الكبير البَرْقاني أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب:

● كان إمامًا، حافظًا، ذا عبادة وفضائل جمة. أخذ عنه الخطيب، وقال: لم نر في شيوخنا أثبت منه.

قال أبو محمد الخلاّل: البرقاني نسيج وحده.

وقال محمد بن يحيى الكرماني الفقيه: ما رأيت في أصحاب الحديث أكثر عبادة من البرقاني.

«مات في أول يوم من رجب، سنة خمس وعشرين وأربعمائة ببغداد دخل إليه محمد بن علي الصوري قبل وفاته بأربعة أيام، فقال له: هذا اليوم السادس والعشرون من جمادى الآخرة، وقد سألت اللَّه أن يؤخر وفاتي حتى يهلَّ رجب، فقد رُوِي أن للَّه فيه عتقاء من النار، عسى أن أكون منهم، فاستجيب له» (٢).

* شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد... بن عائذ:

● قال عنه الذهبي: إنه إمام المسلمين حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، وأهل

(١) «طبقات الشافعية» (٩/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).
(٢) «طبقات الشافعية» (٤/ ٤٨).

عصره كلهم مذعنون لعلو شأنه في الدين والسيادة، وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف.

● وعظ المسلمين في مجالس التذكير ستين سنة.

● بينا هو يعظ الناس إذ دُفع إليه كتاب ورد من بخارى، مشتملاً على ذكر وباء عظيم، وقع بها، واستُدعي فيه أغنياء المسلمين بالدعاء على رءوس الأمْلاء، في كشف ذلك البلاء عنهم ووُصف فيه أن واحداً تقدّم إلى خبّاز، يشتري الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحب الحانوت، فكان يزنها، والخباز يخبز والمشتري واقف، فمات الثلاثة في الحال، فاشتد الأمر على عامة الناس.

فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ ونظائرها، وبالغ في التخويف والتحذير، وأثر فيه ذلك، وتغيّر في الحال، وغلبه وجع البطن من ساعته، وأُنزل من المنبر، فكان يصيح من الوجع، وحُمِل إلى الحمام، إلى قريب من غروب الشمس، فكان يتقلب ظهراً لبطن، ويصيح ويئن، فلم يسكن ما به، فحمل إلى بيته، وبقي فيه ستة أيام لم ينفعه علاج.

فلما كان يوم الخميس، سابع مرضه، ظهرت آثار سكرة الموت عليه، وودع أولاده، وأوصاهم بالخير، ونهاهم عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والنياحة، ورفع الصوت بالبكاء. ثم دعا بالمقرئ أبي عبد اللَّه خاصته، حتى قرأ سورة يس، وتغيَّر حاله، وطاب وقته، وكان يعالج سكرات الموت، إلى أن قرأ إسناداً فيه ما روي أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة»**، ثم توفي من ساعته، عصر الخميس، وحملت جنازته من الغد، عصر الجمعة سنة تسع وأربعين وأربعمائة[1].

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٧٧ - ٢٧٩).

حكى الفقيه أبو المحاسن بن الشيخ أبي الحسن القطّان؛ في عزاء شيخ الإسلام، أنه رأى في النوم كأنه في خان الحسن، وشيخ الإسلام على المنبر، مستقبل القبلة يذكر الناس، إذ نعس نعسة، ثم انتبه، وقال: نَعَسْت نَعْسَة، فلقيت ربي، ورحمني، ورحم أهلي، ورحم من شيّعني.

*** يهودي يُسلم لرؤيا رآها لوالد شيخ الإسلام الصابوني:**

كان أبو نصر عبد الرحمن بن أحمد الصابوني من كبار الواعظين بنيسابور ـ وهو والد شيخ الإسلام إسماعيل الصابوني ـ قد فُتك به واغتيل نهاراً.

قال يهودي: اغتممت لوفاة أبي نصر الصابوني، وقتله، فاستغفرت له، ونمت، فرأيته في المنام، وعليه ثياب خضر، ما رأيت مثلها قط، وهو جالس على كرسي، بين يديه جماعة كثيرة من الملائكة، وعليهم ثياب خضر، فقلت: يا أستاذ، أليس قد قتلوك؟ قال: فعلوا بي ما رأيت. فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: يا أبا حوايمرد (كلمة بالفارسية) لمثلي يُقال هذا؟ غفر لي، وغفر لمن صلّى عليّ، كبيرهم وصغيرهم، ومن يكون على طريقي.

قلت: أما أنا فلم أصلِّ عليك.

قال: لأنك لم تكن على طريقي.

فقلت: إيش أفعل لأكون على طريقك؟

فقال: قل أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمداً رسول اللّه.

فقلت ذلك؛ ثم قلت: أنا مولاك.

قال: لا، أنت مولى اللّه.

قال اليهودي: فانتبهت، فجاء من عنده إلى قبره، وذكر ما رأى من المنام، وقال: أنا مولاه، وأسلم عند قبره، ولم يأخذ شيئًا من أحد، وقال:

إني غني، أسلمت لوجه اللَّه، لا لوجه المال.

قال أبو سهل بن هارون، قال أبو بكر الصيدلاني، وكان من الصالحين: كنت حاضراً قبره؛ حين جاء اليهودي فأسلم(١).

* الرئيس أبو علي المنيعي، الحاجِّي حسان بن سعيد المخزومي: «احفظ هذا الثوب لكفني، ألقى اللَّه فيه»:

هو واقف الجامع المنيعي، بنيسابور، الذي كان إمام الحرمين خطيبه، وقبله أبو إسماعيل الصابوني شيخ الإسلام.

كان ـ رحمه اللَّه ـ على قدم عظيم من الاجتهاد في العبادة، والتواضع، والبر، وكثرة الصدقات والصلاة، يقوم الليل ويصوم النهار، ويلبس خشن الثياب، وفي الشتاء يكسو قريبًا من ألف فقير.

ولما وقع القحط سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة أنفق أموالاً عظيمة، وكان ينصب القِدْر، ويفرّق أكثر من ألف مَنّ خبزاً كل يوم للفقراء، ويفرّق طعامًا كثيراً، كل ذلك غير ما يتصدق به سرًّا.

روى عنه محيي السنّة البغوي، وأبو المظفر عبد المنعم القشيري.

عمد ـ رحمه اللَّه ـ إلى خالص ماله لبناء الجامع المنيعي بنيسابور، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة، وكان لا يفتر آونة من ليل، ولا ساعة من نهار، إلى أن تم وأقيمت الجمعة فيه.

قال ابن السمعاني: بلغني أن عجوزاً جاءته وهو يبني جامع نيسابور، ومعها ثوب يساوي نصف دينار، وقالت: سمعت أنك تبني الجامع فأردتُ أن يكون لي في النفقة المباركة أثر، فدعا خازنه، واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلّم المبلغ إليها، ثم قبض منها الخازن الثوب، ثم قال له:

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٨١).

أنفق هذه الألف منها في بناء المسجد، وقال: احفظ هذا الثوب لكفني؛ ألقى اللَّه فيه (١).

* الوزير الجواد ابن بقية: «علوٌّ في الحياة وفي الممات»:

«أطعم ابن بقية الوزير المساكين والفقراء، وأكرم العلماء، فغار منه السلطان واحتال عليه حتى قتله وصلبه، فلما ارتفع على الخشبة مصلوبًا، وقفت الأمة كلها بوقوفه، فطافت به قلوب المحبين، ونامت بغداد على أصوات البكاء، فترجّل أبو الحسن الأنباري عن فرسه إلى خشبة الصلب، وسلّم على الجثمان ودشّنه بتلك القصيدة التي من لم يحفظها ففي تذوقه للشعر نظر:

عُلُوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... بحقٍّ أنتَ إحدى المعجزاتِ
كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبًا ... وهم وقفوا قيامًا للصلاةِ
مددتَ يديك نحوَهُمُ احتفاءً ... كمدهمو إليهم بالهباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عنْ أنْ ... يُوارى فيه تلك المكرماتِ
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... على مثواك صوت النائحاتِ
لعظْمكَ في النفوس تُبات تُرعى ... بحرّاسٍ وحُفّاظ ثقاتِ
وتُوقدُ حولَكَ النيرانُ ليلاً ... كذلك كنت أيامَ الحياةِ
وما لك تربةٌ فأقولُ تُسقى ... لأنك نصب هطلِ الهاطلات

أصبحت خشبة ابن بقية مسرحًا، تلقى عليه قصائد المادحين، وخطب المثنين، وأصبح من قتله في صَغار، كأنه طُلِيَ بالقار (٢).

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٣٠٠، ٣٠١).
(٢) «مصارع العشاق» للشيخ عائض القرني ص(٦٧ ـ ٦٨) ـ دار الوطن.

* محمد بن حميد الطوسي يموت شهيداً على أيدي الروم:

«حضر محمد بن حُميد الطوسي القتال مع الروم، فوقف يقطع رءوسهم من الفجر إلى الظهر. وما أحسن الذبح على الطريقة الإسلامية!!

فرّ أصحابه فخجل أن يفرّ؛ لأن صاحب الشريعة لا يُقرّ، فتكسر سيفه ومال رأسه، فكفّنه أبو تمام بقصيدته الخالدة:

لقد مات بين الضرب والطعن ميتةً   تقوم مقام النصر إنْ فاتهُ النصرُ
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خضرُ
ثوى طاهرَ الأردان لم تبقَ بقعةٌ   غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ[١]

* أحمد بن أبي الحَوَاري ريحانة الشام:

أحمد بن عبد اللَّه بن ميمون التغلبي أبو الحسن الزاهد تلميذ أبي سليمان الداراني.

قال يحيى بن معين: أظن أهل الشام يسقيهم اللَّه به الغيث، وقال أبو داود: ما رأيت أحداً أعلم بأخبار النساك منه.

قال حبيب بن ندبة: دخلتُ على أحمد بن أبي الحواري ـ وما رأيت بعينيّ مثل أحمد بن أبي الحواري وهو في الموت، وقد صار مثل الخيط، وقد أخرج يده من تحت الإزار وهو يبكي، وقد شالها إلى السماء، وهو يقول: وا خطرَاه، وَا مُخاطرَتَاه[٢].

* بشر بن منصور السُّليمي: «أتعجل قدومي على خالقي»:

• قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحداً أخوف للَّه منه.

وقال القواريري: هو أفضل من رأيت من المشايخ.

---

(١) «مصارع العشاق» ص(٣٣).

(٢) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٩٧).

قال رجل لبشر بن منصور حين حُضر: كأنك أراك تسرُّ من الموت، قال: فعجب من تعجبي، وقال: أتعجّل قدومي على خالقي، أرجو خيره كمقامي مع مخلوق أخافه؟![1] .

*** الإمام العَلَمَ: الطيبي الحسين بن محمد: «يموت وهو ينتظر الفريضة»:**

● قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، متواضعًا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، شديد الحب للَّه ورسوله، كثير الحياء.

كان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثمّ إلى العصر في الحديث إلى يوم مات؛ فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجهًا إلى القبلة[2] .

*** عليَّ بن الفتح الحلبي: «إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا؟! فاقبضني إليك»:**

● «قال أبو زرعة الدمشقي: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر، فرأى الناس يتقرّبون إلى اللَّه تعالى، فقال: يا رب أرى الناس يتقربون بألوان الذبائح، وإني تقرّبت إليك بحزني، ثم غُشي عليه، فأفاق، ثم قال: إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا؟ فاقبضني إليك، فوقع من ساعته ميتًا»[3] .

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(١٠٤).

(٢) «بغية الوعاة» (١/ ٥٢٣)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ١٣٢).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٠).

* قتيل القرآن الإمام شيخ الإسلام: يحيى بن سعيد القطّان:

● قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة مائة وثمان وتسعين من الهجرة.

● «عن علي بن عبد اللَّه قال: كنا عند يحيى بن سعيد فقال لرجل: اقرأ. فقرأ ﴿حم﴾ الدخان، فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى بن سعيد يتغيّر، فلما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠] صعق يحيى ابن سعيد وغشي عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوّص وانقلب فأصاب الباب فقار ظهره، وسال الدم، وصرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب، حتى أفاق بعد كذا أو كذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ»[1].

* رياح بن عمرو القيسي:

أبو المهاجر ـ رحمه اللَّه ـ كان كثير الخشية والمراقبة، متألهًا كبير القدر.

قال علي بن أبي مريم: قال لي رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة.

● «قال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح، فقال: هلم يا أبا محمد؛ حتى نبكي على مرّ الساعات ونحن على هذه الحال. قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ، ثم خرّ مغشيًّا عليه، قال: فجلست واللَّه عند رأسه، فأفاق، فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك؟. قال: لنفسك فابك. ثم قال: وا نفساه وا نفساه، ثم غشي عليه. قال: فرحمته واللَّه مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو يقول: ﴿تِلْكَ

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٦٦).

إذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، ومضى على وجهه وأنا أتبعه ولا يكلمني، حتى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفق بابه، ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا حتى مات[١].

* الإمام الحافظ أبو عمر الطَّلمنكي أحمد بن محمد المعافري: «اقرءوا وأكثروا؛ فإني لا أتجاوز هذا العام»:

● قال ابن بشكوال في كتابه الصلة:

«كان ـ رحمه اللَّه ـ أحد الأئمة في علم القرآن العظيم لعظيم قراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه. وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله، وروايته وضبطه... حافظًا للسنن، إمامًا فيها، عارفًا بأصول الديانات، مظهرًا للكرامات على هدي وسنة.

وكان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات اللَّه.

وأخبرنا أبو القاسم بن بقي الحجاري، قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يومًا ونحن نقرأ عليه، فقال: اقرءوا وأكثروا؛ فإني لا أتجاوز هذا العام، فقلت له: ولم؟ قال: رأيت البارحة منشدًا ينشدني ويقول:

اغتنموا البِرَّ بشيخٍ ثوى يفقده السُّوقةُ والصِّيدُ[٢]
قد ختمَ العُمْرَ بعيدٍ مضى ليس له من بعده عيدُ

قال: فتوفي في ذلك العام»[٣] أي سنة تسع وعشرين وأربعمائة».

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠). (٢) الصيد: أعالي الناس.

(٣) الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ص(١٧٨ ـ ١٨٠) تحقيق د. الأحمدي أبو النور ـ مكتبة دار التراث.

* الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي:

من أعيان المذهب المالكي أصله من سَرَقُسْطة ثم استوطن «مراكش» بعد رحلته إلى الأندلس.

كان محدثًا مكثرًا ثقة، ضابطًا مقرئًا مجوّدًا، حافظًا للفقه ذاكرًا لمسائله عارفًا بأصوله.

اشتد كلفه بالعلم وحرصه عليه، وتواضع في التماسه شغفًا به، فأخذه عن الكبير، والصغير، والنظير، واستكثر من ذلك حتى اتسعت روايته، وجلّت معارفه.

وفي رحلته لمراكش عرفه أحد سراة «لمتونة» فرغب إليه أن ينقطع إلى صحبته.. وضمن له أن يعطيه ألف دينار ذهبًا مرابطية. فامتنع عن ذلك، وقال: «واللَّه لو أعطيتني ملء الأرض على أن أخرج عن طريقتي، وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم، ومداخلة الفقراء، والانخراط في سلكهم، ما رضيت» فعجب اللمتوني من علو همته.

وتولى أحكام مراكش، والصلاة بمسجدها، ثم أحكام بلنسية فكان بها قاضيًا... وكانت مواهب أبي يعقوب عبد المؤمن ـ أمير المؤمنين له جزيلة، وأعطياته مترادفة، وصلاته متوالية ـ، وربما وصله في المرة الواحدة بخمسمائة دينار، فلا يثبت عنده منها شيء، ولا يقتني منها درهمًا، ما اكتسب شيئًا قط من عرض الدنيا، ولا وضع مدرة على أخرى، مقتنعًا باليسير، راضيًا بالدون من العيش، مع الهمة العلية، على هذا قطع عمره إلى أن فارق الدنيا، ولم تكن همته مصروفة إلا إلى العلم وأسبابه.

وتوفي بمراكش في سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولم يخلف ـ رحمه اللَّه ـ لا دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمة ولا

عقاراً ولا ثياباً إلا أشياء لا قدر لقيمتها؛ لما كان عليه من المواساة والصدقة والإيثار ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[١].

*** الإمام أبو إسحاق الجبنياني البكري: عند موته ما وُجد عنده غير أمداد شعير في قلّة مكسورة:**

إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم أحد أئمة المسلمين، وأبدال أولياء اللَّه الصالحين.

كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، يحسن تفسير القرآن وإعرابه، وناسخه ومنسوخه، لم يترك حظه من دراسة العلم بالليل إلا عند ضعفه، قبل موته بقليل.

وكان أبو الحسن القابسي يقول: الجبنياني إمام يُقتدى به.

وكان أبو محمد بن أبي زيد يُعظّم شأنه ويقول: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت.

وكان إذا رُئي ذُكِر اللَّه تعالى من هيبته.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة تسع وستين وثلاثمائة، وسنه تسعون سنة، وما وجد له من الدنيا قليل ولا كثير غير أمداد شعير في قلة مكسورة[٢].

*** الإمام أبو إبراهيم التجيبي إسحاق بن إبراهيم بن مسّرة: «رأى أن الملائكة تتوفاه فمات»:**

من أهل الأندلس:

«كان خيراً فاضلاً ديّناً ورعاً، مجتهداً، عابداً، من أهل العلم والفهم،

---

(١) «الديباج المذهب» (١/ ٢١١ ـ ٢١٤).

(٢) «الديباج» (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

والدين المتين، والزهد والتقشف، والبعد من السلطان، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، حافظًا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، متقدمًا فيه، صدرًا في الفتوى، صلبًا في الحق، من الراسخين في العلم، وكان الحاكم أمير المؤمنين معظمًا له، وكان قليل الهيبة للملوك، متصرّفًا مع الحق حيثما تصرف. توفي إسحاق ليلة الجمعة من رجب سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وسنه خمس وسبعون سنة. رأى قبل موته أنه مات، وأن الملائكة تتوفاه، فخرجت رؤياه على وجهها[١].

* أسد بن الفرات العالم المجاهد:

كانت وفاة أسد بن الفرات أمير الجيش وقاضيه في حصار سرقوسة من غزوة صقلية سنة ثلاث عشرة ومائتين. للَّه دره من أمير جيش وعالمه وقاضيه، وهكذا يموت الربانيون[٢].

* الحافظ الشهيد أبو الربيع بن سالم الكلاعي الحميري:

الإمام سليمان بن موسى بن سالم.

كان بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس، حافظًا للحديث مبرّزًا في نقده، تام المعرفة بطرقه، خطيبًا بجامع بلنسية واستقضي فعرف بالعدل والجلالة.

وكان من أولي العزم والبسالة والإقدام، يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال، ويُبلي البلاء الحسن، آخرها الغزوات التي استشهد فيها سنة أربع وثلاثين وستمائة[٣].

---

(١) «الديباج» (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).
(٢) «الديباج» (١/ ٣٠٦).
(٣) «الديباج» (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ٣٨٨).

ما أطيب هذه الخاتمة. . وانظر إلى شعره الذي يعبّر عن رضا نفسه.

أمولى الموالي ليس غيرك لي مَوْلى ... وما أحد يا ربِّ منك بذا أولى
تبرأت من حولي إليك وقوتي ... فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك مُبتغى ... ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

* **أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن فرحون اليعمري: «ما أنا بغافل»:**

«كان من أكابر الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، عالمًا بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه، وكان بارعًا في علم العربية.

/أقام مدرسة للطائفة المالكية، وتصدّر للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، وناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة. وكان كهفًا لأهل السنّة.

وكان كثير التلاوة ليلاً ونهاراً.

وكان يُحيي غالبًا الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حداثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت ـ رحمه اللَّه ـ، وكان مواظبًا على الصلوات في الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة، وما يُفتح باب الحرم في السَّحَر إلا وهو على الباب. وحج نحو خمس وخمسين حجة.

● ولما حج آخر حجاته قال: هذه حجة الوداع. فلما أحس بالمرض أمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة وأوصى أن يعتق عند قبره عبيد، وأن يُتصدق على الفقراء بصدقة واسعة.

وأخرج من ماله وصايا وتبرعات وصدقات وأوقافًا نحو ثلاثين ألفًا، ووقف على الفقراء فرنًا تصرف غلته عليهم في كل يوم، وأعتق في حياته عدة عبيد وإماء.

وكان له خادم في الحرم تقرّب به لخدمة الضريح النبوي، وكان مطمئن

النفس بلقاء اللَّه عز وجل مستحضراً لما ينبغي استحضاره.

ولما دخل في السياق ذكّرته: فقال: ما أنا بغافل. توفي ـ رحمه اللَّه ـ يوم الجمعة سنة تسع وستين وسبعمائة[١].

*** الشيخ أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم الأزدي: «أهلاً بالنفس الطاهرة الزكيّة العالمة»:**

تلميذ أبي بكر الطرطوشي وأبي الطاهر السلفي. قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: كان فاضلاً، كان من زهّاد العلماء، وكبار الصالحين، فقيهًا فاضلاً، وجلس لإلقاء الدرس بعد الطرطوشي وألف كتابًا حسنًا في شرح المدونة في نحو ثلاثين سفراً سمّاه «الطراز».

● قال تميم بن معين البادسي ـ وكان من الفقهاء ـ: رأيت رسول اللَّه ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول اللَّه! اكتب لي براءة من النار، فقال لي: «امض إلى الفقيه سند يكتب لك براءة، فقلت له: «ما يفعل؟»، فقال: قل له: «بأمارة كذا وكذا» فانتبهت فمضيت إلى الفقيه سند، فقلت له: «اكتب لي براءة من النار»، فبكى وقال: «مَنْ يكتب لي براءة من النار؟!»، فقلت له الأمارة، قال: فكتب لي رقعة.

ولما أدركت تميمًا الوفاة أوصى أن تُجعل الرقعة في حلقة، وتدفن معه.

● قال الفقيه أبو القاسم بن مخلوف بن عبد اللَّه بن جارة: أخبرني من أثق به: أنه رأى الفقيه أبا علي سند بن عنان بعد موته، قال: فقلت له: «ما فعل اللَّه بك؟»، فقال: «عُرِضت على ربي، فقال لي: أهلاً بالنفس الطاهرة الزكية العالمة»[٢].

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٩).

(٢) «الديباج» (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

* القاضي أبو العباس عبد اللّه بن طالب بن سفيان التميمي: «اللّهم لا تمتني وأنا قاض»:

تفقّه بسحنون وكان من كبار أصحابه، ولم يكن شيء أحب إليه من المذاكرة في العلم.

قال ابن اللبّاد: ما رأيت بعيني أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر.

قال أبو العرب: كان عادلاً في قضائه، ورعًا في حكمه، قليل الهيبة في الحق للسلطان، وما سمعتُ العلم قطّ أحلى ولا أطيب منه من ابن أبي طالب.

● وكان يقول في قضائه: اللّهم لا تمتني وأنا قاض، فمات بعد عزله بنحو شهر.

وامتحن ـ رحمه اللّه ـ وسُجن وسقي سُمًّا. وقيل: إن السودان ركضوا بطنه حتى مات.

قال بعضهم: سمعته عند محنته وسجنه يقول ـ وهو مسجون ـ في سجوده ومناجاته ربه عز وجل: «اللّهم إنك تعلم أني ما حكمتُ بجورْ، ولا آثرتُ عليك أحدًا من خلقك في حكم من أحكامي ولا خفت فيك لومة لائم»[١].

* أبو محمد الأصيلي عبد اللّه بن إبراهيم: «أحسن جزائي في مصيبتي يا أرحم الراحمين»:

قال الدارقطني: حدّثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله!

وَلِي قضاء سَرَقسطة، وقام بالشورى بقرطبة، حتى كان نظير ابن أبي زيد

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٢٢).

بالقيروان وعلى هديه. توفي - رحمه اللَّه - يوم الخميس سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

● كان آخر ما سُمع منه حين احتُضِر: «اللَّهم إنك قد وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيبة عليّ أعظم من نفسي، فأحسن جزائي فيها يا أرحم الراحمين».

وكان كثيراً ما يذكر الأربعمائة، وما يكون فيها من الفتن ويدعو اللَّه عز وجل أن يقبضه قبلها، فأجاب اللَّه دعاءه(١).

* الإمام عبد العزيز بن أبي حازم الأعرج تُوفِّي في سجدة الجمعة:

واسم أبي حازم: سلمة بن دينار.

تفقّه عبد العزيز مع مالك على ابن هرمز، وسمع أباه، وزيد بن أسلم، ومالكًا.

روى عنه ابن وهب، وابن مهدي، وجماعة.

وكان إمام الناس بعد مالك وشوور معه، وقال مالك فيه: إنه لفقيه.

توفي بالمدينة فجأة في سجدة يوم الجمعة، في الروضة، بمسجد النبي ﷺ سنة أربع وثمانين ومائة(٢).

* أبو عثمان: عبد الحكم بن عبد اللَّه بن عبد الحكم: «دُخِّن عليه بالكبريت حتى مات في محنة خلق القرآن»:

سمع من أبيه، ومن ابن وهب وغيرهما من رواة مالك، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب، ولم يكن في أصحاب ابن وهب أتقن منه.

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٣٣ - ٤٤٤).

(٢) «الديباج المذهب» (٢/ ٢٣).

توفي بمصر في سجن يزيد التركي سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وقيل: إن موت عبد الحكم إنما كان بسبب المحنة في القرآن، وأنه دُخِّن عليه بالكبريت حتى مات، وأنه لم يرجع؛ فضُرِب نحو ثلاثين سوطًا في غلالة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ورضي عنه(١).

*** أبو حفص الإسكندري عمر بن أبي اليمن اللخمي «تاج الدين الفاكهاني»: «ومتى نسيت العهد حتى أَذْكُرَا»:**

كان فقيهًا فاضلاً، على حظ وافر من الدين المتين، والصلاح العظيم، واتباع السلف الصالح وله شرح «العمدة» في الحديث لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته.

توفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بالإسكندرية في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

● لما حضرته الوفاة جعل بعض أقاربه، يتشهد بين يديه، ليذكره، ففتح عينيه وأنشد:

وغدا يُذكّرني عهوداً بالحِمَى ... ومتى نسيت العهد حتى أذكُرا؟

ثم تشهّد وقضى نحبه(٢).

*** أبو الفضل الممسي العباس بن عيسى بن محمد يموت شهيداً:**

كان فقيهًا فاضلاً عابدًا. أثنى عليه أهل مصر، سمع من موسى القطّان. وكان يتكلم في علم مالك كلامًا عاليًا. وكان من أهل المروءة، والصيانة. وألفّ الأحدابي في فضائله. قال أبو عبد اللَّه الأحدابي: كان أبو الفضل صالحًا قوّامًا صوامًا ورعًا حافظًا للفقه، والحجة لمذهب مالك.

---

(١) «الديباج المذهب» (٢/ ٤١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨١ ـ ٨٢).

وقال أبو محمد بن أبي زيد ـ عند قتل أبي الفضل ـ وددت أن القيروان سُبِيَت ولم يُقتل أبو الفضل. وكان يثني عليه جدًّا.

• لما انصرف ـ رحمه اللَّه ـ من رحلته لزم الانقباض والنسك إلى أن مات قتيلاً شهيدًا سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وهو على حالته من الاجتهاد، وكان من علو الهمة والنزاهة على غاية.

• قال ابنه محمد: كان أبي لا يدخل أحد مرحاضه سواه، وفيه آنيته، وجميع ما يحتاج إليه، ومفتاحه معه، فيوم قُتِل سمعنا آنيته انكسرت فيه ولها وجبة، فقالت الوالدة: أعطانا اللَّه خيرها! فإذا بها الساعة التي استشهد فيها ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[١]

* الشيخ أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم:

شارك أباه في رحلته، وشيوخه، وعُنِي هو وأبوه بجمع الحديث واللغة، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين في الأندلس، وكان قاسم عالمًا بالفقه والحديث، مقدّمًا في المعرفة بالغريب[٢] ، والنحو، والشعر، ورعًا ناسكًا، مجاب الدعوة.

• سأله الأمير أن يليَ القضاء، فامتنع، فأراد أبوه أن يكرهه عليه، فسأله أن يمهله ثلاثة أيام يستخير اللَّه تعالى، فمات في الثلاثة أيام! فكانوا يروْن أنه دعا على نفسه بالموت[٣] .

(١) «الديباج» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣١).

(٢) له كتاب «غريب الحديث» رواه عنه ابنه، وهو كتاب حسن مشهور، قال الحميدي: ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأثنى عليه، وقال: ما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر. و«شآه» أي: سبقه.

(٣) «الديباج» (٢/ ١٤٧).

*** الإمام الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسي: «يموت مطعونًا وهو يتلو القرآن»:**

أخذ الفقه على البلقيني وابن الملقن، واللغة على مجد الدين صاحب القاموس، والحديث على الزين العراقي والبلقيني وابن الملقن.

● قال السخاوي عنه: كان إمامًا علاّمة حافظًا خيّرًا ديّنًا ورعًا متواضعًا، وافر العقل حسن الأخلاق متخلّقًا بجميل الصفات، محبًا للحديث وأهله، متعففًا عن التردد إلى بني الدنيا قانعًا باليسير، طارحًا للتكلف رأسًا في العبادة والزهد والورع، مديم الصيام والقيام، مواظبًا على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظًا لكتاب الله كثير التلاوة له، صبوراً على الإسماع ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر، عرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصر على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحد من قاضييها الشافعي والحنفي من تلامذته.

لما دخل التقي الحصني حلب أتى إليه الحافظ إبراهيم وقال له: لعلك التقي الحصني، ثم سأله عن شيوخه فسمّاهم. فقال له: إن شيوخك الذين سمّيتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطّ أنت عليه. فما وسع التقي إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر أن يردّ عليه. ولم يزل على جلالته وعلوّ مكانه حتى مات مطعونًا سنة ٨٤١ وهو يتلو[١] .

*** الإمام أحمد بن عبد الله بن بدر العامري الغزي الدمشقي يموت مبطونًا:**

برع في الفقه وأصوله، واشتهر برئاسة الفتوى بدمشق، وله تصانيف

---

(١) «البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن التاسع» للشوكاني (١/ ٢٨ ـ ٣٠) ـ دار المعرفة.

منها: «شرح جمع الجوامع»، و«شرح مختصر المهمات للأسنوي» في خمسة أسفار وجاور بمكة ثلاث سنين متفرقة، وكانت وفاته بها مبطونًا سنة ٨٢٢.

قال ابن حجر في أنبائه: وبلغني أن صديقه النجم المرجاني رآه في النوم. فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ فتلى عليه ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية[1].

*** السلطان محمد بن أبي عامر المعافري الحاجب المنصور: «يجمع غبار معاركه ليصير في حنوطه»:**

نسيج فريد بين الرجال تولى الحكم في أصعب الفترات في حياة الأندلس فتصدى لرفع راية الجهاد في سبيل اللَّه، وقاد الحرب طوال حياته، فأحرز من الانتصارات ما لم يحصل عليه رجل في الأندلس ووصل في غزوه إلى «شنت ياقب» أعظم مدن النصارى.

يقول صاحب «البيان المغرب»: «كان من قوة رجاء المنصور، أنه اعتنى بجمع ما علِق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده؛ فكان الخَدَم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له صرة ضخمة عَهِد بتصييره في حنوطه، وكان يحملها حيث سار مع أكفانه، توقعًا لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب كسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته، وكان يسأل اللَّه تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان كذلك».

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيون تراه
تاللَّه لا يأتي الزمان بمثله أبدًا ولا يحمي الثغور سواه

هكذا كُتب على قبره لما دُفِن بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته[2].

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٧٥).

(٢) «البيان المغرب» (٢/ ٤٣٠).

*** السلطان مراد فاتح البلغار والبوسنة والهرسك: «يسأل اللَّه الشهادة قبل معركة قوص أوه فينالها»:**

هذا البطل العظيم الذي فتح اللَّه على يديه جميع البلاد البلغارية، ووقع في أسره ملك البلغار شيمان. هذا الملك العظيم الذي أدّب لازار ملك الصرب وأمراء البوسنة والهرسك، وفتح بلاد البوسنة في معركة قوص أوه اسمع خبر موته وهو واللَّه أطيب من الشهد:

كانت الليلة التي سبقت وقوع مركة «قوص أوه» الحاسمة، ليلة بلغت فيها القلوب الحناجر، وأقبل السلطان مراد نحو ربه عز وجل يلحّ عليه في الدعاء ويستنزله النصر للإسلام والمسلمين، وأن يرزقه الشهادة في سبيله.

وينقل المؤرخ التركي عبد القادر داده أوغلو في كتابه: «التاريخ العثماني المصور» نص دعاء السلطان مراد، في تلك الليلة على النحو التالي: « إلهي ومولاي، تقبّل دعائي وتضرّعي، وأنزل علينا برحمتك غيثًا يطفئ من حولنا غبار العواصف، واغمرنا بضياء يبدّد من حولنا ظلمات الليل البهيم، حتى نتمكن من إبصار مواقع عدونا، فنقاتله في الغد في سبيل دينك العزيز.

إلهي ومولاي، إن الملك والقوة لك، تمنحهما لمن تشاء من عبادك، وأنا عبدك العاجز الفقير إلى رحمتك، تعلم سري وجهري، وأقسم بعزتك وجلالك أنني لا أبتغي من جهادي حطام الدنيا الفانية، ولكنني أبتغي رضاك ولا شيء غير رضاك.

يا رب اجعلني فداءً للمسلمين جميعًا، ولا تجعلني سببًا في هلاك أحد من المسلمين في سبيل غير سبيلك القويم، ونجّهم يا رب من الوقوع في أسر الكافرين، وانصرهم على عدوهم.

إلهي ومولاي، إنْ كان في استشهادي نجاة لجند المسلمين، فلا تحرمني الشهادة في سبيلك لأنعم بجوارك، ونعم الجوار جوارك.

إلهي ومولاي، لقد شرفتني بأن هديتني إلى طريق الجهاد في سبيلك فزدني تشريفًا بالموت في سبيلك».

ويروي المؤرخ التركي «خوجا سعد الدين» في كتابه «تاريخ التواريخ» أن السلطان المؤمن أمضى الليل كله وهو يدعو بمثل هذا الدعاء، حتى إذا بزغ الفجر، وأذن المؤذنون لصلاة الفجر، هرع جند الإسلام يؤدونها، ويرددون وراء قائدهم الدعاء في هديرٍ شقّ سكون الليل، ووصلت أصداؤه إلى جموع الكافرين، تزلزل أقدامهم، وتوقع الخوف في أفئدتهم.

وصدق السلطان المؤمن ربه، فصدقه ربه وعده؛ فنصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وقُتل لازار ملك الصرب، واختار اللَّه السلطان مراد شهيداً في سبيله عز وجل، بضربة خنجر من جندي صربي، أصابت من السلطان مقتلاً وهو يتفقد جرحى المسلمين في المعركة.

للَّه درك من سلطان، وبوركت روحك في رحاب اللَّه إن شاء اللَّه مع النبين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

* أستاذ الأستاذين وشيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني: «خرجت روحه عند قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾»:

● قال الحافظ السخاوي:

«فكان ابتداء مرضه ـ في ذي القعدة من سنة اثنين وخمسين وثماني مئة بعد أن بلغني أنه قصّ على جماعة مجلس الإملاء في ربيع الأول من السنة التي توفي فيها، أنه رأى في المنام بعض الرواة، وأظنه أبا مصعب، وأنه قدّم إليه مائدة فيها عشرة أرغفة، العاشر منها مكسور منه شيء يسير، فأوّله له بعض الحاضرين بعشر سنين تفاؤلاً، فما كان إلا دون عشرة أشهر ومات[1].

---

(١) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٣/ ١١٨٥) ـ دار ابن حزم.

وتزايد الألم بالمعدة، وصار يحس بشيء ثقيل على معدته، بحيث كان يقول: هذه بقايا الغبن من سنة تسع وأربعين وتوابعها، وينشد قول الفرزدق.

قوارضُ تأتيني ويحتقرونهـــا وقد يملأ القَطْرُ الإنـــاء فيفعـــمُ

وقال سبطه أنه أنشده في مرضه هذا:

عـــمـــارة الجســـم نَفَـس وهَـدْمُـــه إذا احـتـبـس

ولم يترك ـ رحمه اللَّه ـ جمعة، بل ولا جماعة. نعم، لم يستطع صلاة عيد الأضحى، وكان يوم الثلاثاء بعد أن سمعنا عليه «فضل عشر ذي الحجة» لابن أبي الدنيا يوم عرفة، وهو آخر شيء سمعناه، بل سُمِع عليه مطلقًا.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد استشعر بالوفاة بحيث كان إذا أخبر بالمنامات وشبهها مما يدل على رجاء صحته وحصول برئه، يقول: أما أنا، فلا أراني إلا في تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرُب، ثم ينشد:

ثاء الثلاثين قد أوهت قوى بدني فكيف حالي في ثـــاء الثمانينا

ويقول: اللَّهم حرمتني عافيتك، فلا تحرمني عفوك.

بل سمعت شيخنا بعد وفاة مُستملي مجلسه الزين رضوان ـ وكانت في رجب سنة وفاته ـ يقول: هذه أمارة الرحيل.

وتردّد الأطباء للحافظ، ولم يكن يرى استخدام أهل الذمة في ذلك، بل سمعته مرارًا يقول ـ وأظنه لغيره ـ أيَأتمن المسلمون على أموالهم وأبدانهم أعداءهم.

ثم عظم الكرب واشتد الخطب، وهرع الناس كبارهم وصغارهم، من الأمراء والقضاة العلماء والمباشرين والطلبة والصلحاء أفواجًا أفواجًا لعيادته، واستغاثوا مبتهلين إلى اللَّه تعالى في طلب عافيته.

ومِمّن جاء لعيادته الشيخ مدين، وأحضر له كتابًا كان في عاريته، وعُدَّ

هذا من مكاشفاته.

وفي يوم الثلاثاء أطال قاضي المالكية وجماعة الجلوس معه، واستأنس به، وبعد أن ظهروا استدعى بالوضوء، وأخذ يتوضأ، فما تمكن، ومن يومئذ اشتد مرضه جدًّا، بحيث صار يصلي الفرض جالسًا، وترك قيام الليل، وصُرِع يوم الأربعاء، ثم تكرر ذلك منه، وسُمِع منه يوم الجمعة عند الأذان لها إجابة المؤذن.

وكانت وفاته ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة، بعد العشاء بنحو ساعة رمل، بعد أن جلس حوله سبطه ومِنْ جماعته الفخر بن جَوْشن، والشيخ شمس الدين السنباطي، والشهاب الدوادار، وقرؤوا عنده سورة ﴿يس﴾ مرة، ثم أعيدت إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ثم مات.

وتولى السنباطي المذكور تغميضه، وأخذ ولدُه يوم السبت في تجهيزه، فغُسل بحضرة الشيخ زين الدين البُوتيجي، ويقال: إنه لم يخرج منه كثير شيء[1] نعم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ومن أولى بهذا من الحافظ ابن حجر الذي اختلط حب القرآن والسنة بدمه».

قال الحافظ السخاوي: «بلغني عن الشمس الدميري ـ أحد الموقِّعين ـ أنه رأى ليلة وفاة الحافظ ابن حجر أن البحر قد نشف، ولم يبق منه إلا مقدار مجراة فيها ماء يسير، بحيث أنه توضأ منه، فصار يصعد معه الرمل لقلّته. قال: فلما أصبحتُ سمعت بموته.

● وبلغني عن البرهان التَرَقِّي ـ أحد الموقعين بالدَّست ـ أن زوجته استيقظت صبيحة الليلــة التي تُوفي فيها الحافــظ ابن حجر، ولم تكن علمت بموته وهي مرعوبة، وقالت: سمعت قائلاً يقول: الصلاة على شيخ

---

(١) «الجواهر والدرر» (٣/ ١١٨٧ ـ ١١٩٣).

من آل بيت النبوّة.

• وبلغني عن بعض الأعيان المعتبرين ممن أخذت عنه أنه رأى عقب وفاته كلا من الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعيّ والليث بن سعد الفهمي أعاد اللَّه علينا من بركاتهما، وهما في همّة، وأنه سألهما أو أحدهما أو واحدًا ممن حضر عن سبب ذلك، فأجيب بالاهتمام بضيافة ابن حجر ـ رحمة اللَّه عليهم أجمعين ـ.

• وأخبرني العلاّمة الزين قاسم الحنفي أنه رآه بعد موته، وسأله عن حاله، فقال: بشَّرني بشّرني بشَّرني، وكررها، ومدّ يده. قال: قلتُ له: طيِّب طيب، أو كما قال.

• وأخبرني الشيخ برهان الدين بن سابق نزيل المنكوثمرية وإمامها أنه رأى وهو ببيت المقدس الحافظ ابن حجر في المنام وعليه حلّة بيضاء حرير، بطائنها من ذهب يلمع، وعلى رأسه عمامة بيضاء في هيئة لم يُرَ أبهج منه فيها، وأنه ناوله شيئًا، وأمره بالسلام على أهل بيته»[1].

*** قاضي طرابلس أحمد بن أبي بكر بن منصور الإسكندريّ: «يكرر الشهادة نحو ثلاثين مرة عند موته»:**

• قال الذهبي: فاضل متفنن عارف بالمذهب يتعانى بالتجارة مع رأي جيد وحزم.

• وكان شجاعًا وعنده عُدد لقتال الفرنج.

قال الذهبي: كتب إليّ شهاب الدين بن مري أن شمس الدين لما احتضر اجتمعنا حوله فأظهر فرحًا واستبشارًا وكرّر كلمتي الشهادة، وقال: ساعدوني وآنسوني فإن للنفس انزعاجًا عند الفراق، وإذا رأيتموني مت مسلمًا فاشكروا

(١) «الجواهر والدرر» (٣/ ١٢٠٠ ـ ١٢٠٢).

ربكم على الهداية لهذا الدين العظيم، ثم كرّر الشهادة نحو ثلاثين مرة ومات[١] .

*** الشيخ المنفلوطي محمد بن إبراهيم وليّ الدين الديباجيّ: «انزعوا عني ثيابي فقد أُحضِرت لي ثياب من الجنة»:**

● قال عنه الحافظ ابن حجر:

«كان يعرف بابن خطيب ملوي. تفقّه بأبيه وغيره ونشأ على قدم صدق في العبادة والأخذ عن أدب الشيوخ، وله اليد الطولى في المنطق والأصلين والفقه والتصوف، كثير التواضع والانطراح، كثير الإنصاف خبيراً بدينه ودنياه.

● ونقل العثماني الصفديّ قاضي صفد في «طبقات الشافعية» أنه حصل له عند موته ما يدل على نجاته، وأنه قال: «انزعوا عني ثيابي فقد أُحضِرت لي ثياب من الجنة»، أو نحو من هذا الكلام»[٢] .

*** الإمام ابن قبيلة الشافعي: محمد بن عوض البكري: «مات وهو يصلي الصبح»:**

قُبض ـ رحمه اللّه ـ بدهروط وهو يصلي الصبح في سنة ٧٧٤[٣] .

*** إمام الحفاظ المقدم أبو الحجّاج المزّي يموت وهو يقرأ آية الكرسي:**

الإمام يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف مشيخته نحو ألف شيخ، وأخذ عن النووي. وهو صاحب «تهذيب الكمال».

---

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).
(٢) «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٩٥).
(٣) «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٤٤).

قال الذهبي: كان خاتمة الحفّاظ وناقد الأسانيد والألفاظ وهو صاحب معضلاتنا وموضح مشكلاتنا، كان خَيِّرًا ذا ديانة وسلامة باطن. وفيه حياء وحلم وسكينة. مات سنة ٧٤٢ وهو يقرأ آية الكرسي ثم دُفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن تيمية(١) .

* **الشيخ جمال الدين التبريزي : «مات في آخر سجدة من صلاة الظهر»:**

أسلم على يديه أهل جبال كامر وهي جبال متصلة بالصين وتتّصل ببلاد التبت.

كان نحواً من أربعين سنة يسرد الصوم، وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله.

قال ابن بطوطة: «أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم ـ استدعى أهل الجبال ـ قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى اللّه، وقال لهم: إني أسافر عنكم غدًا إن شاء اللّه وخليفتي عليكم اللّه الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه اللّه في آخر سجدة منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرًا محفورًا عليه الكفن والحنوط، فغسّلوه وكفّنوه وصلوا عليه ودفنوه به».

● كتب ـ رحمه اللّه ـ إلى الشيخ بهاء الدين الملتاني كتابًا قال فيه: «يا أخي! من شرب من بحر مودته يحيى حياة لا موت بعدها، ومن لم يذق مِن صافي المحبة يخرج من الدنيا كالبهائم صفر اليدين، وإذا مات صار جيفة ومات موتًا لا حياة بعده، كما قال أصدق القائلين: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ**

---

(١) «الدرر الكامنة» (٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧).

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾(١)

* الفقيه اليمني العلامة الزاهد، الورع القانت حاتم بن منصور الحملاني: «مات وهو يصلي صلاة التسبيح»:

كان ـ رحمه اللّه ـ عالمًا عاملاً ورعًا تقيًّا فاضلاً رأسًا في العبادة وإمامًا يُقتدى به في الزهادة. أستاذ أهل زمانه في الفقه والأُصولين، وعنه أخذ الزاهد الشهير إبراهيم الكينعيّ، وكان لا يدّخر شيئًا لغده.

قال تلميذه الكينعي في نعته:

صلى حاتم زهاء أربعين سنة إمامًا، ما ترك صلاة واحدة في جماعة ولا سجد للسهو في جميع هذه المدة إلا ست مرّات. وكان لا يدع البكاء في الصلاة مطلقًا. اهـ.

وقال في «الطبقات»: روى الثقة أنه قُبضت روحه وهو يصلي صلاة التسبيح مستلقيًا من المرض(٢) .

مات سنة ٧٦٥ ـ رحمه اللّه ـ.

* السَّمهودي يموت شهيداً تحت هدم عقب صلاة المغرب وقراءة سورة الواقعة:

عبد اللّه بن أحمد بن أبي الحسن السمهوديّ الشافعي.

ناب في قضاء بلده عن الجلال البلقيني فمن بعده. ولم يكن يصرف شيئًا من أوقاته في غير عبادة مع الورع التام.

ومات شهيدًا تحت هدم عقب صلاة المغرب وقراءته سورة الواقعة سنة

(١) «الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام» للشيخ عبد الحي الندوي (٢/ ٢١ ـ ٢٣).
(٢) «ملحق البدر الطالع» (١/ ٦٧).

ست وثمانمائة[١] .

*** البهاء الكازروني رئيس المؤذنين بمكة آخر كلامه النطق بالشهادتين:**

● عبد اللَّه بن علي بن عبد اللَّه البهاء الكازروني رئيس المؤذنين بمكة.

صح عن من حضره وقت الاحتضار أنّه سمعه وهو في النزع يقول: أنا ما أعرفك يا شيطان، أو أنت الشيطان، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه، ثم فاضت روحه. ولعل ذلك ثمرة ذكره للَّه في الأسحار[٢] .

توفي سنة ثمان وثمانمائة.

*** ابن العطار يحيى بن أحمد التنوخي القاهري الشافعي: «يذكر اللَّه ويتبسم ويخبر برؤية الخضرة والياسمين»:**

كان يحيى أديبًا فاضلاً متفننًا ذكيًّا، ذا عقل وافر، وهيئة لطيفة نورانية ظاهرة وحشمة وسكون وهمة عظيمة مع من يقصده.

قال البقاعي: مات على حالة حسنة، أُخبرت أنه ما زال يذكر اللَّه جهرًا فلما عجز صار سرّاً حتى طلعت روحه مع التبسّم والإخبار برؤية الخضرة والياسمين. مات ـ رحمه اللَّه ـ ولم يخلّف بعده مثله في كل خصلة من خصاله مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة[٣] .

* * *

---

(١) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (٥/ ٥ ـ ٦).
(٢) «الضوء اللامع» (٥/ ٣٤).
(٣) «الضوء اللامع» (١٠/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

* ابن عنان الشافعي العالم الصالح الناسك يموت بعد الصلاة:

قال نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»:

كان سيدي محمد بن عنان ممّن اشتهر بالجد في العبادة والاجتهاد في الطاعة وقيام الليل وحفظ الأوقات من التضييع.

● وكان لا يترك قيام الليل صيفًا ولا شتاء من حين كان صغيراً، وكان يتهيأ لقيام الليل من صلاة العصر فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يصلي الوتر بعد العشاء فإذا قام للتهجد من الليل لا يتجرأ أحد أن يكلمه حتى يصلي الضحى.

وكان على وضوء دائمًا وكان يقول: من ادعى مجالسة اللَّه عز وجل وهو يمكث على حدث لحظة واحدة فهو قليل الأدب.

● قال الشيخ عبد الوهاب: لما حضرته الوفاة فوق سطوح جامع باب البحر بخط المقسم مات نصفه الأسفل فصلى وهو جالس بالإيماء، فلما فرغ من الصلاة أشار إليّ أضجعوني فأضجعناه فما زال يهمهم بشفتيه والسبحة في يده حتى كانت آخر حركة يده وشفته طلوع روحه(١) .

* إبراهيم أحد موالي الروم:

العالم العامل المولى الأجل كان والده من سادات العجم ومن أكابر أولياء اللَّه.

● كان إبراهيم منقطعًا عن الناس في العلم والعبادة زاهدًا ورعًا يستوي عنده الذهب والمدر. وكان متواضعًا خاشعًا.

لما كان في مرض موته وهو قريب من الاحتضار فتح عينيه، فقال: «إن

---

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٣٩ ـ ٤٠).

اللَّه تعالى كريم لطيف شاهدت من كرمه ولطفه ما أعجز عن شكره». ومات في تلك الليلة[١] .

* الشيخ الإمام شيخ الفقهاء وأستاذ الأولياء الشيخ علي بن عطية ابن علوان الهيتي الشافعي:

الشيخ علوان ممن أجمع الناس على جلالته وتقدمه وجمعه بين العلم والعمل وانتفع به الناس وبتآليفه في الفقه والأصول.

وقال عنه محدث حلب زين الدين بن الشماع الحلبي: أقمت عند شيخ الوقت سيدي علوان الشافعي فأكرمني وأنزلني في خلوته، وسمعت منه أشياء، وقد أذكرني حاله قول علي بن الفضيل بن عياض لأبيه: يا أبة ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ !، قال: يا بني: وتدري لِمَ حَلِي؟ قال: لا، قال: لأنهم أرادوا به اللَّه تعالى، وكذلك أقول في سيدي علوان.

كانت وفاة الشيخ علوان بحماة سنة ست وثلاثين وتسعمئة.

• قال ولده سيدي محمد في «تحفة الحبيب»: وقد أخبرني بموته قبل حلول مرضه.

قال: وفي يوم موته طلب أن يتيمم، ثم دخل في الصلاة فبينما هو عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذ خرجت روحه، أو وصلت إلى الغرغرة. مات وقد قارب الثمانين، وصُلِّي عليه غائبة بعد صلاة الجمعة بالجامع الأموي، وعرض خطيبه الجلال البصروي لذكره في الخطبة فانتحب الناس بالبكاء عليه[٢] .

---

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٣ ـ ٨٤).
(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٠٦ ـ ٢١٣).

*** الشيخ العلاّمة شرف الدين العيثاوي لا هَمّ له إلا السؤال عن الأذان:**

الفقيه يونس بن عبد الوهاب العيثاوي.

قال صاحب «الكواكب السيارة»: حدثني شيخنا - ولده - أنه كان في مرضه الذي مات فيه لا يجري على لسانه غير السؤال عن الأذان ثم يشرع في الصلاة حتى مات - رحمه اللّه تعالى -[1] .

*** السلطان العادل المجاهد محمود بن محمد الكجراتي: «اللّهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهّله واجعله من رياض الجنة»:**

السلطان محمود بيكره كان من خيار السلاطين، وقام بالملك سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

فتح قلعة بيت ودواركا وفيها صنم من أشهر أصنام المشركين في الهند يحجون إليه.

● ومن مآثره الجميلة قيامه بالعدل والإحسان وإنفاذ أمر الشرع في السياسة.

ومن مكارمه قيامه بتربية العلماء والصالحين وقيامه بتعمير البلاد، وتأسيس المساجد والمدارس، وتكثير الزراعة وغرس الأشجار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك.

● وفي مرض الموت فتح القبر وجلس عنده، وقال: «اللّهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهله واجعله من رياض الجنة، ثم ملأه فضة وتصدّق بها[2] .

---

(١) «الكواكب السائرة» (٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

(٢) «الإعلام» للندوي (٤/ ٣٠٤ - ٣١٠).

*** السلطان الفاضل العادل مظفر الحليم الكجراتي: «شرعت بقراءة معالم التنزيل، إلا أني أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء اللَّه تعالى»:**

السلطان المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد الكجراتي صاحب الرياستين قام بالملك سنة ٩١٧هـ.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «المسلمون في الهند»:

ومنهم السلطان الفاضل العادل، المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتي، الذي روى عنه التاريخ من نوادر الإخلاص والإيمان، والاحتساب والتقوى، والعمل بالعزيمة، والعدل والإيثار، والحمية في الدين، والتبحر في العلم، ما يندر وجوده في سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلاً عن الملوك والسلاطين.

● كان يقتفي آثار السنة السنية في كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكثيرًا ما يذكر الموت ويبكي.

● وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى المحل واضطجع إلى أن زالت الشمس، فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتي الوضوء وقام من مصلاه إلى بيت الحرم، واجتمعت النسوة عليه آيسات باكيات يندبن أنفسهن حزنًا على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر، وفرق عليهن مالاً، ثم ودّعهن واستودعهن اللَّه سبحانه، وخرج وجلس ساعة، ثم استدنى منه راجه حسين المخاطب بأشجع الملك وقال له: قد رفع اللَّه قدرك بالعلم، أريدك تحضر وفاتي وتقرأ عليّ سورة ﴿يس﴾ وتغسلني بيدك وتسامحني، ثم سمع أذانًا فقال: أهو الوقت؟ فأجاب أسد الملك: هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة قبل الوقت، فقال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء اللَّه تعالى، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا اللَّه سبحانه

بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقام من مصلاة وهو يقول: استودعك اللَّه، واضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة، وقال: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفي ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد[١].

● قال الشيخ أبو الحسن الندوي:

«قال السلطان حليم - في مرض وفاته - تحديثًا بنعمة اللَّه -: «ما من حديث رَوَيْته عن أستاذي المسند العالي «مجد الدين» بروايته عن مشايخه، إلا وأحفظه، وأسنده، وأعرف لراويه نِسْبَته، وثقته، وأوائل حاله إلى وفاته. وما من آية، إلا وقد مَنّ اللَّه عليّ بحفظها، وفَهْم تأويلها، وأسباب نزولها، وعِلْم قراءتها. وأما الفقه، فإني أستحضر منه ما أرجو به مفهوم «مَن يُرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدِّين». ولي مدة أشهر أصرف وقتي باستعمال ما عليه الصوفية[٢] وأشتغل بما سنّه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل: «مَنْ تشبّه بقوم فهو منهم». وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللاً بعسى ولعلّ وكنت شرعت بقراءة «معالم التنزيل»، وقد قاربتُ إتمامه، إلا أني أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء اللَّه تعالى.

وفاضت روحه، وهو يدعو بدعاء يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام»[٣].

---

(١) «الإعلام» (٤/٣١٦ - ٣٢٥).

(٢) يعني: الزهاد والفقراء لا المبتدعة المشعوذين.

(٣) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي ص(٥١ - ٥٣).

يا ملكا أيامه لم تزل لفضله فاضلة فاخرةْ
ملكت دنياك وخلّفتها وسرتَ حتى تملك الآخرةْ

* الشيخ محمد بن أحمد ابن عبد الهادي العمري: «ديننا حق ودينكم شك»:

● «كان من خير خلق اللَّه، مهاب الشكل، عليه نور الولاية والصلاح، وله وقائع وكرامات كثيرة جدًّا، وكان يُستسقى به الغيث.

● وكان تمرّض مدة طويلة، وأخبرني بعض الإخوان أنه قبل أن يموت بيومين أُسكت فلم يتكلم بشيء إلا صبيحة وفاته فسمعه ابنه الشيخ محمد يقول: ديننا حق ودينكم شك، قال: فقال له: يا سيدي: ألست عن ربك براض؟ فقال: بلى، وكان هذا آخر كلام قاله»(١).

* شيخ الإسلام نجم الدين الغزّي صاحب «الكواكب السائرة»: «بالذي أرسلك ارفق بي»:

الشيخ محمد بن محمد بن محمد محدث الشام ومسندها.

جلس تحت قبة النسر بالجامع الأموي سبعة وعشرين عامًا لإقراء الناس الحديث.

● وقع له قبل موته بيومين أنه طلع إلى بساتينه أوقاف جده واستبرأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة، وفي اليوم الثاني دار على أهله ابنته وابنتها وغيرهم وزارهم، وأتى إلى منزله وصلى المغرب، ثم جلس لقراءة الأوراد وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ في ذكر لا إله إلا اللَّه وهو مستقبل القبلة، ثم سُمع منه، وهو يقول: بالذي أرسلك ارفق بي فدخلوا

(١) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لفضل اللَّه المحبي (٣/ ٣٩٣ _ ٣٩٤).

عليه فرأوه قد قضى نحبه ولقي ربه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[(١)] .

* الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفيّ:

قال ـ رحمه اللَّه ـ عند حالة نزعه: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، بسم اللَّه الرحمن الرحيم، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتم الرسل الكرام الذي هدانا ودلّنا على سبيل اللَّه، أشهد اللَّه عليّ وملائكته بأني أشهد أن لا إله إلا اللَّه، آمنت باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من اللَّه تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم[(٢)] .

* الفقية الصالح الحسن بن صالح الحداد الصنعاني المؤذن :«آخر كلامه أشهد أن لا إله إلا اللّه»:

رأس أهل العبادة والاجتهاد، كهف الضعفاء والأرامل، المؤذن بجامع صنعاء.

● لما حضرته الوفاة قال: أسندوني أصلي العصر فصلاّها، ثم سلم والتفت يمينًا وشمالاً ورفع أصبعه السبّابة، وقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه ففاضت نفسه سنة ١١٩٥، ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وإيانا آمين[(٣)] .

* الإمام الزاهد الصوّام القوّام محمد الكبير السرغيني:

ولي الخطبة والإمامة والتدريس بجامع الحمراء بفاس. اختصر صحيح مسلم.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ من أهل المجاهدة في العلم والدين والمحافظة على

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/١٨٩ ـ ٢٠٠).

(٢) «خلاصة الأثر» (٤/٤٠٩ ـ ٤٢٣).

(٣) «ملحق البدر الطالع» (٢/ ٧٠ ـ ٧٢).

اتباع السنة وطريق المهتدين. وكان ـ رحمه اللَّه ـ ينكر البدع، ويقول: من أظهر بدعة أخمد سنّة. يقول الشيخ محمد بن الطيب القادري في كتابه «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»:

«حدثني تلميذه الأخ في اللَّه الفقيه الدِّيِّن التقي سيدي عبد الوهاب بن محمد الدرعاوي، وكان ممن يلازم مجلس درسه، أنه رآه بعد موته في النوم، فقال له: ما فعل اللَّه بك يا سيدي؟ فقال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة أنا ومن اجتمع عليّ.

• واتفقت لي رؤيته بعد موته، وقبل الشروع في غسله فرأيت في وجهه ضحكة بيِّنة جدًّا مع ما لا يوصف من الجمال والبهاء. والحاصل أني لم أر مثله ولم أر بعدُ في اتباع السنة والحرص على إحيائها مثله[1] .

* موت صالح:

• قال أبو الفضل الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها، إذْ طلع أعرابي جِلْف جاف، على قَعود[2] له، متقلد سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: ممّن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: مِن موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل عليّ شيئًا منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: أي

---

(١) «نشر المثاني» (٤/ ٨٤ ـ ٨٩).
(٢) الناقة.

والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطّعها بجلدها، وقال: أعنِّي على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلها تحت الرحل، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفاراً، فسلم عليّ وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول اللَّه عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾، فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان اللَّه، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدّقوه حتى ألجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت فيها روحه[1].

* أبو عبد اللَّه الحربي الزاهد: «اللَّهم اقبضني إليك ولا تفتني»:

● عن إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال: كنا نتجالس في الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا. ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل «الحربية»، فسألناه عن كنيته، فقال: أبو عبد اللَّه. فرغبنا في مجالسته ورأيناه مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زمانًا، ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٨٢)، و«كتاب التوابين» لابن قدامة ص(٢٧٩).

كان مجلسنا عامرًا بأبي عبد اللَّه، وقد صار موحشًا، فوعد بعضًا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية وكنا عددًا، فجعلنا نستحيي أن نسأل عن أبي عبد اللَّه، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتاب، فقلنا: أبو عبد اللَّه؟ فقالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته، الآن يجيء.

فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة، وعلى كتفه أطيار مذبّحة وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسّم، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسك، فما غيّبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم:

كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذي كنت آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطنه، فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزقكم اللَّه عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البواري[1] فبسطها لنا، فقعدنا، فدخل إلى المرأة فسلّم إليها الأطيار المذبحة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: أنا آتيكم إن شاء اللَّه عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا.

فجاء وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيّأته، فقدّم إلينا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا؟ ألا تُغيّرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة؟ فقال أحدهم: عليّ خمسمائة، وقال الآخر عليّ ثلاثمائة.

وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا

(١) الحصير.

ونسأله أن يغيّر بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبانًا، فمررنا بالمرْبد، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له، فقال: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم فجئت فدخلت عليه، فسألني عن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث. فقال: أنا أسبقكم إلى بره؛ يا غلام ائتني ببدرة دراهم، فجاء بها، فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى مَن قد أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعًا، فلما أتيت الباب سلّمت، فأجابني أبو عبد اللَّه، ثم خرج إليّ، فلما رأى الفرّاش والبدرة على عنقه كأني سفّيت في وجهه الرماد، وأقبل عليّ بغير الوجه الأول، فقال: ما لي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت: يا عبد اللَّه اقعد حتى أخبرك، إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبّارين - يعني محمد بن سليمان -، ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها، فاللَّه اللَّه في نفسك. فازداد عليّ غيظًا، وقام فدخل منزله وأصفق[1] الباب في وجهي، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدري ما أقول للأمير. ثم لم أجد بُدًّا من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر، فقال: حَرُوريّ واللَّه، يا غلام عليّ بالسيف، فجاء بالسيف، فقال له: خذْ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه.

قال إبراهيم: أصلح اللَّه الأمير، اللَّه اللَّه، فواللَّهِ لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكن أذهب فآتيك به، ما أريد بذلك إلا افتداءه منه، قال: فضمننيه، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحنّ وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت، فأذنت لي فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن

---

(١) «أصفق الباب وصفق الباب» بمعنى: أغلقه وردّه.

أبي عبد اللَّه؟ فقلت: وما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الرَّكِيِّ[١] فنزع منها ماءً فتوضأ، ثم سمعته يقول: اللَّهم اقبضني إليك ولا تفتني. ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد قَضى فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه، إن لنا قصة عظيمة، فلا تحدثوا فيه شيئًا. فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب فأصلي على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة، فشهده الأمير وعامّة أهل البصرة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٢].

* عابد يموت عند سماع آية: «وا شباباه»:

● عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي! وعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي، أعانني عليها شقائي، وغرّني سترك المرخيّ عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليّ، فالآن مِن عذابك من يستنقذني؟ وبحبل مَن أتّصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه!

قال: فلما فرغ من قوله، تلوت آية من كتاب اللَّه ﴿... نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾ الآية، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسّا، فمضيت. فلما كان الغد رجعت من مدرجتي[٣]، فإذا بجنازة قد وُضِعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه اللَّه إلا جزاءه، مرّ بابني البارحة وهو

---

(١) الركيّ: البئر.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٩ ـ ١٢).

(٣) أي طريقي.

قائم يصلي، فتلا آية من كتاب اللَّه، فلما سمعها ابني تفطرت مرارته، فوقع ميتًا»[١] .

* سعيد العابد: «لولاك ما طابت ولا طاب الطَّرَب»:

• قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتى مقنّع في الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثَناها، وحمل على الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناه، ثم أنشأ يقول:

أحسن بمولاك سعيدُ ظنًّا ... هذا الذي كنتَ له تمنّى
تنحٍّ يا حُورَ الجنان عنّا ... ما لك قاتلنا ولا قُتلنا
لكن إلى سيِّدنا اشتقنا ... قد علم السِّرَّ وما أعلنَّا

قال: فحمل فقاتل فقتل منهم عددًا، ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قد كنتُ أرجو، ورجائي لم يَخِبْ ... أن لا يضيع اليوم كدِّي والتعبْ
يا مَن ملا تلك القصور باللُّعَب ... لولاكَ ما طابت ولا طاب الطَّرَب

قال: فحمل فقتل منهم عددًا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة وأنشأ يقول:

يا لُعبة الخُلدْ قِفي ثم اسمعي ... ما لكِ قاتلنا فُكفِّي وأرْبعي
ثم ارجعي إلى الجنان فأسرعي ... لا تطمعي، لا تطمعي، لا تطمعي

قال: فحمل فقاتل حتى قُتِل[٢] .

* * *

(١) «التوابين» ص(٢٩٠).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

* عابد آخر: «أما فيكم مَن يبكي لوقوفي بين يدي ربي؟!»:

• قال يزيد الرقاشي: دخلت على عابد بالبصرة وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد. قال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ، ما الذي يُبكيك؟ قال: يا بني! أبكي فَقْدك وما أرى من جَهْدك. قال: فبكت أمه. فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة: ما الذي يُبكيكِ؟ قالت: يا بُنيّ أبكي فراقك وما أتعجّل من الوحشة بعدك.

قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجّل من اليُتم بعدك. قال: فقال: أقعدوني أقعدوني ألا أرى كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي؟ أما فيكم مَن يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟ أما فيكم مَنْ يبكي لمساءلة منكر ونكير إيّاي؟ أما فيكم مَنْ يبكي لوقوفي بيْن يدي اللَّه ربي؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات[1].

* عابد آخر: «كُفّ فقد كشفت قناع قلبي»:

قال حُصَيْن بن قاسم الوزّان: كنّا عند عبد الواحد بن زيْد وهو يعظ فناداه رجل من ناحية المسجد: كُفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، فلم يلتفت عبد الواحد ومرّ في الموعظة. فلم يزل الرجل يقول: كفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد يعظ ولا يقطع موعظته حتى واللَّه حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه.

قال: فأنا واللَّه شهدتُ جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يومًا أكثر باكيًا من يومئذ[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/١٨).

* عابد آخر: «أما إنّ للناس موقفًا لا بُدّ أن يقفوه»:

• عن ابن السماك قال: دخلت البصرة، فقلت لرجل كنت أعرفه: دُلّني على عُبّادكم. فأدخلني على رجل عليه لباس الشَّعر، طويل الصمت لا يرفع رأسه إلى أحد. قال: فجعلت أستنطقه الكلام فلا يكلمني. فخرجت من عنده، فقال لي صاحبي: ها هنا ابن عجوز هل لك فيه؟ قال: فدخلنا عليه، فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئًا من ذِكْر جنة ولا نار فتقتلوه عليّ، فإنه ليس لي غيره.

قال: فدخلنا على شاب عليه من اللباس نحو ما على صاحبه منكّس الرأس طويل الصمت فرفع رأسه فنظر إلينا، ثم قال: أما إن للناس موقفًا لا بدّ أن يقفوه، قال: فقلت: بين يديْ من رحمك اللَّه؟ قال: فشهق شهقة فمات.

قال ابن السماك: فجاءت العجوز، فقالت: قتلتم ولدي. قال: فكنت فيمن صلّى عليه[1].

* والان بن عيسى، أبو مريم القزويني - رحمه اللَّه -:

• عن السري بن يحيى، عن والان بن عيسى - رجل من أهل قزوين كان من الصالحين - قال: غَرّني[2] القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصليت ما قضى اللَّه لي وسبّحت ودعوت. فغلبتني عينايَ، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف درّ أمثال الرمّان، فقالوا: كُل. قلت: أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل. فأكلت وجعلتُ آخذ ذلك الدر لأحتمله فقيل لي: دعْه

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٠).

(٢) أي: خدعني.

نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا. فقلت: أين؟ فقالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغيّر، ومُلك لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رضىً وغنىً وقرة العين أزواج وضيئات مرضيّات راضيات لا يَغَرن ولا يُغَرن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه. فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار.

فما مكث جمعتين حتى توفي.

قال السري بن يحيى: فرأيته في الليلة التي تُوفي فيها، وهو يقول لي: ألا تعجَبْ من شيء غُرس لي يوم حدّثتك، وقد حمل. قلت: حمل بماذا؟ قال: لا تسأل بما لا يقدر على صفته أحد، لم يُرَ مثل الكريم إذا حلّ به مطيع رضي الله عنه[1].

*** زاهد زمانه فتح الموصلي: «أتقرب إليك بطول حزني»:**

فتح بن سعيد الموصلي يكنى أبا نصر.

● قال أبو إسماعيل صاحبه وخادمه عنه: كان واللَّه كهيئة الروحانيين معلّق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرّق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدّخان يفور من نواحي المدينة فبكى، ثم قال: قد قرّب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق، ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: قد علمت طول غمي وحُزني وترددي في أزقة الدنيا، فحتى متى تَحْبِس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق. فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٨٠ ـ ٨١).

● وعن إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحًا الموصلي في يوم عيد أضحى، وقد شمّ ريح القُتار[١] ، فدخل إلى زُقاق فسمعته يقول: تقرّب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرّب إليك بطول حزني يا محبوب، كم تتركني في أزقة الدنيا محبوسًا؟ ثم غُشي عليه وحمل فدفنّاه بعد ثلاث[٢] .

* عابد: «قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي»:

● قال عبد الواحد بن زيد: ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنمًا. فقلنا له: مَنْ تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا في المركب مَنْ يُسَوِّي مثل هذا. ليس هذا بإله يُعبد؟ قال: فأنتم مَن تعبدون؟ قلنا: اللَّه عز وجل. قال: وما اللَّه؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه هذا الملك إلينا رسولاً كريمًا فأخبرنا بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه اللَّه. قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملِك. قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا. فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ، ويبكي حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى. ثم أسلم وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن. فلما جنّ علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا. فقال لنا: يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد اللَّه، هو عظيم قيّوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام. فأعجبنا كلامه. فلما قدمنا عبّادان قلت لأصحابي:

---

(١) القُتار: رائحة الشواء.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تُنفقها. قال: لا إله إلا اللَّه دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه؟!. فلما كان بعد أيام قيل لي: إنه في الموت. فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: «قضى حوائجي مَن جاء بكم إلى جزيرتي».

قال عبد الواحد: فحملتني عيني فنمتُ عنده، فرأيت مقابر عبّادان روضة وفيها قبّة، وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها. فقالت: سألتك باللَّه إلاّ ما عجّلت به فقد اشتد شوقي إليه. فانتبهتُ فإذا به قد فارق الدنيا فغسّلته وكفّنته وواريته. فلما جنّ الليل نمتُ فرأيته في القبة مع الجارية وهو يقرأ ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤][(١)] .

* غلام عابد يناجي مولاه: «احشرني من حواصل الطيور» فيستجيب دعاءه:

● قال أبو قدامة الشامي: كنت أميرًا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغّبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها. ثم تفرّق الناس وركبت فرسي وسرتُ إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قُدامة. فقلتُ: هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أُجب. فقالت: ما هكذا كان الصالحون. فوقفت، فجاءت ودفعت إليّ رُقعة وخرقة مشدودة، وانصرفتْ باكية. فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغّبتنا في الثواب، ولا قُدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ، وهما ضفيرتايَ

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك[١]، لعل اللَّه يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه، وقلتُ: يا فتى أنت غلام غِرّ راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا، فقال: أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

فحملته على هجين كان معي فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم. فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح عليّ حتى قلت: بشرط إن منّ اللَّه بالشهادة أكون في شفاعتك. قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوقع من بين عينيه فوضع رأسه على قربوس[٢] سرجه. فتقدمت إليه، وقلت: لا تنسها. فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلِّمْ خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلِّم عليها فإنها في العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي ثم مات.

فحفرتُ له ودفنته. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها. فقال أصحابي: إنه غلام غرّ ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت:

---

(١) قال ابن الجوزي: هذه امرأة حسن قصدها وغلطت في فعلها، لأنها جهلت أن ما فعلت منهي عنه، فلينظر إلى قصدها.

(٢) القَرَبوس: حنو الفرس.

إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمت وصليت ركعتين ودعوت اللَّه عز وجل فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة اترك ولي اللَّه.. فما برحتُ حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته. فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعتُ الباب خرجت أخته إليّ، فلما رأتني عادت، وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أُصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إليّ فقالت: أمُعَزّيًا أم مهنّئًا؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزّني، وإن كان استشهد فهنئني.

فقلت: لا بل مات شهيداً. فقالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلتُ: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها، فقالت: الحمد للَّه. فسلّمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مِسْحًا وغُلاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المسح وغلّ نَفسه بهذا الغُلّ وناجى مولاه، وقال في مناجاته: احشرني من حواصل الطيور. فقد استجاب اللَّه دعاءه[1].

* **يوسف بن أسباط الزاهد: «خرج من الدنيا وليس عنده درهم»:**

قال عنه الذهبي: «من سادات المشايخ... نزل الثغور مرابطًا»[2].

● قالت زوجته: كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال. قلت: وما هُنّ؟ قال: أشتهي أن أموت حين أموت، وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليّ دين، ولا على عظمي لحم. قالت: فأُعطي ذلك كله. ولقد قال لي في مرضه: أبقي عندك نفقة؟ فقلت: لا. قال: فماذا تَرَيْن؟ قلت: أُخرج هذه الخابية للبيع. فقال: يعلم الناس بحالنا ويقولون ما باعوها إلا وثَمَّ حاجة

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٩٨ ـ ٢٠١).

(٢) «السير» (٩/١٦٩ ـ ١٧١).

شديدة. فأخرج إليّ شيئًا كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم، وقال: اعزلي منها درهمًا لحنوطي، وأنفقي باقيها. فمات وما بقي غير الدرهم!!

توفي يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة[١] .

* الإمام الوليّ أبو داود عمر بن سعد الحفري:

● قال وكيع بن الجرّاح: «إن كان يُدفع بأحد في زماننا، فبأبي داود الحفري».

قال أبو حمدون الطيّب المقرئ: دفنّا داود الحفري ـ رحمه اللَّه ـ، وتركنا بابه مفتوحًا، ما كان في البيت شيء[٢] .

* أبو محمد عبد اللَّه التاهرتي يقول: ادخل يا ملك الموت:

ذكر أبو إسحاق السبائي أن أبا محمد عبد اللَّه التَّاهرتيَّ اعتل علة شديدة حتى يئسوا منه، فقال للذي يخدمه:

«إني لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها إن شاء اللَّه تعالى، فإذا كان المرضة الثانية بعدها توقعوا موتي.

قال أبو إسحاق السبائي: ما أراه إلا دعا اللَّه عز وجل فأُخبر بذلك في منامه. وقال أبو مالك سعد بن مالك الدباغ:

شهدته وقد احتُضر وحوله جماعة، فَتَذَاكَرُوا الموت وسكراته، وشدته وغمراته، ثم قال:

ادخُل يا ملك الموت، وأقبل يبتسم وينظر عن يمينه، وشَممـْنَا رائحة طيبة»[٣] .

---

(١)«صفة الصفوة» (٤/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٢)«السير» (٩/ ٤١٦ ـ ٤١٧)، و«تهذيب الكمال».

(٣)«رياض النفوس» (٢/ ٨٢).

*** الشيخ أبو بكر بن المقبول الزيلعي يقول لبناته: ما جئت عندكم إلا لأموت عن قريب:**

● مرض الشيخ أبو بكر بن المقبول الزيلعي بمكة مرضًا أشرف فيه على الموت، فدخل عليه الفقيه مقبول، وحزن عليه لمّا رأى حاله اشتد ومرضه زاد، وقال في نفسه: إن هذا مرض الموت.

فبمجرد ورود هذا الخاطر عليه قال له: يا مقبول لا تَخَفْ عليّ، فإني لا أموت إلا باللِّحْيَةِ، وهي قرية باليمن.

فعوفي من ذلك المرض، وقَدِمَ اللحيةَ، فلما دخل بيته تباشر أهله بقدومه، وفرحوا، وجمعوا النساء ليفعلن على عهادتهن من القطرنة والغناء وغير ذلك.

فنادى بناته وقال لهن: ما هذا الذي تفعلنه؟ أنا ما جئت عندكم إلا لأموت من قريب. فصحن لما يعرفن من حاله، فتوفي - رحمه اللَّه - باللحية، كما قال[1].

*** أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي وأحواله الطيبة عند الموت:**

● ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي في «الطبقات الوسطى» أن أبا العباس النَّسوي قال: لما اعتل أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي علّته التي تُوفي فيها، وتوليت خدمته، شهدت منه في علّته أحوالاً سنيَّة، وقال لي: إنه يموت ليلة الأحد.

وقال لي:

تنحَّ فإني أريد أن أجمع بين صلاتين (يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء).

---

(١) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١/ ٩٩).

وركع وأوتر، ثم أخذ في السياق، وهو حاضر معنا إلى نصف الليل، فقمت وطرحت نفسي ساعة، ثم رجعت إليه، فلما رآني قال:

أيُّ وَقْتٍ هذا؟

قلت: قُرْبَ الصُّبحِ.

فقال: حَوِّلوني إلى القبلة.

فأخذ يقرأ مقدار خمسين آية، ثم خرجت روحه، مات ـ رحمه اللَّه ـ سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[١].

*** الفقيه الشافعي محمد بن الحسين الآجري:**

● دخل محمد بن الحسين الآجُري الفقيه الشافعي مكة المكرمة، فأعجبته الإقامة بها فقال: اللَّهم ارزقني بها سنة. فسمع هاتفًا يقول: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ومات ـ رحمه اللَّه ـ بمكة سنة ستين وثلاثمائة[٢].

*** أبو علي الحسن بن نصر السويسي يقول لزوجته: ما أشك في أني بالغداة أموت:**

● نقل المالكي في «الرياض» عن محمد ولد أبي علي الحسن بن نصر السويسي أن أباه قال له:

يا بُنَيِّ ارْبِطْ لي حَبلاً في السقف، لعلي أقدرِ أصَلِّي قائمًا، وكان ذلك في علته التي مات فيها.

قال: فربطت له الحبل، وحملناه حتى وقف على نفسه وأمسك الحبل فغُلب ولم يستطع القيام كما كان، فبكى وقال:

---

(١) من «هامش الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٥).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٧٣).

وَا غَوْثَاه، ياللَّه، حِيلَ بيني وبين طاعة ربِّي، فقلت له:

يا أبي صلِّ جَالسًا، وأنت تعلم أن الفَرض يُصَلَّى مِن جلوس مع الضرورة، فكيف النفل؟

فقال لي: يا بُنَيّ العمرُ قَصيرٌ، والعملُ قليلٌ، وإنما أردت أن أعمل أكثرَ مما عَمِلتُ، فالحمد للَّه على ما قَضَى وقَدَّرَ.

قال ابنه محمد: ولما طالت بأبي العلة قال لوالدتي:

يا عائشة طالت علتي، وتوليت مني خيرًا، وتعبت معي تعبًا كثيرًا، وأنتِ في ذلك مثوبة مأجورة، لا تملي ولا تزهدي في خدمتي، واصبري فإني ما أشكُّ في أن أجلي قد قَرُب، فيذهب أجرك بقلة الصبر، سمعتُ هاتفًا يقول لي من هذا الطاق:

يا حسن، غدًا صلاة الظهر يُفرج عنك، فما أشك في أني بالغداة أموت.

فكان كذلك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

* الشيخ الصالح علي بن إسماعيل العثماني:

● «كان الشيخ الصالح علي بن إسماعيل العثماني من ذرية سيدنا عثمان ابن عفان ﷺ.

ولما دخل شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة قال لتلاميذه:

إني لا أصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل، وهو ـ يومئذ ـ صحيح ليس به ألم، فعجبوا من مقاله، ولم يبق إلا ثلاثة أيام من شعبانٍ، فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه.

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٣٩٣).

ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهَّر وتوضأ وتطيَّب، وقال لخدمته:

لم يبق لكم من خدمتي إلا اليوم، ثم دخل إلى بيته فصلى ركعتين ونام على فراشه. فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتًا ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ»(١).

*** معاوية بن قرّة يخبر ابنه أنه لن يستكمل يومه:**

● «قال قريش بن أنس: قدم معاوية بن قرة من سفر، فدخل على ابنه إياس بن معاوية فقال:

إن هذا اليوم ما ينبغي أن أكون فيه حيًّا، إني رأيت في النوم كأني وأبي نستبق إلى غاية، فأدركناها معًا، وقد بلغت اليوم سن أبي.

قال: فما أخرج إلا ميتًا»(٢).

*** الشيخ سنان زاده القسطنطيني يقول للمولى أبي السعود: «لا يُصلي عليّ إمامًا إلا أنت»:**

● كان المولى أبو السعود العمادي صاحب التفسير قد وقع خلاف بينه وبين الشيخ حسن بن أحمد الرومي الخلوتي المشهور بسنان زاده القسطنطيني فحنق المولى أبو السعود، وحلف أنه إن مات الشيخ سنان قبله لا يحضر للصلاة عليه، فقال له:

خفِّض عليك لا يُصلي عليّ إمامًا إلا أنت، وليس لك محيد عن ذلك.

فاتفق أن يوم موت الشيخ سنان توفيت ابنة السلطان سليمان، وأحضرت الجنازة في الجامع، ودُعي أبو السعود للصلاة عليهما، وكان لم يبلغه نبأ وفاة الشيخ، فقدم للصلاة على الجنازتين.

---

(١) «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف ص(٥٦).

(٢) «الحلية» (٢/ ٣٣٠).

ولما أتم الصلاة سأل، فقيل له: هذا الشيخ سنان فكفر عن يمينه، وكان بعد ذلك إذا طرأ ذكره يعظمه ويذكر أحواله(١).

* إياس بن قتادة المجاشعي: «لأن أموت مؤمنًا هازلاً أحب إليّ أن أموت منافقًا سمينًا»:

رأى ـ رحمه اللَّه ـ شيبة في لحيته فقال: أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته، يا رب أعوذ بك من فُجَاءَات الأمور.

ثم قال: يا بني سعد إني قد وهبت لكم شبابي فَهَبوا لي شيبتي ولزم بيته. فقال له أهله: تموت هزلاً.

فقال: لأن أموت مؤمنًا هازلاً أحب إليَّ من أموت منافقًا سمينًا.

وروي أنه قال: لا أراني حُميرًا لحاجات بني تميم، والموت يطلبني.

فنزل الشبيكة ـ من منازل البصرة ـ فاتخذها مسجدًا، فلم يزل يعبد اللَّه حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ(٢).

* القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي:

- لما تقدمت السن بأبي جعفر صرف عن القضاء ثم أريد للعمل فأبى، وأحب أن يتأهب للموت فقال:

أحب أن يكون بين الصرف عن القضاء والقبر فرجة، ولا أنزل عن القلنسوة إلى الحفرة وقال:

تركت القضاء لأهل القضا ... ء، وأقبلت أسمو إلى الآخرة
فإن يك فَخْرًا جَليلَ الثنا ... ء، فقد نلت منه يَدًا فاخرة
وإن كان وِزْرًا فَأَبْعِدْ بِهِ ... فَلا خَيْرَ فِي إِمْرَةِ وازِرِه(٣)

(١) «خلاصة الأثر» (٢/ ٢٠).
(٢) «ربيع الأبرار» للزمخشري (٢/ ٤٤٠).
(٣) «الوافي بالوفيات» (٦/ ٢٣٦).

* آخر كلام الشيخ أبي مدين: اللَّه الحق:

«لما فشا ذكر أبي مدين في البلاد، وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال له:

إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهًا بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع في قلبه، وأهمه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية به والاعتناء وأن يحمل خير محمل.

فلما أخذ في السفر شق على أصحابه، وتحيَّروا وتكلموا فسكتهم وقال لهم:

إن منيتي قربت، ولغير هذا المكان قدِّرت، وأنا شيخ كبير ضعيف، لا قُدرة لي على الحركة، فبعث اللَّه تعالى من يحملني إليه برفق، ويسوقني إليه أحسن سوق، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني.

فطابت نفوسهم، وذهب بؤسهم، وعلموا أن ذلك من كراماته.

فارتحلوا به على أحسن حال، حتى وطئوا به حوز تلمسان فبدت له رابطة العُبَّاد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فمرض مرض موته، فلما وصل وادي يسر اشتد به المرض ونزلوا به هناك فكان آخر كلامه : اللَّه الحق»[1] .

* الشيخ محمد بن عمر المعلم يكرر سورة الإخلاص ثم تفيض روحه:

• كان السيد محمد بن عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب، وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله، وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة

---

(١) «نفح الطيب» (٩/ ٣٤٩).

الإخلاص، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة[١] .

*** الشيخ الصالح أبو بكر الشعيبي يقول لأولاده: «احفروا لي قبرًا، فأنا أموت بعد يومين»:**

كان أبو بكر الشعيبي الولي الزاهد من قرية الشعيبية من قرى ميافارقين.

قال سعد الدين الجويني: كان الشعيبي من صلحاء الأبدال، صاحب عِلم وعَمل، ورياضيات ومجاهدات.

وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر، وكان كثيرًا ما يقول عقب كلامه: اللَّهم ارْحَمنَا.

فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد فزفر زفرة ثم أنشد:

وَمَا كلُّ أسْرَارِ النّفوس مُذَاعَةٌ ... وَلا كلُّ مَا حَلَّ الْفؤَادَ يُقَالُ

خرج إلى قريته الشعيبية، وقال لأولاده:

احْفروا لي قَبْرًا، فأنا أموت بعد يومين.

فحفروا له، ثم مات في اليوم الذي عينه سنة إحدى وأربعين وستمائة ـ رحمه اللَّه[٢] .

*** خائف وجل يخاف أن تردَ تلبيته:**

- «قال عبد اللَّه بن الجلاء:

كنت بذي الحليفة وأنا أريد الحج، والناس يُحرِمون، فرأيت شابًّا قد صُبَّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه، فقال:

---

(١) «جامع الكرامات» (١/ ٢٦٠).

(٢) «الوافي بالوفيات» (١٠/ ٢٦٩).

يا رب أريد أن أقول لبيك اللَّهم لبيك، وأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك.

وبقي يردد هذا القول مرارًا كثيرة، وأنا أتسمع عليه، فلما أكثر قلت له: ليس لك بُد من الإحرام.

فقال: يا شيخ أخشى إن قلت: لبيك اللَّهم لبيك، أجابني: «لا لبيك ولا سعديك».

فقلت له: أحسن ظنك وقل معي: لبيك اللَّهم لبيك.

فقال: لبيك اللَّهم وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللَّهم فسقط ميتًا» (١).

*** وخائف غلب عليه الحياء:**

● قال أبو الأديان:

ما رأيت خائفًا إلا رجلاً واحدًا، كنت بالموقف، فرأيت شابًّا مطرقًا منذ وقف الناس إلى أن سقط قرص الشمس، فقلت:

يا هذا ابسط يديك بالدعاء.

فقال: ثَمَّ وحشة.

فقلت: هذا يوم العفو عن الذنوب.

فبسط يده، ففي بسط يديه وقع ميتًا (٢).

● قال ابن خلكان: قيل لأبي الأسود الدؤلي عند الموت: أبشر بالمغفرة، فقال: وأين الحياء ممن كانت له المغفرة (٣).

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٠٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٠).

(٣) «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣٩).

* عبد اللَّه بن دارس يبكي على انقطاعه عن العبادة:

● قال عبد اللَّه بن نصر: اعتل ابن دارس، وجئنا إليه نعوده، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمديس القطان، وجبلة، وأكابر أصحاب سَحْنُون، هؤلاء قعودًا عند رأسه، وهو مسجى إلى القبلة، ودموعه تنصب، فقال له يحيى بن عمر:

أصلحك اللَّه ما الذي أبكاك؟

فقال: واللَّه ما بكيت خوفًا من الموت؛ لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومي على اللَّه عز وجل لأني أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدي بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار، والتهجد، والتبتل، وانقطاع عملي، ثم قال لهم:

إن لي إليكم حاجة.

هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهارًا، كفنوني فيهما.

وهذه الحُصرُ كنت أسجد عليها في سواد الليل، اجعلوها معي في لحدي، وقليل من الشعير تصدقوا به.

وهذه السطحية (المزادة) حبِّسوها، واللَّه ما خلفت شيئًا يسألني اللَّه عنه غير هذا.

ثم أسأل اللَّه الاجتماع معكم على الحوض مع النبي ﷺ وأصحابه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم قضي ـ رحمه اللَّه ـ[1].

(١) «رياض النفوس» للمالكي (١/ ٤٨٠).

* القاضي ابن وافد قاضي القضاة بقرطبة:

لما تغلَّب البرابرة على قرطبة وتم الصلح، وخُلع هشام، وهم أحنق الناس على ابن وافد، فاستخفى، وشُدِّد الطلب فيه، فُعثر عليه عند امرأة، فحُمل راجلاً مكشوف الرأس مهانًا، يُقاد بعمامته في عنقه، والمنادي ينادي عليه:

هذا جزاء قاضي النصارى، ومُسبب الفتنة وقائد الضلالة.

وكان يقول مجاوبًا:

كَذَبْتَ بِفيكَ الحَجَرُ، بَلْ واللَّهِ ولِيُّ المؤمنين، وعدو المارقين ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ٧٧]، والناس تتقطع قلوبهم لما نزل به.

فلقيه بعض أعدائه في هذه الحال فقال له:

كيف رأيت صنع اللَّه بك؟

فقال: ما أتهم قضاءه، كان ذلك في الكتاب مسطوراً.

ولقيه بعض أصحابه فقال:

تُرى أن أبلغ أمرك أبا العباس بن ذكوان؟ (وكان مقبول القول عند البرابرة).

فقال: لا حاجة لي في ذلك...

فأدخل على المستعين سليمان بن الحكم في تلك الحال، فأكثر توبيخه وأغرته به البرابرة، فأمر بصلبه، وشُرِع في ذلك، فاضطرب البلد له، وَوَرَدَتْ عليه شفاعة أبيه الحكم، وشفاعة ابني ذكوان، وابن حومل، وجماعة من الفقهاء والصالحين الذين لا يرى ردهم يرغبون إليه في شأنه، ويقبحون إليه ما أمر به فيه.

فرفع عنه الصلب والمثلة، وأمر بضمه إلى المطبق، وتثقيفه، وكان شديد

الصبر في محبسه، كثير التبسم والحديث، متعاهدًا لصالح نفسه وجسمه من الاغتسال والاستياك والاستحداد، حتى عذله بعض من جمعته وإياه المحنة في ذلك المكان على فعله، فقال:

وما لي لا ألهى عما لا بد لي منه وأصل الراحة، واللَّه إني لأرجو لها الحور غاديًا أو رائحًا، وسواكي طري، وجسمي نقي، أو نحو هذا.

ولم يبعد ـ رحمه اللَّه ـ أن اعتل في محبسه فمات، فتكلم الناس أن حيلة وقعت عليه ـ فاللَّه أعلم بذلك ـ فأُخرج ميتًا في نعش، منتصف ذي الحجة سنة أربع وأربعمائة فوضعه الأعوان بالميضاة، موضع غسل المحاويج.

فاحتمله قوم إلى دار صهره ابن الأغبس الفقيه، فَسدَّ الباب في وجه النعش وتبرأ منه تقية.

وسمع الزاهد حماد بن عمار بالقصة، فبادره، وسار بنعشه إلى منزله، فقام بأمره. وكان من عجيب الاتفاق أن ابن وافد كان أودع عند هذا الرجل كفنه، وحنوطه وقارورة من ماء زمزم لجهازه، فتم مراده، وعدت من كراماته ـ رحمه اللَّه ـ[1] .

* **مشهد من مات عندما صدم بإهانة الإسلام:**

روى ابن الجوزي عن أبي عبد اللَّه الحافظ أن الروم الأسبان لما استولوا على أشبيلية سنة ست وأربعين وستمائة هال صوت الناقوس وخرس الأذان أبا الحسن علي بن جابر الدباج اللخمي الأشبيلي، فما زال يتأسف ويضطرب إلى أن قضى نحبه بعد أيام ـ رحمه اللَّه ـ وقد عاش ثمانين سنة[2] .

---

(١) «ترتيب المدارك» (٧/ ١٧٩).

(٢) «غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ٥٢٨).

* قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان:

كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى. فقرأ الفتى قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: ١٨].

فقطع صالح عليه القراءة وقال:

كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك واللَّه لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ما نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ أين يُذهب بنا؟ ماذا يُراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجَرّون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باكٍ دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك واللَّه لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منقلباه وبكى، وبكى الناس.

فقام فتى من الأزْدِ فقال:

أكلُّ هذا في القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم واللَّه يا ابن أخي، وما هو أكثر، لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف، فصاح الفتى:

إنا للَّه، وا غفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وا أسفاه على تفريطي في طاعتك، يا سيداه، وا أسفاه على تضييعي عمري في دار الدنيا.

ثم بكى، واستقبل القبلة وقال:

اللَّهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك، اللَّهم فاقبلني على ما كان فيَّ، واعف عما تقدم من فعلي، وأقل عثرتي، وارحمني ومن حضرني، وتفضل علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي، صادقًا لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني.

ثم غُلب فسقط مغشيًّا عليه، فحُمل بين القوم صريعًا فمكث صالح وإخوته يعودونه أيامًا، ثم مات والحمد للَّه فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعُون له.

فكان صالح كثيرًا ما يذكره في مجلسه فيقول: وبأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان[1].

* أبو السَّرَى واصل بن عبد اللَّه:

كان أبو السَّرَى واصل بن عبد اللَّه يأوي إلى مسجد السدرة بالقيروان، يركع ويسجد فيه إلى صلاة العصر، فإذا قيل له: أُرْفُقْ بنفسك.

قال: أنا رجل مطالب مديان.

أنشد بعض القراء وهو جالس هذه الأبيات:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَدْعُو خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَدْعُونَا نَاظِرِي وَلِسَانِي
فَمَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا ... يَسُوءُكَ إِلاَّ قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
ولا خَطَرَتْ فِي السِّر دُونَكَ خَطْرَةٌ ... بِنَفْسِيَ إِلاَّ عَرَّجَا بِعِنَانِي
وَإِخْوَانِ صِدْقٍ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ ... فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَلِسَانِي

---

(١) «مشاهد الناس عند الموت» ص(٩٩).

وَمَا الدَّهْرُ أَسْلَى عَنْهُمُو غَيْرَ أَنَّني رَأَيْتُكَ مَشْهُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فبكى وصاح، وفارق الدنيا، مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة ودُفن بباب سلم ـ رحمه اللَّه ـ[1].

*** أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب يموت بعد قراءة آية الكرسي:**

كان أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب قد انتقل من القيروان إلى مصر، فمات بها، ودُفن بالمقطم سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد سمع قارئًا يقرأ آية الكرسي، فلم يزل يرددها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته، ففاضت نفسه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

*** الشيخ أبو جعفر أحمد بن مُعتب بن أبي الأزهر الأزدي شهيد القرآن:**

نقل القاضي عياض عن أبي العز أن أبا جعفر أحمد بن مُعتب بن أبي الأزهر الأزدي كان عالمًا بالحديث والرجال، حسن التفسير، ونقل القاضي يونس عن أبي العرب أن ابن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء، حتى كان يسمع جيرانه بكاءه وصراخه.

وقال أبو بكر بن اللبَّاد: حضرت مشهد الذكر يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وستين ومائتين، وأحمد بن معتب حاضر، وكان له بكاء ونوح، وكان القراء إذا علموا به تحركوا فقرءوا، وغيَّروا، وأخذوا في التغيير.

دَعِ الدُّنْيَا لِمَنْ جَهِلَ الصَّوَابَا فَقَدْ خَسِرَ الْمُحِبُّ لَهَا وَخَابَا

فلما وصلوا:

يَظَلُّ نَهَارَهُ يَبْكِي بِبَثٍّ وَيَطْوِي اللَّيْلَ بِالأَحْزَانِ دَابَا

---

(١) «معالم الإيمان» (٣/ ١٠٥).

تحرك وبكى.

ثم قرأ قارئ: ﴿يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٦٩]. فصاح ابن معتب صيحة شديدة، ثم سقط على وجهه، فأقام ساعة، وأسنده إنسان إلى صدره، وكُلِّم فلم يتكلم، وقد أغلق عينيه، ثم قاء شيئًا أخضر.

فلما انقضى المجلس وخُتِم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذ كان لا يثبت، فجئنا بمحمل على جمل فحُمل وأُخرج من المسجد، وكلٌّ من في المسجد يبكي كأنه مأتم.

حُمل في شق الجمل، وزامله ابن عم له، ثم أُتي به إلى داره، فقاء شيئًا أخضر ولم يتكلم، وتركناه لشأنه.

فلمَّا كان بعد العشاء الآخرة توفي ـ رحمه اللَّه ـ، وما تكلم وما فتح عينيه.

قال ابن اللباد: وحضرتُ غُسله، وقد كُسي نورًا وبياض بدن، وصُلِّي عليه العصر، صلى عليه حمديس القطان، وفات كثيرًا من الناس الصلاةُ عليه لكثرتهم ونودي على جنازته أيها الناس لا تفتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن[1].

وروى بعض هذا المشهد أبو بكر المالكي في «رياض النفوس» مضيفًا أن أبا جعفر بن معتب مر في ذلك اليوم بموضع قبل دخوله مسجد السبت فسمع قائلاً يقول:

الْعَفْوُ أَوْلَى بِمَنْ كَانَتْ لَهُ الْقُدَرُ ... لاَ سِيَّمَا عَنْ مُقِرٍّ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
أَقَرَّ بِالذَّنْبِ إِجْلاَلاً لِسَيِّدِهِ ... فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهْوَ يَعْتَذِرُ

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٣٥٣).

فبكى وخشع، ودعا للقائل وللذين حضروا، ثم مضى ودخل مسجد السبت.. إلى آخر ما مر من خَبَرِهِ[١].

كما روى أبو عبد اللَّه الخُشَني قصة وفاة ابن معتب من (موعظة) عن أبي بكر بن اللبَّاد فقال: حضرته في مجلس السبت وقد سمع شيئًا من أولئك القراء، فصاح صيحة ثم خرّ، وانبعث الزبد من فيه، واحتُمل في نَعْشٍ إلى داره، فما سُمعت منه كلمة حتى مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

ثم قال الخُشَني: قال ابن حارث: ولم أوقف أبا بكر بن اللباد عما سمع (من العظة) وقد سمعت في ذلك اختلافًا من الناس، فقائل يقول إنه سمع: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، وقائل يقول: إنه سمع بيت شعر فيه ذكر النار، فكان من أمْرِهِ ما كان[٢].

* أبو العباس القاص يرق عند وعظه فيغشى عليه ويموت:

نقل تاج الدين السبكي عن أبي سعد بن السمعاني أن أبا العباس الطَّبري كان من أخشع الناس قلبًا إذا قص، فمن ذلك ما يُحكى أنه كان يقص على الناس بطرسوس، فأدركته روعة مما كان يصف من جلال اللَّه وعظمته، وملكته خشية مما كان يذكر من بأسه وسطوته فخر مغشيًّا عليه ومات.

توفي بطرسوس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٣].

* أبو خالد عبد الخالق المتعبِّد يغلب عليه الخوف فيموت:

قال أبو جعفر بن بطونة سمعت أبي يقول:

حضرت جنازة في باب تونس (من مدينة القيروان) وحضرها أبو خالد

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٧١).

(٢) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» ص(١٨٩).

(٣) «طبقات الشافعية» (٣/ ٥٩).

عبد الخالق المتعبِّد، فذكَر بعضُ من حضر الآخرةَ وأهوالها، فصاح عبد الخالق ثم ولَّى نحو الفحص هاربًا على وجهه.

قال فمضينا في إثره، فأصبناه جاثيًا على ركبتيه، خارًّا على وجهه، فحملناه على دابة.

ثم أقمنا بعد ذلك أيامًا نعوده، حتى مات من شدة الخوف ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وكان ذلك سنة عشرين ومائتين[1] .

* وشاب يموت خوفًا:

روى أبو الحسن عليُّ بن محمد الأنصاري عن أبيه أنه قال:

حضرت مسجد السبت القديم، وكان مبنيًّا بالطوب، فقال القوّالون أشعارًا في الزهد، فبكى الناس بكاءً عظيمًا، حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت أصواتهم، فقال رجل جالس بجواري:

لقد طاب المسجد اليوم، فقال له رجل كبير السن شيخ:

يا هذا حَالَ المسجدُ عما كنا عهدناه قبل هذا الوقت (يعني: تحوَّل عما كان) ثم قال:

أعرف أني حضرته يومًا فقام ابن السامة فقرأ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]. فقام شاب من الركن يبكي ويصيح:

الأمان باللَّه.

فرجع القارئ إلى الآية من أولها، فقال الشاب: الأمان باللَّه.

فرجع القارئ مرة ثالثة: فصاح الشاب:

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٣٢٦).

الأمان بالله، وخر ميتًا ـ رحمه الله تعالى ـ[١] .

* أبو نضـرة:

قال أبو نعيم:

انطلق الحسن البصري وإياس إلى أبي نضرة يعودانه، فقال له أبو نضرة: ادن مني يا أبا سعيد.

فدنا منه الحسن، فوضع أبو نضرة يده على عنق الحسن، وقبَّل خده.

فقال الحسن: يا أبا نضرة إنك والله لولا هول المطلع لسر رجالاً من إخوانك أن يكونوا فارقوا ما ها هنا.

فقالوا: يا أبا سعيد اقرأ سورة، وادعُ بدعوات.

فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: اللَّهم مَسَّ أخانا الضر وأنت أرحم الراحمين.

فبكى أبو نضرة، وبكى الحسن، فبكى أهل البيت رحمةً لأخيهم.

قال إيـاس: فما رأيت الحسـن بكى بكاءً أشد منه، وقال أبو نضرة: يا أبا سعيد، كن أنت الذي يُصلي عليَّ[٢] .

* أبو عقال بن غلبون ختم الله عمره في الصلاة:

قال المالكي في «رياض النفوس»:

كان أبو عقال بن غلبون قد جرد أذياله في الصِّبا، وأطال من عنانه في الهوى، منهمكًا في البطالة، صاحب لهو وصبوة، مع مروءة وفتوة، إلى أن تناهت حدود القضاء فشمر وارعوى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٩٦).

(٢) «الحلية» (٣/ ٩٨).

على ما سلف من أيامه، وعلى ما قارف من آثامه، صائمًا نهاره، قائمًا ليله، حتى كان يُضرب به المثل في العبادة. . .

ثم رحل من القيروان إلى مكة.

قال أبو بكر بن سعدون:

رأيت أبا عقال على جبل الرحمة يوم عرفة جاثيًا بين يدي اللَّه عز وجل على ركبتيه، باسطًا ذراعيه، شاخصًا ببصره، ودموعه تُسكب سكبًا، فقلت له: إنه ليوم عظيم، ألا تَدعو؟

فقال لي: يا ابن سعدون هو يعرف حاجتي، وفي أي شيء جئت.

وقال أبو القاسم الجوهري: حدثنا أبو علي الواسطي قال:

لقيت أبا إسحاق المقرئ بطرسوس، قال: لقيت أبا عقال بمسجد الخيف من منًى، وعليه خيشتان مؤتزرًا بواحدة، ومرتديًا الأخرى، فقلت له: حدثني بأشد شيء مرّ عليك في الحجاز، وحوله جماعة يكتبون كلامه، فقال لي:

كان معي سبعون صاحب رَكْوَةٍ (وعاء للماء من جلد) فوقع القحط، فماتوا وبقي منهم ستة أثر الضيم فيهم، وبقينا ليالي لم نُطعَم، فوقع في سري أن آتي الركن، فألتزمه فلعلي أن أموت على ذلك، فعلقته حبواً من الجوع، فطرأ على قلبي أبيات فرجعتْ إليَّ نفسي وهي:

عَقَدْتُ عَلَيْكَ مُكْمنَاتِ خَواطِرِي ... عَقْدَ الرَّجَاءِ فَأَلْزَمْتكَ حُقوقَا

إنَّ الزَّمَانَ عدَا عَلَيَّ فَزادَني ... علْمًا بأنَّكَ سَيِّدي تَحْقيقَا

مَا نَالنِي ضُرٌّ بوَجْه مَسَاءةٍ ... إلاَ وَجَدْتُ به إلَيْكَ طَرِيقَا

حَسْبِي بأنَّكَ عَالم بمَصَالِحِي ... إذْ كنْتَ مَأمونًا عَلَيَّ شَفيقَا

أَمْضِ الْقَضَاءَ علَى الرِّضَا منِّي بِهِ ... إِنِي رَأَيْتُكَ فِي الْبَلاءِ رَفِيقَا

فرجعتْ إليَّ نفسي واستندت إلى زمزم، فما استويت جالسًا حتى أتى

إليَّ أسود على رأسه مِكْتل فيه خبز ولحم مشوي وصرة دراهم، فقال لي:

أنت ابن غلبون؟

فقلت له: نعم.

فوضعه بين يدي ومضى، فأومأت إلى أصحابي فكنت فيه كأحدهم.

وقيل: إن أخت عقال كتبت إليه من القيروان كتبًا كثيرة ترغب إليه في الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتسر برؤيته قبل أن يفرِّق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه.

فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت: بحق الثدي الذي رضعته معك إلا أريتني وجهك قبل الموت وفراق الدنيا. ما لك في حين صباك وجناياتك، وكثرة ما يطرأ علينا بسببك كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟

فقال لرسولها: قل لها ما كنتُ لأدع بلدًا عرفت اللَّه عز وجل فيه، وأمضي إلى بلد عصيت اللَّه فيه، أخشى أن تقتضيني العوائد.

ثم قَدِمَتْ عليه أخته بعد ذلك، وأقامت معه بمكة حتى ماتت.

كانت وفاة أبي عقال ـ رحمه اللَّه ـ في شهر رمضان، وذلك أنه لما صلى ترويحة أو اثنتين فسجد الناس، وسجد، ثم قام الناس وبقي أبو عقال ساجدًا بحاله، فظن مَن وراءه أنه نام في سجوده. فلما انقضت الترويحة التي كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو قد مات.

فصعد رجل على الحِجْر فقال:

أيها الناس إن اللَّه تبارك وتعالى أراد أن ينشر لأبي عقال في أرضه اليوم عَلَمًا[١].

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٢٧).

* **أبو عبد اللَّه غَزِّيّة يموت وهو قائم في الصلاة:**

قال الشيخ محمد الكناني:

كان أبو عبد اللَّه غَزِّيَّةَ لا يفتر لسانه عن ذكر اللَّه، وكان يؤذن احتسابًا، وله صوت جهوري حسن، قلَّ مَن يؤذِّن مثله.

قال الكناني:

وأخبرني الشيخ أبو الفلاح صالح الجودي قاضي القيروان أنه عاده حين حضرته الوفاة، فسأل عن العصر، فقيل له: المؤذِّن أذَّن الآن، فقام وصلى الركعة الأولى تامة، وفي آخر الثانية سقط على الأرض ميتًا ـ رحمه اللَّه ـ[1] .

* **عبد اللَّه بن إبراهيم الأصيلي:**

لما حضرت الوفاة أبا محمد عبد اللَّه بن إبراهيم الأصيلي من الجزيرة الخضراء كان آخر ما سمع منه لدى احتضاره قوله:

اللَّهم إنك وعدت بالجزاء عند كل مصيبة، ولا مصيبة عليّ أعظم من نفسي فأحسن جزائي عنها، يا أرحم الراحمين.

ثم خَفَتَ.

وكان قد أعَدَّ قبره لنفسه، يقف عليه ويتعظ به، توفي ـ رحمه اللَّه ـ ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[2] .

* **الشيخ صدقة الضرير: «ارفق بحبيبك يا حبيبي»:**

كان الشيخ صدقة الضرير المتعبد إذا حبس اللَّه عن الناس الغيث أتوا إلى

---

(١) «تكميل معالم الإيمان» ص(٢٣٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٧/ ١٤٤).

صدقة يسألونه الدعاء، فأتوا إليه يومًا، وقد أصاب البلد قحط شديد، فسألوه الدُّعاء، فرفع يديه إلى السماء، ودعا بدعاء عظيم ثم قال:

يا رب، الساعة، الساعة.

فما خرج الناس عنه حتى أغاثهم اللَّه عز وجل بالمطر، وكانت آخر كلمة سمعت منه وهو يجود بنفسه:

أُرْفُقْ بحَبِيبك يا حبيبي.

ثم فاضت نفسه ـ رحمه اللَّه ـ[1].

* القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي يموت بعد صلاة الاستسقاء:

قال الكاتب ابن أزهر:

ارتفع المطر، فخرج القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي قاضي بغداد إلى المصلى، فصلى ركعتين بسبح اسم ربك، وهل أتاك حديث الغاشية، ثم صعد المنبر، وخطب خطبتين، وحوَّل رداءه، وحدَّث بحديث طويل خشع له الناس، وبكى وانصرف خاشعًا.

فقبض ليلة استسقائه وقت صلاة العشاء، لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة[2].

* يزيد بن ميسرة يختم حياته بالصدقات:

باع يزيد بن ميسرة كل ما كان يملك من شيء فتصدَّق بثمنه، حتى باع منزله الذي كان يسكنه، وكان يقول بعد ذلك: اللَّهم لا أكون عذرت، اللَّهم

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ١٢٩).

(٢) «المرقبة العليا» لأبي الحسن النباهي ص(٣٥) ـ طبع دار الكتاب المصري.

عجِّل قبضي إليك، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى قبضَه اللَّه[١]

* أحمد الدينوري يموت وهو يكتب الحديث الشريف:

نقل تاج الدين السبكي عن القاضي أبي زُرْعَةَ رَوْحِ بن محمد سِبْط ابن السني أنه قال: سمعت عمي علي بن أحمد الدينوري يقول: كان أبي - رحمه اللَّه - يكتب الحديث، فوضع القلم في أنبوبة المحبرة، ورفع يديه يدعو اللَّه تعالى فمات، وذلك في أواخر سنة أربع وستين وثلاثمائة - رحمه اللَّه -[٢] .

* محمد النيسابوري يقول: «قد جاءوا ببراءتي من السماء»:

نقل تاج الدين السبكي عن أبي عبد اللَّه الحاكم صاحب «المستدرك» أن محمد النيسابوري ولدت له بنت وهو ابن تسعين سنة، وتوفي وزوجته حُبْلَى.

قال: بلغني أن زوجته قالت له: عند وفاته قد قربت ولادتي.

فقال: سلميه إلى اللَّه، فقد جاءوا ببراءتي من السماء، وتَشَهَّدَ ومات في الوقت.

توفي - رحمه اللَّه - في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة[٣] .

* أبو إسحاق ابن قرقول:

وقال الشيخ أبو العباس الناصري:

كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المعروف بابن قَرَقُول صاحب كتاب

(١) «الحلية» (٥/ ٢٤٢).
(٢) «طبقات الشافعية» (٣/ ٣٩).
(٣) «طبقات الشافعية» (٣/ ٧٠).

«مطالع الأنوار» قد صلى الجمعة بجامع فاس سادس أيام شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولما حان أول وقت صلاة العصر أخذ يتلو سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهَّد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجدًا فوقع ميتًا ـ رحمه اللَّه ـ [١].

* الأمير محمد بن أبي القاسم الهكّاري يتمنى الشهادة فيفوز بها:

كان الأمير أبو عبد اللَّه محمد بن أبي القاسم الهكّارِي سمحًا، لطيفًا، دينًا، ورعًا، بارًّا بأهله، وبالفقراء والمساكين، كثير الصدقات.

بنى بالقدس مدرسته للشافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجدًا قريبًا من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائمًا ويقول:

ما أحسَن وَقْعَ سيوفِ الكفَّارِ على أنْفِي وَوَجْهِي.

استشهد على الطور، وأبْلَى يومَ استشهاده بلاءً حسنًا، وكانت له المواقف المشهورة في قتال الإفرنج...

ولما مات شهيدًا حُمل إلى بيت المقدس فدُفن هناك، وكانت وفاته ـ رحمه اللَّه ـ سنة أربع عشرة وستمائة [٢].

* شيخ الزهاد والعباد إبراهيم بن أدهم يحب أن تختم حياته بالجهاد فيكون له ما أراد:

غزا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم في البحر مع أصحابه (فأصابه إسهال).

فكان يختلف في الخلاء في الليلة التي مات فيها خمسًا وعشرين مرة كل

(١) «الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى» (٢/١٨٦).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٤/ ٣٥٠).

مرة يجدد الوضوء.

فلما أحسّ بالموت قال:

أوتروا لي قوسِي.

ثم قبض عليها، وتوفي وهي في كفه، فدُفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة إحدى وستين ومائة[1].

* القاضي الأندلسي أبو الربيع سليمان الحِمْيَري جاهد فاستشهد:

كان القاضي أبو الربيع سليمان الحِمْيَرِيُّ خطيبًا مفوهًا، وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل، ولُي الخُطبة بالمسجد الجامع من بلنسية.

من مؤلفاته كتاب (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء) في أربعة مجلدات.

خرج مجاهدًا في واقعة (أنيشة) على ثلاثة فراسخ منها.

ولما انهزم بعض من كانوا معه جعل يناديهم والراية بيده قائلاً:

أَعَنِ الْجَنَّةِ تَفِرُّون؟ وثبت ـ رحمه اللَّه ـ إلى أن توفي مقبلاً غير مدبر، وذلك ضحى يوم الخميس الموفي عشرين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة وهو ابن سبعين سنة إلا شهراً.

ورثاه أبو عبد اللَّه بن الأبـَّـار في قصيدة تزيد على مائة بيت ذكر منها أبو الحسن النباهي أربعة وستين بيتًا منها:

سَقَى اللَّهُ أشْلاءً بِسَفْحِ (أنيشَةَ) سَوَافِحَ يُزْجِيهَا ثِقَال الْغَمَائِمِ

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٥/ ٣١٨).

وَصَلَّى عَلَيْهَا أنفُسًا طَابَ ذِكْرُهَا بطَيِّبِ أَنْفَاسِ الرياحِ النَّوَاسِمِ
لَقَدْ صَبَرُوا فِيهَا كِرامًا وَصَابَرُوا فَلا غَرْوَ إِنْ فَازوا بِصَفْوِ الْمَكَارِمِ
وَمَا بَذَلوا إِلا نفوسًا نَفِيسَةً تَحِنّ إِلَى الأخْرَى حَنِينَ الرَّوَائِمِ

ـ رحمهم اللَّه ورضي عنهم ـ[1].

*** القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري يقول يوم موته: «هذا يوم الفرح»:**

كان القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ، وكان ملازمًا أيام قضائه للإقراء مع التعليم، وربما نحا في أحكامه إنحاء مصعب بن عمران أحد قضاة قرطبة، فكان لا يقلد مذهبًا، ويقضي بما يراه صوابًا، وإن قلنا إنه كان في شدائد أحكامه أشبه علماء وقته بسحنون بن سعيد لم يكن في ذلك ببعيد.

استمر على عمله من الاجتهاد والرغبة في الجهاد إلى أن فُقد ـ رحمه اللَّه ـ في مصاف المسلمين يوم المناجزة الكبرى بظاهر (طريف) شهيدًا محرِّضًا يشحذ البصائر، ويشير على الأمير أن يُكثر من قول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وقد كثَّف دابته التي كان عليها راكبًا، فنزل وهو رابط الجأش مجتمع القوى، وقال لمن أشار عليه بالركوب:

انصرف هذا يوم الفرح.

يشير ـ واللَّه أعلم ـ إلى قول اللَّه تعالى في الشهداء:

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[آل عمران: ١٧٠].

ولقد ظفر ـ رحمه اللَّه ـ بالفرحة الكبرى في تلك المناجزة عام واحد

---

(١)«المرقبة العليا» ص(١٩).

وأربعين وسبعمائة[١].

*** أبو عبد اللَّه محمد الدُّكالي: «حالي حال من اشتاق إلى لقاء اللَّه في هذه الحالة»:**

● روى أبو عبد اللَّه الأنصاري المعروف بالرَّصَّاع عن أبي الحسن الحياتي أنه قال: دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدي أبا عبد اللَّه محمد الدُّكالي مريضًا، فوقفت على موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلت عليه فسألته عن حاله.

فقال لي: يا فقيه حالي حال من اشتاق إلى لقاء اللَّه في هذه الحالة.

قال أبو الحسن ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتني وقالت: يا سيدي، الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ قضى نحبه[٢].

*** مطـرف بن عبد اللَّه بن الشـخير والنـــور الذي على وجهه يوم موته:**

● روى ابن سعد عن ثابت البناني أنه ورجلاً آخر دخلا على مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير يعودانه، فوجداه مغمًى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فلما أفاق قلنا له: لقد رأينا شيئًا هالنا، قال: وما هو؟ فأخبرناه، قال: ورأيتم ذلك؟ قلنا: نعم، قال: تلك ألف لام ميم السجدة وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرها من رجلي، وقد صعدت تشفع لي، وهذه تبارك تحرسني، قال ثابت: فمات ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «المرقبة العليا» ص(١٤٦).

(٢) «فهرست أبي عبد اللَّه الرصّاع» ص(٧٣).

(يعني: أن السورتين كان يقرؤهما كل ليلة)[١] .

* الشيخ أحمد أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين والنور الذي عليه من بركة فتاواه:

● نقل ابن خلكان عن أبي صالح المؤذن أن أبا محمد الجويني مرض سبعة عشر يومًا، وأوصاني أن أتولى غُسله وتجهيزه.

فلما توفي غسلته، فلما لففته في الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهي تتلألأ، تلألؤ القمر، فتحيرت وقلت في نفسي: هذه بركات فتاواه.

توفي أبو محمد الجويني بنيسابور في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ـ رحمه اللَّه ـ[٢] .

* أبو إسحاق السبائي القيرواني: «وطِيب موته»:

● قال أبو الحسن القابسي: لما احتُضر أبو إسحاق رأى من حضره نوراً دخل من باب البيت، فدار في البيت حتى أتى وجهه، ثم زال عن وجهه، ومر على صدره، ثم إلى رجليه، ثم خرج من البيت.

فقُبض الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته لثمانٍ بقين من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة سبعين ومائتين[٣] .

* أبو الحسن علي بن أبي بكر العرشاني:

● كان في مرض موته يصلي قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه، ولما صار في النزع سمعوه يقول: لبيك لبيك.

---

(١) «شرح الصدور» ص(٣).
(٢) «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٧).
(٣) «ترتيب المدارك» (٦/ ٧٥).

فقالوا: من تعني؟ وفي رواية: من تجيب؟

فقال: اللَّه دعاني، ارفعوني إلى ربي، ثم توفي عقب ذلك ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وخمسمائة[١].

*** أبو بكر بن مسلم الحضرمي: ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾:**

● لما احتُضر أبو بكر ابتدأ القرآن فانتهى في سورة طه إلى قوله اللَّه تعالى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤].

ففاضت نفسه ـ رحمه اللَّه ـ وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[٢].

*** أبو حفص عمر بن عبد اللَّه المعروف بابن الإمام الصدفي:**

● لما احتُضر أبو حفص دعا بشراب فأُتي به.

ثم أومأ بيده إلى السلام.

فقلنا: رأيت الملائكة؟

قال: رأيت...

وجعل يومئ بيده حتى فاضت نفسه.

وقال بعضهم: لما حضرت أبا حفص الوفاة قال: بُشِّرْتُ.

قلت: بماذا؟

قال: أما تقرأ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢١][٣].

---

(١) «طبقات فقهاء اليمن» ص(١٧٢).
(٢) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٧١).
(٣) «ترتيب المدارك» (٦/ ٥١).

* الحكم بن المطلب القرشي المخزومي وملك الموت:

● كان من أجواد قريش من أهل المدينة، وكان من أبر الناس بأبيه قال قبيل موته: هذا ملك الموت يقول: إني بكل سَخِيٍّ رفيق.

ومات عقب كلامه هذا[١].

* أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ المعروف بجوجي:

● كان إمامًا في التفسير والحديث والأدب والورع والزهد، قال أحمد الأسواري الذي تولى غُسله، وكان ثقة: إنه أراد أن ينحي عن سوأته الخرقة، فجذبها الشيخ إسماعيل من يده وغطى بها فرجه.

فقال الغاسل: أحياة بعد الموت؟

توفي - رحمه اللَّه - سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[٢].

* أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون، وأبو بكر بن هذيل: «وثبات على عقيدة أهل السنة حتى الموت»:

● كان أبو إسحاق من شيوخ السنة المعروفين بالذبّ عن مذهب الإمام مالك، ولم يكن في نشأة القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه.

وكان أبو بكر بن هذيل على مثل طريقته، فرفع أمرهما إلى أبي عبد اللَّه الشيعي أو لأخيه أبي العباس، وذكر من أمرهما أنهما يطعنان في دولة الشيعة فصدر الأمر بحبس ابن البرذون وابن هذيل.

ثم أمر عامل القيروان حسن بن أبي خنزير بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، وبضرب رقبة ابن البرذون، فغلط ابن أبي خنزير، فضرب بن

(١) «الوافي بالوفيات» (١٣/ ١٢٣).
(٢) «الوافي بالوفيات» (٩/ ٢٠٩).

البرذون، وقتل ابن هذيل.

ثم تنبه من الغد فقتل ابن البرذون.

ولما جُرِّد إبراهيم بن البرذون ليقتل، قال له حسن بن أبي خنزير: ترجع عن مذهبك؟

فقال له: أعَنِ الإسلام تَستتيبُني؟

فقُتل، ربُطت أجسامهما بالحبال، وجرتهما البغال، مكشوفين بالقيروان، وصُلبا نحو ثلاثة أيام، ثم أُنزِلا ودُفنا.

وكانت الحادثة سنة تسع وتسعين ومائتين(١) .

وذكر الدباغ في «معالم الإيمان» أن جر الشيخين كان على وجوههما من باب تونس إلى باب أبي الربيع فصُلبا هناك.

كما نقل الدباغ عن المالكي بسنده أن عبيد اللَّه لما وصل إلى رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل، فلما وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسًا، وعن يمينه أبو عبد اللَّه الشيعي، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد اللَّه وأبو العباس: اشهدا أن هذا رسول اللَّه، وأشارا إلى عبيد اللَّه.

فقالا جميعًا بلفظ واحد:

واللَّه الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول اللَّه ما قلنا إنه رسول اللَّه.

فأمر عبيد اللَّه بعقابهما على نحو ما تقدم(٢) .

كما ذكر أبو عبد اللَّه الخشني قصة جلدهما وقتلهما، ووصف ابن

(١) «ترتيب المدارك» باختصار (٥/ ١١٨).

(٢) «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» (٢/ ١٧٨).

البرذون بأنه كان تلميذًا لسعيد بن الحداد، وكان ذا بأسٍ شديدٍ، وأبهةٍ نبيلةٍ، وكان شديد التحكك بالعراقيين[١] .

*** أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي القيرواني: «وقتله بيد الشيعة»:**

● قال الشيخ أبو الحسن القابسي ﷺ: ذكر لي من أثق به أنه كان جالسًا عند ابن أبي خنزير ـ لعنه اللَّه ـ في سقيفته، فدخل عليه شيخ ذو هيئةٍ جميلةٍ، وقد علاهُ صفار وسمت وخشوع، وعلى رأسه منديل مهلبي، فلما رآه ابن خنزير بكى، فقال له: ما الذي أباك؟

قال: السلطان ـ يعني عبيد اللَّه ـ وجَّه إليَّ يأمرني أن آمر بدوسِ هذا الشيخ حتى يموت، وهو ابن خيرون.

ثم أمر به فأُدخل إلى المجلس، ثم بُطح على ظهره، وطلع السودان فوق السرير، فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات.

ولما مات أخذوه وحملوه على بغل وألقوه في حفير.

كان ذلك لجهاده في الدين، وبُغضه لعبيد اللَّه وجنده، وكان الذي عمل عليه وسعى به هو المروذي لعنة اللَّه عليه[٢] .

*** الشيخ محمد بن إسحاق الحبلي قاضي برقة: «واستشهاده على يد الشيعة»:**

● وممن مضى في هذه السبيل الشيخ محمد بن إسحاق الحبلي قاضي مدينة برقة ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» ص(٢٨١).

(٢) «رياض النفوس» (٢/ ٥٥). وقد كان محمد بن عمر المروذي معتقدًا لمذهب الشيعة.

كان سبب استشهاده أنه أتاه عامل برقة المعروف بابن كافي فقال له: إن غدًا العيد.

فقال القاضي: إن رُئي الهلال الليلة كان كما قلت، وإن لم يُر لا أخرج؛ لأنه لا يمكنني أن أفطر الناس يومًا من رمضان، وأتقلد ذنوب الخلق.

فقال له: بهذا وصل كتاب مولاي.

فالتمس الناس الهلال في تلك الليلة فلم يروه، فأصبح العامل إلى القاضي بالطبول، والبنود، وهيئة العيد.

فقال له: لا واللَّه لا أخرج، ولا أخطب ولا أصلي العيد ولا أتقلد أن أفطر الناس يومًا من رمضان ولو عُلقت بيدي.

فمضى العامل، فجعل من خطب وصلى، وكتب بما جرى إلى مولاه - في القيروان - فلما وصل إليه الخبر أمر برفعه إليه، فلما وصل قال له: إما أن تتنصل وأعفو عنك، وإلا فعلت بك ما قلت.

فامتنع من الدخول في دعوته، وقال له: اعمل ما شئت.

فنصب له صاريًا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي، وعُلق بيده إليه في الشمس، فأقام كذلك ضاحيًا للشمس في شدة الحر يومه ذلك، فلما كان بالعشي مات - رحمه اللَّه -.

وكان يطلب من يسقيه الماء في ذلك الحال، فلا يجسر أحد من الناس أن يسقيه لشدة خوفهم.

فلما مات أخذوه ومضوا به فصلبوه على خشبة بباب أبي الربيع - رحمه اللَّه -[1].

---

(١)رياض النفوس» (٢/ ٤٠٤).

وذكر الدباغ أن الخليفة الذي جرت محنة هذا القاضي على يديه، هو إسماعيل المنصور ابن القائم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

* إبراهيم بن ميمون الخراسي الصائغ:

● كان إبراهيم ـ رحمه اللَّه ـ من القانتين، وكان إذا رفع المطرقة وسمع النداء تركها وورد الصلاة.

ولما أمر أبو مسلم الخراساني بقتله قال: دعني أصلي ركعتين، وقال: اللَّهم إن كان العمل الذي عملته غير رضا فاجعل هذا القتل كفارة.

قال يحيى بن معين: تولى قتله رجل لم يحسن القتل، فبقي يومه هذا يتشحط في دمه، وكان قتله ـ رحمه اللَّه ـ سنة إحدى وثلاثين ومائة[1].

* قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهري خشي الإكراه على تولي القضاء فدعا فمات:

قال أبو الحسن النباهي:

ومن أهل (سَرَقُسطَة) قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهري صاحب كتاب «الدلائل في شرح غريب الحديث» دُعي للقضاء ببلده فامتنع من ذلك و(سرقسطة) هي إحدى مدن جزيرة صقلية الواقعة بالشمال الشرقي للبلاد التونسية.

فلما اضطره الأمير وعزم عليه استمهله ثلاثة أيام يستخير فيها اللَّه عز وجل، فمات خلال تلك المدة، فكان الناس يرون أنه دعا اللَّه عز وجل في الاستكفاء، فكفاه وستره، وصار حديثه موعظة في زمانه.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة اثنتين وثلاثمائة[2].

---

(١) «كتاب المحن» ص(٢٧٥) لأبي العرب التميمي ـ دار الغرب الإسلامي.

(٢) «المرقبة العليا» ص(١٣).

*** أبو الحسن حسن بن محمد الخولاني الكانشي ـ رحمه اللَّه ـ:**

وكان أبو الحسن حسن بن محمد الخولاني الكانشي قد سُمع عند احتضاره يقول: لا يا عدو اللَّه حتى يردوا الرداء.

فقيل له: ما هذا؟

قال: إبليس عند رأسي يقول: نجوت مني.

كما سُمع يقرأ عند خروج نفسه ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهو ابن تسع وتسعين[1].

*** عابد يقول عند الموت: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾:**

دخل الشعبي على رجل مريض يعوده، فوجد عنده رجلاً يلقنه لا إله إلا اللَّه وهو يكثر عليه.

فقال له الشعبي: ارفق به.

فتكلم المريض وقال: يُلقِّنني أو لا يلقنني، فإني لا أدعها، ثم قرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

فقال الشعبي: الحمد للَّه الذي نجى صاحبنا هذا[2].

*** أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري:**

دخل المُزَيِّنُ على أبي يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري وهو في النزع.

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٥٠).

(٢) «جمع الشتيت على التثبيت» ص(٧٧).

فقال له: قل لا إله إلا اللَّه.

فتبـسم وقال: إياي تعني، وعـزة من لا يذوق الموت، ما بيـني وبينه إلا حجاب العزة، ومات فوراً.

فكان المُزَيِّـنُ يأخذ بلحيــة نفـسه ويقـول: حجام مـثلي يلقِّن الأولـياء الشهادة، وا خَجْلتاه منه، وكان يبكي كلما ذكر ذلك(١) .

* عابد عند الموت:

وقال مـحمد بن إسـماعيل الصـنعاني: قيـل لبعض الصـالحين وهو في السياق:

قل: لا إله إلا اللَّه، ففتح عينيه وأنشد:

وَغَدَا يُذَكِّـرُني عـهوداً بِـالْحِمَى ... وَمَتَى نَسِيتُ العَهْدَ حَتَّى أذْكـرا(٢)

* عبد اللَّه بن إدريس الأودي: قد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة:

عبد اللَّه بن إدريس الأودي:

قال الإمام أحـمد بن حنبل كـان ابن إدريس نسيج وَحْدِه. وقـال الحسن ابن الربيع البوراني: أتى كتاب الرشيد إلى ابن إدريس وأنا شاهد، فقرئ: من عبد الـلَّه هارون الرشيد أمـير المؤمنين إلى عـبد اللَّه بن إدريس. قال فـشهق وغشي عليه، فلما أفاق قال: إنا للَّه، صار يعرفني حتى يكتب إليّ، أي ذنب بلغ بي هذا؟

ولما حضرته الوفـاة بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد خـتمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٨/ ٤٢٤).

(٢) «جمع الشتيت» ص(٧٧).

توفي ـ رحمه اللَّه ـ آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة[١] .

* أحمد بن علي المنجور الفارسي:

كان ـ رحمه اللَّـه ـ لا يفتر عن قراءة القرآن إلا زمن المطالـعة أو التأليف أو الإقراء أو ضـرورياته، ولما حـضرته الوفـاة كان يقـول: مَوتٌ بحـبِّ اللَّه ورسوله ﷺ[٢] .

* أبو العباس أحمد بن سريج يُبشَّر بالمغفرة قبل موته:

كان أبو العـباس أحمد بن سريج الفـقيه الشافعي رأى فـي مرضه الذي مات فيه كأن القيامة قد قامت.

وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ فـجاءوا، فقال: ماذا عَمِلتم فيما عَلِمْتُمْ؟ فقالوا: يا ربنا قصَّرنا وأسأنا، فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جوابًا آخر.

فقلـت: أما أنا فليس فـي صحيفـتي الشرك، وقـد وعدت أن تغفـر ما دونه.

فقال: اذهبوا فقد غفرت لكم.

ثم مات ابن سريج ـ رحمه اللَّه ـ بعد ثلاثة أيام[٣] .

* محمد بن عبد اللَّه بن الغازي القرطبي:

نقل السـيوطي عن الـزبيدي وابن الفـرضي أن محمـد بن عبـد اللَّه بن الغازي القرطبي رحل من الأندلس إلى البصـرة، فأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى الأندلس فأدخل معه علمًا كثيرًا.

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ٣٢٧).

(٢) «درة الحجال» (١/ ١٦٣).

(٣) «وفيات الأعيان» (١/ ٦٧).

مات ـ رحمه الله ـ بطنجة (لما خرج من الأندلس ثانية وهو يريد المشرق).

كما قال ابن الجوزي في «غاية النهاية» (١/ ٤٤١) وذلك سنة ست وتسعين ومائتين، وقال عند احتضاره:

الحَمْدُ اللَّه ثُمَّ الحَمْدُ للَّهِ ... كَمْ ذَا على الموت مِنْ سَاهٍ وَمِنْ لاهِ
مَاذَا يُشَاهِدُ ذَوِ الْعَيْنَيْنِ مِنْ عَجَبٍ ... عِنْدَ الْخروجِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ
يَا ذَا الذي هوَ في لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ ... طُوبَى لِعَبْدٍ مُنِيبِ الْقَلْبِ أَوَاهِ

*** عمرو بن عُبيد يرجو المغفرة لما كان عليه من اتباع رضا اللَّه:**

قال ابن خلكان:

سئل الحسن البصري عن عمرو بن عُبيد فقال:

لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن، ولا باطنًا أشبه بظاهر منه.

قال ابن خلكان:

ولما حضرته الوفاة قال لصاحبه: نزل بي الموت ولم أتأهب له، ثم قال:

اللَّهم إنك تعلم أنه لم يُسنح لي أمران في أحدهما رضى لك، وفي الآخر هوى لي إلا اخترت رضاك على هواي فاغفر لي.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ وهو راجع من مكة إلى البصرة بموضع يُقال له: مُرّان سنة أربع وأربعين ومائة[1].

---

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٦٢).

* ابن السمّاك ـ رحمه اللَّه ـ:

قال أبو جعفر الربعي: لما حضرت الوفاة محمد بن صبيح بن السماك قال: اللَّهم إني وإن كنت أعصيك، لقد أحببت فيك من يُطيعك.

ومن كلامه ما رواه أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه، وهو أنه قال:

إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت، وعاش ما بعده، فسأل الرجعة فأسعف بطلبه، وأُعطي حاجته، فهو متأهب مبادر فافعل، فإن المغبون من لم يقدِّم من ماله شيئًا، ومن نفسه لنفسه.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة[1].

* أبو القاسم بن عبد الصمد الدينوري: «سيدي لهذه الساعة خَبَأْتُك»:

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي أن أبا القاسم عبد الصمد بن عمر الدينوري تفقه على أبي سعيد الإصطخري، وكان يُضرب به المثل في مجاهدة النفس، واستعمال الصدق والتقشف، والأمر بالمعروف.

وكان يدق السعد للعطارين بالأجرة، ويقتات من ذلك (والسِّعد نوع من الطيب).

ولما حضرته الوفاة جعل يقول:

سيدي لهذه الساعة خَبَأْتُكَ (يعني: أعددت لهذه الساعة عفوك ومغفرتك).

توفي ـ رحمه اللَّه ـ ببغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة[2].

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٦).
(٢) «طبقات الشافعية» (٣/ ١٢٩).

* أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي يدعو اللَّه أن يخرجه من دار الفتن:

قال يونس:

ما رأيت أحدًا سُرَّ بالموت من أبي الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي، كان يقول:

واللَّه لو أعلم أن أحدًا تُجاب دعوته لسألته أن يسأل اللَّه تعالى لي الموت.

فقلت له:

أصلحك اللَّه أو تحب أن تموت؟

فقال: وكيف لا أحب الخروج من دار فيها الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد ﷺ؟

وتحدث أبو علي الحسن بن فتحون فقال:

كنت يومًا جالسًا عند أبي محمد البرقي حتى دخل عليه أبو الفضل فقال له:

إن شئت تدعو ونؤمِّن، أو ندْعو وتؤمِّن.

فقال أبو الفضل:

أيَّ ذلك شئتَ.

وأخذ أبو الفضل في الدعاء وأخذ الآخر يؤمِّن على دعائه يسألان اللَّه تعالى الموت، فما أتى بعد ذلك شهر حتى مات أبو الفضل، ثم شهر آخر بعده حتى مات محمد البرقي ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ[1].

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٢٣٦).

* الملك المعتصم بالله أبو مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي:
«يموت في معركة وادي المخازن»:

لما خرج ملك البرتغال «سبستيان» - يحمل في يمناه كتابه المقدس - بـ ١٢٥,٠٠٠ مقاتل مقابل أربعين ألف مجاهد بقيادة عبد الملك المعتصم بالله إلى وادي المخازن كتب عبد الملك المعتصم بالله إلى سبستيان: «إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك، وجوازك العدوة، فإن ثبتّ إلى أن نقدم عليك، فأنت نصراني حقيقي شجاع، وإلا فأنت كلب بن كلب»[1] .

وفي يوم الأحد عبر سبستيان ومن معه جسر وادي المخازن، حيث يحتّم قبالة الجيش المغربي. وفي جنح الليل أمر عبد الملك المعتصم أخاه أبا العباس أحمد المنصور في كتيبة من الجيش، بنسف قنطرة جسر وادي المخازن، إتمامًا للخطة التي وضعها، فالوادي لا معبر له سوى هذه القنطرة؛ وذلك ليعزل عدوه عن أسطوله بالشاطئ وكانت المعركة في صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة (٩٨٦هـ) - (أغسطس ١٥٧٨م) ووقف السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبًا في جيشه مذكرًا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر، وذكر أنه إن انتصرت الصليبية اليوم، فلن تقوم للإسلام بعدها قائمة ورغم تدهور صحة السلطان عبد الملك المعتصم بالله، الذي رافقه المرض وهو في طريقه من مراكش إلى القصر الكبير «وادي المخازن»، خرج بنفسه ليردّ الهجوم الأول، منطلقًا كالسهم شاهرًا سيفه يفتح لجنده الطريق إلى صفوف البرتغاليين، ولكن المرض غالبه فغلبه، فعاد إلى محفته، وما هي إلا دقائق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وأطبق أجفانه وهو موقن بالنصر الذي وعد الله به عباده الصادقين

---

(١) «الاستقصا» (٥/ ٧٩).

المؤمنين المجاهدين، وأمر هذا الرجل عجب في الحزم والشجاعة، لقد مات وهو واضع سبابته على فمه، مشيرًا أن يكتموا الأمر حتى يتم النصر، ولا يضطربوا وكذلك كان، فلم يطلع على وفاته إلا حاجبه رضوان العلج، وأخوه أحمد المنصور، وصار حاجبه يقول للجند: «السلطان يأمر فلانًا أن يذهب إلى موضع كذا، وفلانًا أن يلزم الراية، وفلانًا يتقدم، وفلانًا يتأخر»[١]، وانتصر المسلمون وهزم صليبوا البرتغال وقتل ملكهم سبستيان.

يقول عنه طبيبه الخاص: «جاءتنا أخبار مفادها أن العدو يريد اجتيازًا للقنطرة التي كانت مقامة على النهر المسمى بوادي المخازن، فتقدم المولى أحمد وظلّ الملك في الساقة إلى أن ضرب المعسكر، وكان يظن أن العدو سيقدم على القتال بنفسه في مساء ذلك اليوم، فأمر بتنظيم رماة المكاحل، وطلب ـ سامحه اللَّه ـ الفرس وهو يكاد يلفظ نفسه، فامتطى صهوته ضد إرادتي، وتقدم فترك خلفه جميع الفرسان الذين قدموا معه، ليشرف بنفسه على تنظيم الرماة، ولاحظت لما كان راكب على فرسه، أن قد أصابه إغماء فاقتُربت منه متوسلاً إليه، أن ينزل إلى فراشه، حيث يمكنه أن يستمر في إصدار أوامره، فلم يكتف بالامتناع من ذلك، بل أخرج سيفه، وجعل يلوح به فوق رؤوس أصحابه ليتركوه وشأنه»[٢].

ويقول طبيبه أيضًا: «كان سر اللَّه عظيمًا، فقد هلك في ظرف ساعة، ثلاثة ملوك، كان اثنان منهم عظيمين، وكانت المعجزة الكبرى في أن ملكًا ميتًا غلب ملك البرتغال في لحظة قصيرة، حتى ليظن أن ذلك الأمر كان من فعل السحر»[٣].

---

(١) «الاستقصا» (٥/ ٨٠)، و«وادي المخازن» للدكتور شوقي أبو خليل ص(٦٥ ـ ٦٦) طبع دار الفكر.
(٢) «وادي المخازن» ص(٩٣ ـ ٩٤).
(٣) المصدر السابق ص(٩٩).

وفي نهاية المعركة وجه أبو العباس أحمد المنصور الذهبي في طلب الشرفاء، وقوّاد الفرسان والرماة جميعًا، وخطب فيهم بنفسه، قائلاً لهم: «إن أخاه قد مات ميتة القائد المغوار» وجاب المنادي ينادي في الميدان، ويصيح «رحم اللَّه مولاي عبد الملك، ونصر مولاي أحمد»(١) .

*** النضر بن راشد العبدي: «لو أعْولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ قد دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أُتيت بأبي ضمرة في لبد مُضرّجًا بالدماء؟ فشقت جيبها ودعتْ بالويل، فقال: حسبك، لو أعولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين، ورجع فقاتل حتى استشهد، ـ رحمه اللَّه ـ(٢) .

*** شهيد: «واللَّه لأعرضنك اليوم على اللَّه، أخذك أوْ تركك»:**

كم في الإسلام من مغاوير وأُسْد لا نعرفهم.. وما ضرّهم أن لا نعرفهم.. ولكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرفهم.

● عن عبد اللَّه بن قيس، أبي أمية الغفاري قال: كنا في غزاة لنا. فحضر العدو فَصِيحَ في الناس، فهم يثوبون إلى مصافّهم، إذا رجل أمامي، رأس فرسي عند عَجُز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أيْ نفس، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت لي: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟! ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟! واللَّه لأعرضنَّك اليوم على اللَّه، أخذَك أو تركَك. فقلتُ: لأرمقنّه اليوم. فرمقته، فحمل الناس على عدوهم، فكان في أوائلهم. ثم إن العدو حمل على الناس

---

(١) «وادي المخازن» ص(١٠١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٤١).

فانكشفوا فكان في حماتهم، ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو فانكشف الناس فكان في حماتهم. قال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعًا. فعددت به وبدابته ستين، أو أكثر من ستين طعنة[(١)] .

* حسن أولو بادلي: «أول مسلم وطئ أرض القسطنطينية»:

في حصار القسطنطينية، في محاولة فتحها، تكلم الجنود عن أسوار القسطنطينية التي أُحكم تحصينها، والزيت المغلي الذي يصبونه على المسلمين فيهلكهم، وإذا بصوت شاب في مقتبل العمر من «أولوباد» يُسمّى «حسن أولوبادلي» يرتفع ويقول: «وهل جئنا إلى هنا إلا لنهلك في سبيل الله عز وجل؟! يا إخوتي؛ كيف نخاف من زيت الكافرين المغلي إذا كنا مجاهدين حقًّا؟! وهل تركنا قريتنا، وأهلنا، وأحبابنا إلا من أجل لقاء ربنا عز وجل شهداء في سبيله؟!».

وأقبل الجند يبايعون حسنًا على أن يكونوا أول من يجيب نداء قائدهم المجاهد في الغد، وتواعدوا أن يكون هدفهم الثغرة التي أحدثتها مدافع الإسلام قريبًا من باب في الجهة الشمالية للقسطنطينية. ولما اشتد القتال، واستمر الكرّ والفرّ، وقوافل الشهداء تزداد لحظة بعد لحظة، في تلك الأثناء، كان حسن، وثلاثون من أبناء قريته «أولوباد» يتقدمون بخفة وحذر نحو الثغرة التي حدّدوها هدفًا لهم في ليلتهم السابقة، وتمكّن حسن وعدد من إخوانه المجاهدين من النجاة من السهام المنهمرة من السماء، حتى إذا بلغوا الثغرة اندفعوا إلى داخل المدينة مكبرين مهللين، فتلقفتهم مئات السيوف والرماح، وانهمرت عل أجسادهم مئات الأسهم، واندلقت فوق رؤوسهم قدور الزيت المغلي، ولكن حسن وإخوانه لم يأبهوا لكل هذا العناء، فقاتلوا قتالاً لا يقدر

---

(١)«صفة الصفوة» (٤/ ٤٢١).

عليه إلا رجال صنعهم الإسلام، وتمكنوا بعون اللَّه من الوصول إلى أحد أبواب القسطنطينية ففتحوه وبينما كان جند الإسلام يندفعون إلى داخل القسطنطينية ويتواثبون إلى أعالي سورها يزيلون رايات الكفر من فوقها، ويضعون مكانها الرايات الإسلامية، كان حسن أولوبادلي وإخوانه يستشهدون واحدًا إثر واحدٍ عن بكرة أبيهم، وصدى تكبيراتهم لا يفتأ يزلزل الأرض من تحت أقدام أعداء الإسلام.

وسجل التاريخ بمداد من نور أن حسن أولوبادلي، كان أول مسلم وطئت قدماه أرض القسطنطينية[(١)] .

* الشيخ سعيد ملاَّ الكردي: «يا جنرال سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير»:

الشيخ المجاهد سعيد ملاّ الكردي شيخ أكبر القبائل الكردية الذي تصدى لمؤامرات الردة التي قادها العلماني أتاتورك.

● حين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة في ١٩٢٤م ثار ضده الشيخ سعيد ملاّ سنة ١٩٢٥م، واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التي كُتبَ عليها: لا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه، وكوّن الشيخ جيشًا من الأكراد، وتمكّن من السيطرة على مناطق شاسعة، حتى وصل إلى «ديار بكر» فحاصرها، وكاد يسيطر عليها، لولا أن أتاتورك سارع فقذف بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز، استعملت في تقدمها أبشع أساليب البطش والتنكيل، واضطر الشيخ سعيد ملاّ ـ أمام هذه القوة الغاشمة ـ إلى التراجع إلى الجبال الوعرة؛ ليبدأ من هناك شن حرب

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام» لزياد أبو غنيمة ص(٢١ ـ ٢٥). دار التوزيع والنشر الإسلامية.

عصابات ضد قوات أتاتورك، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ، ومنع وصول أية إمدادات إليه.

وفي ميدان ديار بكر الرئيسي، انعقدت محكمة الطغاة، لمحاكمة الشيخ سعيد ملاّ وإخوانه، فحكمت بإعدامه مع عدد كبير من إخوانه، وأمر أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير.

وكان الشيخ سعيد ملاّ قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة جأش لا يقدر عليها إلا الأبطال، ولقد ظلّ ـ رحمه اللَّه ـ محتفظًا برباطة جأشه حتى آخر لحظة من حياته، وتوجّه إلى رئيس المحكمة العسكرية التي حكمت بإعدامه قائلاً: «سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير»، ثم توجّه إلى قائد الحملة العسكرية التي هزمته قائلاً: يا أمير اللواء، تعال ودِّع غريمك، ثم تقدم من منصة الإعدام، وأمسك حبل المشنقة بيديه، وساعد الجلاّد في وضعه حول عنقه، وأجمعت المراجع التركية التي وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملاّ، أن صوته شقّ عنان السماء مردداً بشموخ «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه». وتدلى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر شاهد صدق على أن جماهير الشعب التركي المسلم قدّمت القوافل المتتالية من الشهداء؛ دفاعًا عن دينها ووفاءً لعهدها مع اللَّه[1].

* **أبو سعيد الخرّاز: «لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا»:**

قال رُويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخرّاز وهو يقول:

حنينُ قلوب العارفينَ إلى الذِّكرِ ... وتذكارهم وقت المناجاة للسِّرّ
أُديرَت كؤوسٌ للمنايا عليهمُ ... فأَغْفَوْا عن الدنيا كإغفاء ذي الشكر
هُمُومهمُ جوّالة بمعسكرٍ ... به أهلُ ودِّ اللَّه كالأنجم الزهرِ

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام» ص(٤٤ ـ ٤٨).

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبّه | وأرواحهم في الحُجْبِ نحو العلا تسري
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم | وما عرّجوا من مسٍّ بؤسٍ ولا ضُرٍّ

وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخرّاز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا[1].

*** السيد الوليّ الرباني الفضيل بن عياض:**

لما حضرت فضيلاً الوفاة غُشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وا بعد سفراه، وا قلة زاداه[2].

*** أبو علي الروذباري: «هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زُيِّنَتْ»:**

قال أبو حامد الغزالي: «يُحكى عن فاطمة ـ أخت أبي علي الروذباري ـ قالت: لما قرب أجل أبي علي الروذباري ـ وكان رأسه في حجري، فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإنْ لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواك | بعين مودّة حتى أراكا[3]

* * *

*** الولي الكبير والسيد المكرم: بشر بن الحارث الحافي: «القدوم على اللَّه شديد»:**

● قيل لبشر لما احتُضِر ـ وكان يشق عليه ـ: كأنك تحب الحياة؟ فقال:

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي، (٤/ ٥١٢) ـ دار الريّان للتراث.
(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥١٢).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٥١٣).

«القدوم على اللَّه شديد»(١) .

* السري السقطي:

● قال الجنيد: دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لأروّحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلبُ محترقٌ والدمع مستبقٌ والكرب مجتمعٌ والصبرُ مفترقُ
كيفَ القرارُ على من لا قرارَ له ممّا جَناهُ الهوى والشوق والقلقُ
يا رب إن يك شيء فيه لي فرج فامنن عليّ به ما دام بي رمقُ(٢)

* الكناني:

قيل للكناني لما حضرته الوفاة: ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به! وقفت على باب قلبي أربعين سنة، فكلما مرّ فيه غير اللَّه حجبته عنه(٣) .

* الحكم بن عبد الملك: «إن ملك الموت يقول لي: إني بكل سخي رفيق»:

● حُكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق، فقلت: اللَّهم هوِّن عليه سكرات الموت، فإنه كان وكان ـ فذكرتُ

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).
(٢) (٤/ ٥١٣).
(٣) «الإحياء» (٤/ ٥١٣، ٥١٤).

محاسنه ـ فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا! فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي: إني بكل سخي رفيق، ثم طفئ[١].

* رُويم:

● قيل لرُويم عند الموت: قل لا إله إلا اللَّه، فقال: لا أحسن غيره[٢].

* صالح بن مسمار:

قيل لصالح بن مسمار: ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أوصي بهم إلى غيره[٣].

* أبو سليمان الداراني:

لما احتُضِر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور، فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟[٤].

* أبو بكر الواسطي:

لما احتُضِر ـ رحمه اللَّه ـ قيل له: أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

● واحتضر أحدهم فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: عليك أبكي! فقال: إنْ كنت باكية فابكي على نفسك! فلقد بكيت على هذا اليوم أربعين سنة[٥].

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٥١٣، ٥١٤).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٥١٤).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

(٤) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

(٥) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

* الداعية المجاهد والأديب الرائد الشيخ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ وتقبّله في عداد الشهداء:

في شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ أعدّ رجال الثورة حفلاً لتكريم الشيخ سيد قطب والذي كانوا يعتبرونه «ميرابو الثورة المصرية» أو «الأب الروحي» لها.

وفي الحفل قال سيد قطب: «... ولقد كنتُ في عهد الملكية، مهيئًا نفسي للسجن في كل لحظة، وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضًا، فأنا في هذا العهد مهيئ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل!».

وهنا وقف جمال عبد الناصر، وقال بصوته الجهوري ما نصّه: «أخي الكبير سيد، واللَّه لن يصلوا إليك إلاّ على أجسادنا، جثثًا هامدة، ونعاهدك باسم اللَّه، بل نجدد عهدنا لك، أن نكون فداءَك حتى الموت!!!».

والعجيب أن عبد الناصر الذي أقسم بهذا، هو الذي حكم عليه بالإعدام، وأمر بتنفيذ ذلك الإعدام، بعد أربعة عشر عامًا كاملة من هذا التاريخ.

وقبل وفاته قال: «لقد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذه المرة، فلست نادمًا لذلك، ولا متأسفًا لوفاتي، وإنما أنا سعيد للموت في سبيل دعوتي، وسيقرر المؤرخون في المستقبل من كان على الحق».

ويقول في تقريره الذي كتبه للمحكمة «إنه آن أن يقدّم إنسان مسلم رأسه ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلامية»[1].

وقال في رسالتين أرسل بهما من خلف الأسوار الغليظة:

«أمّا أنا، فأجدني خيرًا من أيِّ وقتٍ مضى، في عقيدتي وإيماني، وفي

(١) «لماذا أعدموني» لسيد قطب ص(٧).

وضوح هذه العقيدة وهذا الإيمان فـي نفسي.. وفي وضوحِ إدراكي وتصوري لهذا الأمرِ ومقتضياته.. ووضوحِ الهدفِ والوسيلةِ والطريقِ والغاية...

وكلٌّ هذا خيـرٌ جزيلٌ جميل، يرجـحُ كل ما أديتُه ثمنًا لـه، من راحتي وصحتي.. والحمد للَّه..».

وقال في الثانية:

«لقد وجـدتُ اللَّه، كمـا لم أجدهُ من قـبلُ قط.. لقـد عرفتُ منهـجه وطريقه، كما لـم أعرفه من قبلُ قط.. ولقد اطمأننْـتُ إلى رعايته، ووثقْتُ بوعده للمؤمنين، كما لم أطمئن من قبلُ قط..

وأنا بعد ذلـك ـ على ما عهدتـني ـ مرفوعُ الرأس، لا أحنـيه إلا للَّه.. واللَّـه يفعـلُ ما يـشاء.. واللَّـه غالـبٌ على أمـره، ولكن أكـثرَ الـناس لا يعلمون...»[(١)] .

ويوم أن نطق الدجوي بالحكم على سيـد قطب ـ رحمه اللَّه ـ قال الشيخ سيد: «الحمـد للَّه». وساوموه في ليلة التـنفيذ قال لأخته حـميدة: «إنهم لا يستطيعـون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، إن الأعمار بيد اللَّه، وهـم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها. كل ذلك بيد اللَّه. واللَّه من ورائهم محيط»[(٢)] .

سألهُ أحدُ إخوانه: لماذا كنت صريحًا كلَّ الصراحة في المحكمة التي تملكُ رقبـتك؟ قـال: لأن التورية لا تجـوز في العـقيـدة، وليس للـقائد أن يـأخذ بالرُّخص!

---

(١) مجلة «كلمة الحق» السنة الأولى ـ العدد الثاني مايو ١٩٦٧ ص(٤٠).

(٢) «أيام من حياتي» لزينب الغزالي (١٨٣ ـ ١٨٤).

ولما سمعَ الحكم عليه بالإعدام. قال: الحمد للَّه. لقد عملتُ خمسة عشر عامًا لنيل الشهادة.

وعندما طُلبَ منه الاعتذار، مقابل إطلاق سراحه، قال: لن أعتذرَ عن العمل مع اللَّه!

وعندما طُلبَ منه كتابة كلماتٍ يسترحمُ عبد الناصر قال: إن أصبع السبابة الذي يشهدُ للَّه بالوحدانية في الصلاة، ليرفضُ أن يكتب حرفًا يقر به حكم طاغية.

وقال ردًّا على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إن سجنتُ بحق فأنا أقبلُ حكمَ الحق! وإن سجنتُ بباطل فأنا أكبرُ من أن أسترحم الباطل!!![1].

● وفي ليلة تنفيذ حكم الإعدام فيه نشر التلفزيون في نشرته الإخبارية المسائية مساء يوم الأحد ٢٨/٨/١٩٦٦ صورة لسيد قطب لحظة خروجه من السجن الحربي ليستقل السيارة إلى سجن الاستئناف ليتم إعدامه، ورأى الناس سيد قطب منتصب القامة، رافع الرأس، مشرق الوجه، منبسط الأسارير، يودع الناس بابتسامة مشرقة، ولما ركب السيارة كانت الابتسامة المشرقة ما زالت تملأ وجهه..

ولما همت السيارةُ بالسير، نظر سيِّد قطب إلى الواقفين بجانب شباك السيارة، والابتسامةُ المشرقةُ كما هي.

والتُقطَتْ صورةُ هذه الابتسامةُ، ونُشرتْ في الصحف، وصارت تُنشرُ في الكتُبِ التي تتحدث عن الشهيد. وفي المجلات التي تتكلمُ عنه بمناسبة استشهاده...

---

(١) «لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه» ص(٢).

إن هذه الابتسامة الساحرةَ تعني الكثير، وتوحي بالكثير، وتدلُّ على الكثير، وقد قال سيِّد قطب من خلالها الكثير، وحمَّلها كل ما يريد قوله للأجيال القادمة!

إنها ابتسامةُ الفرح والرضا، ابتسامةُ السعادة والراحة، ابتسامةُ الطمأنينة واليقين، ابتسامةُ الظفر والفوز.

وكأن سيِّدًا لم يكن ذاهبًا للموت، بل ذاهبٌ للعرس، وهو في الحقيقة ذاهبٌ للعرس، في جناب الفردوس ـ إن شاء اللَّه ـ.

وصدقَ الشاعر في كلامه عن هذه الابتسامة:

يا شهيدًا رفعَ اللَّهُ به ... جبهةَ الحق على طولِ المدى
سوفَ تَبقى في الحنايا عَلَمًا ... حاديًا للرَّكبِ رَمْزًا للفِدى
ما نَسينا أَنْتَ قد علَّمْتَنا ... بسمةَ المؤمنِ في وجهِ الرَّدى(١)

* * *

للَّه در سيد قطب حين يفسّر معنى الشهيد لما اقترب منه أحد الضباط ـ وهو في قفصه ـ أثناء المحاكمة، وسأله عن معنى «شهيد» فردّ عليه سيد قائلاً: «شهيد» يعني: أنه شهد أن شريعة اللَّه أغلى عليه من حياته.

● وللَّه دره حين يقول عن «قوة الكلمة» وحياتها وحيويتها:

«إنه ليست كل كلمة تبلُغُ إلى قلوب الآخرين، فتحركُها وتجمعُها وتدفعُها.. إنها الكلماتُ التي تقطرُ دماء، لأنها تقتاتُ قلب إنسانٍ حي..

(١) «لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه» ص(٣).

كل كلمةٍ عاشتْ، قد اقتاتت قلب إنسان!

إن أصحابَ الأقــلام يستطيعـون أن يصنعوا شيـئًا كثيرًا، ولـكن بشرطٍ واحـد.. أن يمـوتـوا هم لتعـيش أفكـارُهُم. أن يُطعمـوا أفـكارهم من لحومهـم ودمائهم. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق!

إن أفكارنا وكلماتنا تظلُ جُثثًا هامدة، حـتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء..»[1].

للَّه دره:

عـلوٌّ في الحيـــاة وفي المـمـــات   بحـــق تلك إحـــدى المكرمـــات

* * *

وللَّه در يوسف العظم حين كتب عن «بسمة الشهيد الصامت».

يقول يوسف العظم في ديوانه «في رحاب الأقصى»:

إلى الصامت الذي دكّ صروح المهرّجين، وبدّد شمـل الغوغائية الرخيصة وأخرس بصمته وابتسامته في السجن ألسنة السوء فباتت في هذيان محموم لا تدري ما تقول!

إلى الصامت الذي استعلى صمتـه على كل أبواق التضليل وأقلام الهوان وهو في طريقه إلى حبل المشنقة!

إلى روح سيد قطب في علّيّين.. بإذن اللَّه!.

اكـتـب حـيـاتـكَ بـالـدَّمِ. واصـمـتْ ولا تَـتَـكـلَّـمِ
فـالـصـمـتُ أبـلـغُ فـي جـراحِ الحـادثـاتِ مـن الـفَـم

---

(١) «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ص(١١٨).

والصمتُ أقوى من رنينِ القيدِ.. حول المِعْصَمِ
والصمتُ أكرمُ عند رَبكَ من سَفاهَةِ مُجْرمِ
إنْ تاهَ بالظُّلمِ الغشومُ فَتِهْ بعزّةِ مسلمِ
ولئن خَطوتَ إلى العلى فعلى حياهِ الأنجُمِ
اكتب حياتك باليقينْ.. واسلك دروب الصالحينْ
فالصمتُ من حرٍّ يفوقُ زئيرَ آسادِ العرينْ
وظلام سجنك في فؤادك غُرَّةُ الصبحِ المُبينْ
إن طأطأ الباغي الجبينَ... فأنتَ وضّاءُ الجبينْ
أو عربد الجلاّدُ يومًا واستبدَّ بغيرِ دينْ
فلأنت حصنٌ للعقيدةِ لا يَذلُّ ولا يلينْ
اكتب حياتكَ بالألمْ واصرعْ عدوَّكَ بالقَلَمْ
فمدادُه أقسى على صدرِ الغشومِ من السَّقَمْ
وسطوره فيها البراكينُ التي تُلقي الحِمَمْ!
في وجه «فرعون» الذي داس الكرامة مُذْ حكم
وقسا على شعب ضعيف باعه بيع النَّعَمْ..!!
جلاّدُه المأفون لم يَذُقِ السكينةَ أو يَنَمْ...!![1] .

* * *

(١) «بسمة الشهيد الصامت» من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم ص(٩٥ ـ ٩٨) المكتب الإسلامي.

* لا نحابي في الحق أحداً:

قد مضى سيد قطب إلى ربه.. ولهذا الداعية الكبير سجل حافل في الصبر على الطاعة وتحمل الأذى، ويكفيه أنه قدّم روحه لدينه، ومع هذا السجل إلا أن للشيخ سيد ـ رحمه اللَّه ـ أفكاراً تخالف عقيدة السلف جمعها الشيخ الدويش في «المنهل الزلال في الردّ على أخطاء الظلال»، ويكفي هذا الكتاب ليبين ما للرجل وما عليه، بجوار كلام الشيخ الألباني، وهو خير من أنصف سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ.

أخي: نعم نوضح الأخطاء ونقول مع هذا: «حاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من الأنفس عليها حسيب غيرك».

فالشيخ كان داعية ولم يكن عالمًا، فنأخذ من قوله ونترك، وولاؤنا لعقيدتنا السلفية، ونحن نحبّ منه ما وافق هذه العقيدة، ونقدّر له جهاده وبذله من أجل دينه.

وأما كتاباته في «العدالة الاجتماعية» وكلامه فيها عن الصحابة فلا يقبل أبدًا، فهم شموس ديننا وأقماره... ولو عمل أحدنا ما عمل ما بلغ ذرة من عملهم... فغفر اللَّه له ورحمه.

* محمد عوّاد ـ رحمه اللَّه ـ أول قتيل في مذبحة السجن الحربي سنة ١٩٦٥ العملاق الذي أذلّ الأقزام ولم يأخذوا منه حرفًا واحدًا:

محمد عوّاد أول قتلى «الإخوان المسلمون» في مذبحة السجن الحربي عام ١٩٦٥ نسأل اللَّه أن يتقبله في عداد الشهداء.

كان ـ رحمه اللَّه ـ مدرسًا إلزاميًّا يعمل في إحدى المدارس الابتدائية

---

(١) «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ص(١١٨).

بالقرب من قريته الزوامل ـ شرقية، ولم يكن قد تجاوز العقد الثالث من عمره حين قُتل.

● جلس يومًا مع الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وقال له عبد الفتاح: لا تبتئس يا ابن عوّاد فقد يمكن الله للمسلمين وتكون أنت ضمن قوّاد دولة الإسلام!!!

فانتفض محمد عواد من مكانه وكأن لدغة أصابته وقال: ما على هذه الدنيا بايعت، ولكن بايعت على أن أرمى برصاصة هنا... وأشار إلى رقبته.

* الشيخ عامر شيخ القرّاء عند موته يموت على ما عاش عليه:

أحسن الناس هِجِّيرى عند الموت، من كان سلوكه حميدًا، ونيته سليمة، ومعتقده محققًا، فإنه يلهج بما كان عليه من الضياء والنور.

من كان على الخير في حياته لقي الخير عند مماته.

قال رسول الله ﷺ: **«من مات على شيء بعثه الله عليه»**(١).

قال المناوي: أي يموت على ما عاش عليه.

يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله «تباريح» بالمجلة العربية: «حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي، مدير عام العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف، عن شيخ القرّاء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان ـ رحمه الله تعالى ـ أنه فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يدرّس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء، ثم مرض مرض الوفاة، وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم عن جابر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٩).

بكلام اللَّه، بصوت جهوري جذاب، مدة ثلاثة أيام ختم فيهنّ القراءة، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها»[١] .

*** داعي السماء عمر بن محمد العقيل المؤذن يصدح بجمل الأذان عند موته:**

يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:

«وكان خال أبي وابن عم جدي عمر بن محمد العقيل، ـ رحمهم اللَّه ـ مؤذنًا بمسجدنا الحسيني خمسة وثلاثين عامًا، أدركت منها ربع قرن، لم يتخلف عن فرض واحد لحرّ أوْ قرّ، ومات في الرياض وعمره تسعون عامًا، وكان مقعدًا، فلما حضرته الوفاة بعد صحوة الموت وجده ابنه محمد واقفًا بعد أن كان مقعدًا، ويصدح بجمل الأذان: اللَّه أكبر»[٢] .

*** شيخ المتهجدين والعابدين بمصر الشيخ إبراهيم عزت: «يموت في العشر الأخير من رمضان بعد الصيام ويكفن بملابس إحرامه»:**

للَّه در شيخ العباد إبراهيم عزت.. الذي يصدق فيه قول رسولنا ﷺ: «أولياء اللَّه تعالى الذين إذا رءوا ذكر اللَّه تعالى»[٣] .

الشيخ الذي أبكى الآلاف بصدقه وإخلاصه ووعظه الجميل، وتأثر به الشباب وكان أمّة ـ رحمه اللَّه ـ.

في شهر رمضان سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م عقد الشيخ النيّة على السفر لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام في العشر الأواخر من الشهر الكريم.

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث

---

(١) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص(٧٠ ـ ٧١).

(٢) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص(٧٠ ـ ٧١).

(٣) صحيح: أخرجه الحكيم، وابن صاعد، وأبو نعيم، والديلمي عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٨٧).

الأخير، بعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وله من العمر ثلاث وأربعون عامًا، وتم دَفنه في مكة المكرّمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف مكفنًا في رداء إحرامه، وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق اللَّه لعبده إحدى أمنياته(١) إذا كان يكثر من الدعاء بالموت في بلد حبيبه ﷺ.

وعند ذاك سيدي وعند ذاك

سينتهي السؤال

ستهدأ الودائع التي في داخل الصدور

سنستقر في مرافئ الأمان(٢).

*** شيخ الوعّاظ الشيخ عبد الحميد كشك: «يموت وهو ساجد في يوم الجمعة»:**

للَّه درّ إمام الوعاظ وشيخهم من كان مدرسة في الوعظ لا تدانيها مدرسة.. مَن كان رجل عامة يصل صوته إلى الألوف المؤلفة في جميع أرجاء البسيطة.. ذلكم الجبل الراسخ.. والعملاق الذي سخر من الأقزام والطواغيت وعرّى كذبهم وزيفهم في مسجده «عين الحياة» في كل جمعة فمنعوه من الخطابة في مسجده، واشتاق إليه منبره، وبكته عيدانه.. فما منعوه أن يموت يوم الجمعة.. عند الزوال.. كان يدعو اللَّه أن يموت في سجوده، ومات العابد البكّاء في سجوده ليعلم الناس أن الشيخ صدق اللَّه

(١) «الشيخ إبراهيم عزت» للدكتور حسن عبد السلام ص(٣١).
(٢) قصيدة «لحظة الوصال» للشيخ إبراهيم عزت من كتاب «الشيخ إبراهيم عزت» للدكتور حسن عبد السلام ص(١٠٩).

فصدقه، مات الشيخ كشك في السجود أقرب ما يكون الإنسان من ربه.. ويا لمسك الختام للعابد الواعظ الإمام!!.

*** ربّاني الأمة وداعية الإسلام العلاّمة أبو الحسن الندوي رحل الشيخ في معتكفه بعد أن توضأ واستعد للصلاة.. وشرع يقرأ سورة الكهف[1] :**

يقول الشيخ القرضاوي:

«في سنة رحيل العلماء الأعلام، وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وقبل صلاة الجمعة وقد توضأ الشيخ واستعدّ للصلاة، وشرع يقرأ سورة الكهف من كتاب اللَّه تعالى: كما تعوّد كل جمعة. وافى الأجل المحتوم العلم المفرد، والداعية الرباني، والعلاّمة المتميز، العربي الأرومة، الحسني النسب، الهندي الجنسية، العالمي المعطاء، شيخ الأمة ولسانها الناطق بالحق، الداعي إلى الخير: السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي، وهو أشهر من أن يُعرّف، وأعظم من أن يُؤدَّى حقه بكلمات.

لقد قدّر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ على أمتنا في هذا العام: أن تودع عددًا من كبار العلماء وخيارهم علمًا وعملاً ودعوة إلى اللَّه، ابتداء بعلاّمة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، ومرورًا بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ علي الطنطاوي، ومن بعده الفقيه الكبير المجدّد العلامة الشيخ مصطفى الزرقا، وبعده المحدّث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وختم هذا

---

(١) للشيخ الندوي ـ رحمه اللَّه ـ أشياء تخالف عقيدة السلف وخاصة في كتاباته باللغة الأردية جمعها الشيخ صلاح مقبول الهندي، وكل يؤخذ من قوله ويترك، ونسأل اللَّه أن يعفو عنا وعنه.. ولقد كتبنا وختمنا أحوال الصالحين بذكر موته.. ولكننا لا نقبل كتاباته وثناءه على محيي الدين بن عربي أو عبد القادر الجزائري، وبعض صوفياته «والاستمداد» كما هو من طريقة «جماعة التبليغ» فعفا اللَّه عنه ورحمه.

الموكب الحافل بهذا الإمام الجليل الشيخ أبي الحسن الندوي».

ثم يقول: كيف لا أتحدث عن هذا الإمام الرباني الإسلامي القرآني المحمدي وهو أخي وشيخي وحبيبي - رضي اللَّه عنه وأرضاه».

ويقول: «وإني لأتقرب إلى اللَّه تعالى بحبه، وأرجو أن أحشر معه ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

ولا غرو أن يختلف الناس على أشخاص العلماء، ولكنهم يتفقون على أبي الحسن... وعزائي إلى المسلمين في أنحاء الأرض في فقد هذا العالم الداعية الإمام الذي قلّ أن يجود الزمان بمثله»[١].

يقول الدكتور جابر قميحة في رثاء الشيخ أبي الحسن الندوي:

أبا الحسن الندوي والروح مثقل ... بكل عوادي الحزن والقلب ينزف
أأرثيك؟ لكن مَن أعزِّي وإنني ... قصير مدى الأشعار، والكون يرجف
ففي الأرض من هول الفجيعة مأتم ... تقيم به الأحزان حرّى.. وتعكف
مشارق تبكي يتمها ومغارب ... وقد غبت عنها والنوازل تقصف
وإنك يا ندوي بالحق أمة ... إمام جليل زاهد متعفف[٢]

* * *

(١) «جريدة الشعب ١١ من يناير سنة ١٩٩٩ الصفحة الثالثة.

(٢) قصيدة «إمام المسلمين أبو الحسن الندوي» الصفحة الثانية عشرة، من جريدة الشعب ٤ من فبراير «سنة ٢٠٠٠».

* الطيبـون الذين ماتوا غرقًا وهـم ذاهبون لسماع درس العـلم نسأل اللَّه لهم أن يكونوا من الشهداء:

رجال في زمن عزّ فيه الرجال من أبنـاء محافظتِي بني سويف - من أبناء الدعوة السلفية بمركز سمسطا وهم:

عبيـد اللَّه بن حامـد الأنقط من قرية نور الديـن، وشعبان عـبد الوهاب محـمد، وخـالد عبد الـوهاب محـمد، وسعـد رشوان، ورمضـان مفـتاح عبد الجلـيل من قفطان لا يغيّب ذكـراهم عن مخيلتي مـرّ الأيام. . . وكانوا على موعد لسـماع أول محاضرة لي بقرية مازورة. . وكـانوا في الطريق إلى مازورة وانقلـب بهم الجرّار الزراعي في الميـاه، وهم متوضئـون تالون لأذكار المساء. . . مـاتوا غرقى وهم يرددون الأذكـار فنسأل اللَّه لهـم أن يكونوا من الشهداء.

وللَّه ما أطيب ذكراهم وما أحلى الرؤى التي رآها الناس لهم.

● يأتي كبـيرهم الشيخ عُـبيد اللَّه إلى زوجـة ابن عمه مسعـود في المنام ويقول لها: قولي لمسعود يثبت على ما نحن عليه.

● وقبل دفن عبيد اللَّه ينام الأخ أشرف عـبد الرحمن متأثرًا بمنظر الوحل والطين الذي كان على الإخـوة لحظة إخراجهم من المياه، فـإذا به يرى الشيخ عُبيد الـلَّه في هيئة طيبـة يفوح منه المسك ويقول لأشـرف: ما تراه من الطين والوحل هذا عندكم في الدنيا أما نحن الآن فغير ذلك.

● ويذهب الشيخ عبـيد اللَّه في المنام إلى كبير الصوفيـة ببلدته قائلاً له: لا زلت فيما أنت عليه، ويتـوب الرجل على يديه. . يتوب الرجل بأثر ذلك المنام الطيـب للشيخ الحبـيب الطيب عبيـد اللَّه. وثبات أمه في ذلـك العجب العُجاب.

• والحبيب الغالي الشيخ شعبان رئي في المنام في مسجد قفطان يعطي درسًا في أواخر سورة الواقعة.

ليُسق عهدكمُ عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

أسأل اللَّه أن يجمعني بهم في الفردوس الأعلى. . اللَّهم إنهم ماتوا وهم متوضئون ذاكرون. . ماتوا بسبب من أسباب الشهادة وهو الغرق فأتم عليهم نعمتك وتقبلهم عندك في عداد الشهداء.

* * *

موت القانتات العابدات
الراكعات الساجدات

* آسية بنت مزاحم زوج فرعون اختارت القتل على الملك:

• قال اللَّه تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّـةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَـوْنَ وَعَمَـلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

• قال الحافظ ابن حجر: «من فضائل آسية امرأة فرعون: اختارت القتل على الملك، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه»[١] .

• قال ابن كثير: «روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة».

• قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: مَن غلب؟ فيُقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتُزعت روحها»[٢] .

* ماشطة ابنة فرعون:

• عن عبد اللَّه بن عباس ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «لما كانت

---

(١) «فتح الباري» (٦/٥١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٩٣ ـ ٣٩٤).

الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليّ رائحة طيّبة. فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذْ سقط المِدْري من يدها فقالت: بسم اللَّه، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًّا غيري؟ قالت: نعم ربي وربك اللَّه، فأمر ببقرة من نحاس فأُحميت، ثم أمر بها أن تُلقَى هي وأولادها فيها، قالت له: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مُرضَع، وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أُمّه اقتحمي؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت».

قال ابن عباس: تكلّم أربعة صغار، عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»(١).

* العابدة التقية معاذة العدوية: «لا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا»:

● كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذه السيدة عائشة إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل

(١)رواه أحمد (٣/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناءوط. وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): رواه أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط.

وقوله: المِدْري: أداة لتسريح الشعر.

بقرة من نحاس: إناء كبير من نحاس كانوا يوقدون تحته نارًا حتى يحترق ويحمرّ ثم يلقوا فيه من أرادوا.

قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

● وكانت تقول إذا غلبها النوم: يا نفس الموت أمامك لو قدمتِ طالتْ رقدتك في القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

● وعن ثابت البناني أن صلة بن أُشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدّم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتن لتهنئنني، فمرحبًا بكن وإن كنتُنّ جئتن بغير ذلك فارجعن.

قالت أم الأسود بنت زيد العدوية ـ وكانت معاذة قد أرضعتها ـ قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقُتِل ولدها: واللَّه يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن واللَّه أحب البقاء لأتقرّب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

● قالت عُفيرة العابدة: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكتْ. فقيل لها مِمّ بكيت ثم ضحكتِ؟ فمِمَّ البكاء ومِمّ الضحك؟

قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلّتان خضروان وهو في نفرٍ واللَّه ما رأيت لهم في الدنيا شبهًا فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة[1] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢ ـ ٢٤).

* ابنة منيبة البصرية: «التراب يُحْثى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي»:

• قال أبو عياش القطّان: كانت امرأة بالبصرة متعبدة يُقال لها منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها. فكان الحسن ربما رآها وتعجّب من عبادتها على حداثتها. فبينا الحسن ذات يوم جالس إذْ أتاه آتٍ فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت.

فقال لها: يا حبيبتي ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد! التراب يُحثَى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي، يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعًا، وكفّنها بكفن حسن، واللَّه لو كنت أُجهّز إلى مكة لطال بكائي، فكيف وأنا أُجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود؟(١).

* رابعة العدوية: الزاهدة العابدة الوجلة المُحبّة الربانية:

جمهور أهل العلم على صلاحها وتقواها وعلو مكانها وكل يؤخذ من قوله ويترك.

• قال محمد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رِعدة، وإذا مرّت بقوم عرفوا فيها العبادة(٢).

• وعن عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء اللَّه، وكانت تخدم رابعة ـ قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٨).

مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة لا تُؤذِني بموتي أحدًا وكفّنيني في جبتي هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنّاها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئًا قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبّة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه واللَّه نُزِع عني وأُبدلت به هذا الذي ترينه عليّ، وطُويت أكفاني وخُتم عليها ورُفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من كرامة اللَّه عز وجل لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا واللَّه إلى الدرجات العُلَى، قالت: وبمَ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغمًا. قالت: يزور اللَّه متى شاء. قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أُعطي واللَّه فوق ما كان يأمل.

قالت: فمُريني بأمر أتقرّب به إلى اللَّه عز وجل: قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٩ ـ ٣٠).

* راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوي:

• «عن عثمان بن سودة الطفاوي، وكانت أمه من العابدات، يُقال لها راهبة، قال: لما احتُضِرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري»(١) .

فرآها ذات ليلة في منامه فقال لها: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بُنيّ إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد اللَّه لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

* عابدة تخرّ ميتة لما رأت الكعبة:

• عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: دخل قوم حجاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة تَرْينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما تَرينَه؟ فخرجت تشتدّ وتقول: بيت ربي بيت ربي. حتى وضعت جبهتها على البيت. فواللَّه ما رُفعت إلا ميتة(٢) .

* زهراء الوالهة وموتها شوقًا إلى ربها:

• عن محمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتًا يقول: يا ذا الأيادي التي لا تُحصى، ويا ذا الجود والبقاء متِّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادمًا وطالبًا، وكن لي يا منوّر قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحبًا.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٥).

قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد وذوّبها الحبّ، وقتلها الوجد. فقلت لها: السلام عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: لا إله إلا اللَّه كيف عرفت اسمي ولم تَرَيْني؟ قالت: كشف عن سري الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرّفني اسمك. فقلت: ارجعي إلى مناجاتك. فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة. ثم خرّت ميتة. فبقيت متحيرًا متفكرًا. فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها، ثم قالت: الحمد للَّه الذي كرّمها. قلت مَن هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي توهّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها[1] .

* رقية بنت عبد اللَّه مُعَن الأندلسي: «الولية الكاملية العليّة»:

• شقيقة الشيخ أحمد بن عبد اللَّه معن الأندلسي.

«كانت آية من آيات اللَّه في رفع الهمة والزهد والحزم في الطريق والجدّ، في غاية الإخمال والتقشف والإقلال».

وكان أخوها يقول عنها إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم في الدين والتمسك بحبله المتين.

وأثنى عليها أخوها بعد وفاتها وقال: كانت تخبرني بأمور لا يجدها المتصبون للمشيخة، وحكى عنها أنها قالت له: إني أرى نورًا ينتشر في محل سجودي كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بي. قال: فقلت لها: نعم يُخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين: هكذا شأن الصدّيقين يخافون وإن كانوا محققين.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

● وكانت في المرض الذي توفيت فيه مسرورة بلقاء اللَّه، جميلة الرجاء فيه، ولما قربت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأُخبرت بدخوله فصلّت وماتت. وكانت وفاتها سنة سبع وثمانين وألف»[(١)].

* موت عابدة بصرية: «ويحكَ أَنامَ رب العالمين؟»:

● قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ: «بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت في نفس رجل مهلبي وكانت جميلة، وكانت تُخطب فتأبى، فبلغ المهلبي أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكتر من فلان المهلبي فاكترت منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إمّا أن تزوجيني نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق اللَّه، فقال: ما هو إلا ما تسمعين واللَّه ما أنا بحمّال ولا خرجت في هذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها، قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا، قالت: عُدْ فانظر فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحد إلا وقدْ نام.

فقالت: ويحك أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرّت ميتة.

وخرّ المهلبي مغشيًّا عليه ثم قال: ويحي قتلتُ نفسًا ولم أبلغ شهوتي فخرج هاربًا[(٢)].

* عابدة من عابدات السواحل:

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذْ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هي ذابلة ناحلة. فدنوت منها لأسمع ما تقول. فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت،

---

(١) «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» للشيخ محمد بن الطيب القادري (٢/ ٢٢٠).

(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي (٢٧٦ ـ ٢٧٧).

ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت[١] ثم قالت: يا سيدي بك تفرّد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبّحت النينان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار، والبحر الزخّار، والقمر النّوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مُؤنس الأبــرار في خلواتهم ... يا خيرَ مَن حطّتْ به النُزّالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عني. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبــك حُبَّيْــن حُــبَّ الودادِ ... وحبًّــا لأنك أهــل لذاكا
فأمّــا الذي هــو حــبّ الوداد ... فحــبٌّ شُــغلتُ به عن سواكا
وأمــا الذي أنت أهــل له ... فكشفــك للحُجْــب حتى أراكا
فمـا الحمـدُ في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمــد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا[٢].

* حُسن الخاتمة لأمي رحمها اللَّه سميرة بنت عبدالحليم العفّانية:

تتلو خواتيم سورة النبأ وخواتيم سورة البقرة وهي في الغيبوبة:

كانت رحمها اللَّه كثيرة الصلاة.. كثيرة الصدقة على الأرامل والمساكين لا تحبس شيئًا عنهم. وحينما أصيبت بجلطة ونُقِلت إلى مستشفى التأمين الصحي ببني سويف ظهرت منها الأعاجيب فقد كان ينتابها في أحايين كثيرة فقدان الوعي وغيبوبة كاملة عن الوعي فإذا سمعت صوت الأذان ردّدته ـ إِي واللَّهِ ـ وتأمر أخي الدكتور سعد قائلة: أريد أن أتوضأ حتى لا تفوتني صلاة

(١) أي: بكت أشد البكاء.
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

الفجر.. أَيقظ البناتِ للصلاة.. كل هذا وهي في الغيبوبة وبناتُ أخي في قريتنا بني عفان بعيدًا عنها.. مثلما كانت توقظهن لصلاة الفجر.

ولما أفاقت لحظات من غيبوبتها أوصتني ببناء مستشفى ومسجد على قطعة أرض تملكها.

وقبل موتها مباشرة دخلت في الغيبوبة التي ما أفاقت منها حتى موتها رحمها اللَّه، وعزّ عليّ ما تلاقي فقلت بصوت خفيّ: اللَّهم لا تُحْوِجها إلى زوجاتنا أو أحد من خلقك.. فإذا بها تقول، وهي غائبة عن الوعي تمامًا: «اللَّهم إن رحمتك إياي لا تنقصك فهب لي ما لا ينقصك، اللَّهم إن مغفرتك إيّاي لا تعجزك فهب لي ما لا يُعجزك.. اللَّهم لا تُحْوِجْني إلى أحدٍ من خلقك ورددّت قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٦].

ثم رددت خواتيم سورة البقرة: ﴿.. رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

وكان هذا آخر كلمات قالتها وغادرت به دنيانا.. أسكنها اللَّه أعالي الفردوس هي وأبي.. وأورثهما مرافقة الرسول الكريم ﷺ.

* ومسك الختام من بيت النبوة:

السيدة الربانية الصالحة نفيسة، ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنيّة:

● كانت ـ رحمها اللَّه ـ من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية اللَّه عز وجل، حتى قيل لها: «ترفقي بنفسك» لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا

يقطعها إلا الفائزون؟»، حجّت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

تُوفيت - رحمها اللَّه تعالى - وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «وا عجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل اللَّه تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ١٢][(١)] .

لِيُسقَ عهدَكمُ عهد السرورِ فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

وهكذا يرحل الربانيون إلى ربهم.. تعطرت الدنيا بأريج حديثهم وعبادتهم وصدقهم.. واللَّه لولا أن القلوب توقن بلقياهم لتفطرت المرائر لفراق الصالحين الربانيين، يقول ابن عقيل - رحمه اللَّه -: «وإنما هوّن فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين وثقتي إلى وعد المبدئ لهم، فلكأني أسمع داعي البعث قد دعا، كما سمعتُ ناعيهم وقد نعى. حاشا المبدئ لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة المشوبة بالتنغيص وهو المالك. لا واللَّه، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه: نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولذات بغير نغصة»[(٢)] .

ماتوا وغُيِّبَ في التراب شخوصهم ... فالنشر مِسْكٌ والعِظامُ رميمُ

* * *

(١) «مرآة النساء» ص(٨٢).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ١٦٥).

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

مقدمة

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

□ فهذه صفحات وضيئة للطيبين الصالحين عند مفارقتهم للحياة، فيها العظة أكبر العظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. أناسٌ كانوا زينة الدنيا وطيبها وريحانها، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، وكانوا فيها غرباء، وتعجّلوا القدوم شوقًا إلى الحيّ القيوم، واستراحوا من الدنيا، كيف لا واللَّه تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١].

● وقد قال رسول اللّه ﷺ: «من مات على شيء بعثه اللّه عليه»(١).

هؤلاء ـ واللّه ـ أعلى قَدْرَهم ميراثُهم يوم موتهم.. قالوا بلسان حالهم لمن بعدهم «لو ترَىٰ ما أنا فيه لقرّت عينُك» فسِرْ على طريقهم.. وانسج على منوالهم.. وقل لنفسك:

أترضى أن تكون رفيق قومٍ ... لهم زادٌ وأنت بغير زادِ

اللّهم أحسن خاتمتنا، ومَسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه، واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

* * *

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٣١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٣).

موت النبيين عليهم الصلاة والسلام

* موت آدم عليه السلام: «غسل الملائكة آدم عند موته»:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما خلق اللَّه آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل منهم وَبِيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له: داود، قال: ربي وكم عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عُمُري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاءه مَلَك الموت، قال: أَوَلم يبق من عمري أربعون سنة؟، قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

بأبي وأمي صفيّ اللَّه ونبيه آدم.. من غسّلته الملائكة وألحدوا له.

● عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما تُوفي آدم غسّلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده»[2].

* * *

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٨٥ - ٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في التعليق على «المشكاة»: وسنده حسن.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «مستدركه»، والطبراني في «الأوسط» بإسناد صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٤٨).

* وصية نوح عليه السلام لولده:

روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... **إن نبي اللَّه نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصّ عليك الوصية آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين:**

آمرك بلا إله إلا اللَّه، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ووُضعت لا إله إلا اللَّه في كفة رجحت بهن لا إله إلا اللَّه، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله إلا اللَّه وسبحان اللَّه وبحمده فإن بها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر»[1].

* موت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

في كتاب «فتح الباري» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يعني اللَّه خليل إبراهيم وإبراهيم خليلُ اللَّه. وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال المَلَك: وهَلْ رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقبضت روحه».

* * *

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١١٢): هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

* موت داود عليه السلام:

●عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلّقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ واللَّه لنفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أمنع من الحجّاب، فقال داود: أنت واللَّه إذن ملك الموت، مرحبًا بأمر اللَّه، ثم مكث حتى قبضت روحه، فلما غُسّلَ وكُفن وفُرغ من شأنه طلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحًا» - قال أبو هريرة: فطفق رسول اللَّه ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول اللَّه ﷺ بيده - «وغلبت عليه يومئذٍ المضرحية» (١).

* موت سليمان عليه السلام:

● قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[سبأ: ١٤].

* تخيير الأنبياء عليهم السلام عند الموت:

●عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ما من نبيّ

(١)انفرد بإخراجه الإمام أحمد، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٦): إسناده جيد قوي رجاله ثقات.

ومعنى قوله غلبت عليه يومئذ المضرحية: أي: وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مضرحي، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.

يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخر».

قالت: فلما كان في مرض النبي ﷺ الذي قُبض فيه، أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[النساء: ٦٩]، فعلمت أنه قدْ خُيِّر»(١).

● وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا اللَّه فيما ملكت أيمانكم»(٢).

● وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كانت عامة وصية رسول اللَّه ﷺ عند موته: «الصلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم»، حتى جعل يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه»(٣).

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«إن رسول اللَّه ﷺ قُبض في بيتي ويومي، وبين سَحْري(٤) ونحْري، وجمع اللَّه بين ريقي وريقه عند الموت ـ دخل عليّ أخي عبد الرحمن، وأنا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ (٥/ ١٨١)، ورواه في كتاب «المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، والنسائي في كتاب «الوفاة»، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حق المملوك رقم (٥١٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (٤٢٩٥).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه. وفي «الزوائد» للبوصيري: إسناده صحيح عى شرط الشيخين، ورواه أحمد في «مسنده»، والطحاوي في «مشكل الآثار» وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (٨٦٨).
ومعنى يلجلجها: أي: يرددها دون أن تبين.
وما يفيض بها لسانه: أي: ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه.

(٤) السَّحْر: الرئة، والنحر: أعلى الصدر.

مسندة رسول اللَّه ﷺ إلى صدري وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفتُ أنه يعجبه ذلك، فقلت: آخذه لك؟ فأومأ برأسه أي: نعم. فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلتُ: أُليّنه لك؟ فأومأ برأسه، أي: نعم، فليّنته له، فأمَرَّه، وبين يديه رَكْوة، أو قالت: عُلبة، فجعل يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «**لا إله إلا اللَّه، إن للموت لسكرات**». ثم نصب يده يقول: «**الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى**» حتى قُبض صلوات اللَّه عليه ومالتْ يده» (١).

● وعن أنس رضي الله عنه: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه (٢)، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كربَ أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللَّه ﷺ التراب؟!» (٣).

يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول اللَّه ﷺ في التراب ورجعتم؟!.

يقـول أبو سعيد الخـدري: فما إن دفناه حتى أنكرنا قلوبنا ـ قست قلوبنا ـ.

* * *

(١) رواه البخاري في «كتاب المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورواه أحمد في «مسنده»، والحاكم.

(٢) أي: يغشاه الثقل شيئًا فشيئًا.

(٣) رواه البخاري في «كتاب المغازي» باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٥/ ١٤٤).

للَّه در حسان بن ثابت
وهـــو يرثـــي رســـول اللَّه ﷺ
في أجمــل قصيدة

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُوْلِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُوْمُ وتَهْمُدُ
ولا تَنْمَحِي الآياتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الهادِيْ الّذي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آياتٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيْهَ مُصَلًّى ومَسْجِدُ
بِهَا حُجُراتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللَّهِ نُوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوْقَدُ
مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا البِلَى فالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُوْلِ وعَهْدَهُ ... وقَبْرًا بِهِا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيونٌ ومِثلاها مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ
يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرسولِ ولا أَرَى ... لها مُحْصِيًا نفسي فنفسي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفّها فَقْدُ أحْمَدٍ ... فَظَلَّتْ لآلآءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
ومَا بَلَغَتْ مِن كُلِّ أَمرٍ عَشِيْرَهُ ... وَلَكِنَّ نَفْسِي بَعْضَ ما فيه تَحْمَدُ
أَطَالتْ وقوفًا تَذرِفُ العَينُ جُهدَهــا ... عَلَى طَلَلِ القَبْرِ الّذي فيه أَحمدُ
فَبُورِكتَ يا قبرَ الرَّسُولِ وبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوى فيها الرَّشيدُ المُسددُ
وبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عَليه بِناءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنضَّدُ
تُهِيلُ عليه التُّربَ أَيدٍ وأَعينٌ ... عَليه وقَدْ غَارتْ بِذلكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبوا حِلْمًا وعِلمًا ورَحمةً ... عَشيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرى لا يُوسَّدُ
ورَاحوا بِحُزْنٍ لَيسَ فيهم نَبيُّهم ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُم ظُهورٌ وأَعْضُدُ

يُبكّونَ مَنْ تَبكي السَّماواتُ يَوْمَه … وَمنْ قَدْ بَكَتْهُ الأرضُ فالنَّاسُ أكْمَدُ

وَهلْ عدلَتْ يوْمًا رَزِيَّةُ هَالكٍ … رَزِيَّةَ يومٍ مَاتَ فِيْه مُحمَّدُ

تَقَّطَعَ فِيْه مَنْزِلُ الوَحْي عَنْهُمُ … وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ

يَدُلُّ عَلى الرَّحْمنِ مَنْ يَقْتَدِيْ به … وَيُنْقِذُ مِن هَولِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ

إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيْهِمُ الحَقَّ جَاهدًا … مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيْعُوهُ يَسْعَدُوا

عَفُوٌّ عَنْ الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ … وإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ

وإِنْ نَاب أَمرٌ لم يَقُوموا بِحَمله … فَمِنْ عِنْدِه تَيسِيرُ ما يَتَشَدَّدُ

فَبَيْنَا هُمُ فِي نِعْمَـةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ … دَلِيْلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيْقَةِ يُقْصَدُ

عَزِيْزٌ عَلَيْه أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الهُدَى … حَرِيْصٌ عَلى أَنْ يَسْتَقِيْمُوا وَيَهْتَدُوا

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لا يُثَنِّيْ جَنَاحَهُ … إِلى كَنَفٍ يَحْنُوْ عَلَيْهِمْ ويَمْهَدُ

فَبيناَ هُمُو فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا … إِلى نُورِهِم سَهْمٌ مِنَ المَوْتِ مُقْصِدُ

فَأَصْبَحَ مَحْمُوْدًا إِلى اللَّهِ رَاجِعًا … يُبكِّيْه جَفْنُ المُرْسَلاتِ وَيَحْمَدُ

وأَمْسَتْ بِلادُ الحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا … لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الوَحْي تَعْهَدُ

قِفَارًا سِوَى مَعْمُوْرَةِ اللَّحْدِ ضَافَها … فَقِيدٌ يُبَكِّيْه بَلاطٌ وغَرْقَدُ

ومَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفقْدِه … خَلاءٌ لَهُ فِيْه مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

وبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ … دِيَارٌ وَعرصَاتٌ ورَبْعٌ وَمولِدُ

فَبَكِّيْ رَسُوْلَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً … ولا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُك يَجْمُدُ

وما لَكِ لا تَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي … عَلَى النّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ

فَجُودِيْ عَلَيْه بالدُّمُوْعِ وأعْوِلِي … لِفَقْدِ الذِّي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوْجَدُ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُوْنَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... ولا مِثْلَهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وأقْرَبَ مِنْهُ نَائِلاً لاَ يُنَكَّدُ
وأَبْذَلَ مِنْهُ للَّطرِيْفِ وتَالِدٍ ... إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يَتْلَدُ
وَأَكْرَمَ حَيًّا فِي البُيُوتِ إذَا انْتَمَى ... وأكْرَمَ جَدًّا أبطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وأَثْبَتَ فِي العُلا ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وَأَثْبتَ فَرْعًا فِي الفُرُوْعِ ومَنْبِتًا ... وعُوْدًا غَذَاهُ المُزْنُ فَالعُوْدُ أَغْيَدُ
رَبَاهُ وَلِيْدًا فاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أكْرَمِ الخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وِصَاةُ المُسْلِمِيْنَ بِكَفِّهِ ... فَلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُوْلُ وَلا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ عَازِبُ العَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ ... لَعَلِّيْ بِهِ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ أَخْلُدُ
مَعَ المُصْطَفَى أَرْجُوْ بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وفِي نَيْلِ ذَاكَ اليَوْمِ أسْعَى وأَجْهَدُ

* * *